صحيفة سوابق وجريدة بوائق

جمعها

نصيحة لله ورسوله ولجماعة المسلمين

من كلام الشيخ الصوفي أبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الطنجي

بإملائه

أبو أويس محمد بوخبزة الحسني

دار الآفاق

دار التوحيد للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وبعد: فقد أذنا للأخ الكريم صاحب دار التوحيد للطباعة والنشر بمدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية بطبع كتابي (تحفة سوائف، وجريدة بوائف) مؤكدا عليه بي العناية بالتصحيح تجاه ما من التصحيف والتحريف، والدولي التزوير

تحريرا في 3 صفر 1430 هـ وكتب:

محمد بن الأمين ابوخبزة الحسني

صحيفة سوابق وجريدة بوائق

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

حقوق الطبع محفوظة (c) ١٤٣٠هـ ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب
أو أي جزء منة بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام
ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته
إلي أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر

دار الأفاق
القاهرة

دار التوحيد
الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

ولما وقف عليها بعض تلامذتي النجباء أنشد لنفسه من (السريع) مقرظا:

صحيفة للضُّرِّ كاشفةٌ ... في طيها سرّ لذي عِبَرِ
أحصتْ لنا من كل موبقةٍ ... عشرين نوعاً من بَلا الفِكَرِ
عشرون بالعدِّ انطوتْ وحوتْ ... للكفر نهجاً في حمى الضَّرَرِ
سادتْ بِفَدْمٍ ما ونى سَلَفاً ... يدعو بِبُهْمٍ في دُجى الغَرَرِ
قد صاغها نَجْمُ الهُدى مِقَةً ... بالنصح والتحذير من وَزَرِ
والحال منه دائما طرباً ... يشدو جهاراً دونَما سَكَرِ:
نعوذ بالله العظيم من الـ ... لأواء في دين ومِنْ عُرَرِ
نعوذ حقّاً بالرجاء لدى ... خَتْمٍ وتوديع لمُسْتَقَرِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الأكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، النافين عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

أما بعد، فقد عرفت شيخي المحدث الحافظ، المؤلف، المُكْثر، الصوفي، الاتحادي، المتشيع، المُكَنَّى أبا الفيض، والملقب شهاب الدين، أحمد بن محمد بن الصديق بن أحمد بن عبد المؤمن الغُماري المنصوري التجكاني أصلاً، السعيدي مولداً، الطنجي منشأً، القاهري وفاةً، المولود سنة ١٣٢٠هـ، والمتوفى مُغَرّباً عام ١٣٨٠هـ.

عرفته بطنجة في سن المراهقة حيث كنت أذهب مع والدي كل شهر شوال لحضور ذكرى وفاة والده شيخ الطريقة الدرقاوية بطنجة، وكانت هذه

الذكرى موعد موسم حافل بالبدع والمنكرات والفضائح؛ حيث يقوم سكان أغلب الأحياء بطنجة بإقامة موكب يخرج من الحي بالأعلام والطبول، حاملين الهدايا لضريح الشيخ الواقع بحومة (أمراح) فلا تسل عن الاختلاط، وصياح السكارى، والهتاف باسم الشيخ، وبعد وصول الموكب إلى الزاوية يخرج الشيخ أحمد من حجرته التي يستقبل فيها الضيوف القادمين من فاس وتطوان والقصر الكبير والبادية، ويترأس حلقة الرقص الذي يُسَمَّى "الذكر"!!، وكم مرة رأيته واقفاً في المحراب بقامته وعمامته السوداء وهو يحرك رأسه، والقوّالون ينشدون كلام القوم، والهمج والرعاع من السكارى وأشباههم يرقصون، ثم يرفع الشيخ سبابته إيذاناً بانتهاء الحضرة، ويدخل حجرته فيتبعه وفد الحي، ويقبِّلون يده، ويقدِّمون له الهدية، وغالباً ما تكون نقوداً ورقيةً ومن سخافة أغلب هؤلاء السكان أنهم يُلصِقون هذه الأوراق على ألواحٍ؛ للتشهير والتنافس، فإذا وصلوا إلى الزاوية قلعوها وقدَّموها للشيخ أحمد، فيدعو لهم، وينصرفون، وهكذا ينقضي اليوم إلى المساء. وأَذْكُر أنه في أحد المواسم صنعوا للقبر صندوقاً خشبياً كبيراً له باب، ونصبوه على القبر، وما زال إلى الآن. ومن أعجب ما وقع في بعض المرات، مشاركة جوق الموسيقى العصري، برئاسة بعض مريدي الشيخ من تطوان، فتصْدَحُ بين الحين والحين أنغامُ الموسيقى من الآلات الرّومية من شباب فاجر، وقد أمر الشيخ أن تُخصص لهم الدكّة التي عن يسار باب الزاوية، فهل سمعتَ بمنكر يضاهي هذا؟!

وبعد وفاة والدي كانت مبادرة طيبة من الشيخ؛ حيث بعث إليَّ من طنجة عام ١٣٦٨هـ بكتابه المفيد النافع "المثنوني (هكذا، والصواب: المُثْوي) والبتار، في نحر العنيد المِعْثار الطاعن فيما صح من السنن والآثار"، وهو ردٌّ على رسالة الشيخ محمد الخضر الشنقيطي المسماة "إبرام النقض، لما قيل من أرجحية القبض" وهي مطبوعة بمصر كالردِّ عليها، وَكَتَبَ على طُرته: هدية من مؤلفه إلى الشريف الجليل، السُّنِّي، الأثري، سيدي محمد بن الأمين بوخبزة حفظه الله، وذلك في منتصف شوال عام ١٣٦٨هـ أحمد بن الصديق.

وقد أَكْبَرْتُ هذه اليد من الشيخ، وبادرتُ بالكتابة إلى الشيخ أشكر له هديته، وأتودد إليه، شارحاً له عواطفي الصادقة نحوه، راغباً في الاستفادة من علمه والأخذ عنه، فأجابني بالترحاب وبالغ في مدح خطي وإعجابه به، وبإسلوبي على صغر سني، ثم توطدت الصلةُ بيننا، وواصلتُ زيارتي له بطنجة، والكتابة إليه في كل ما يعن لي، وما كان يبخل علي بطول المحاورة والمراجعة حتى تجمعتْ لديَّ من رسائله وأجوبته ما يفوق المائة، وفيها ما يملأ ست صفحات بخطه الدقيق، وقد كان عبد الله الكرفطي المدعو التليدي استعارها مني ليستفيد منها في تأليف كتاب عن حياة الشيخ بُعيد وفاته؛ حيث أزمع الرأي على دعوى المشيخة والولاية بعد دراسة الأحوال وفهْم الوضع والواقع على ما هو عليه، وقد أصدر هذا الكتاب الذي سماه "الأنس والرفيق بمآثر الشيخ سيدي ومولاي أحمد ابن الصديق" ومعه

المبشرات التليدية، بعد طبعه بتطوان[١]، وهو سُبة في جبين الزاوية والصوفية، ففيه من المصائب والرزايا، ما يناسب حال الزاوية، وكان رغب إليَّ أن أصحح له الكتاب بالمطبعة، ولما رأيته ذكرني فيه وأورد أبياتاً من قصيدةٍ لي في مدح الشيخ[٢]، والكتاب كما قلت لا يُشرف الشيخ؛ لأنه مدونةُ خرافاتٍ ومنامات، كتبتُ إليه أرجوه حذف اسمي من الكتاب مع تلك الأبيات، فلم يرفع لذلك رأساً، وعمد إلى ما حلَّاني به من العلم والشرف فحذفه، واكتفى بالطالب الحاج محمد بوخبزة[٣]، يريد أن يستفزني بذلك، فكتبتُ إليه رسالة دامغة ضمنتها قصيدة (كافيّةً) هجوتُه فيها مُر الهجو، وزدتُ فتحديتُه أن يقرأ هذه الرسالة قراءةً سليمة من اللحن والخطأ، فإن فعل آمنت بدعاويه في الولاية والعلم، وقد بشره شيخه أبو الفيض حيث عَبَّرَ له منامات رأى فيها الشيخين ابن عجيبة والحرَّاق[٤]، وهو يملي عليهما

---

(١) قال الناشر: عندنا صورة من كتاب "حياة الشيخ أحمد بن الصديق، ويليه المبشرات التليدية" كلاهما بقلم: عبد الله التليدي، طبع المطبعة المهدية، بتطوان، المغرب.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص(١١٣).

(٣) كما في الصفحة نفسها من المصدر السابق.

(٤) قال التليدي في كتابه حياة الشيخ أحمد بن الصديق، ص (٩٤)، معرّفا بالحراق: «وأما الحراق فهو العارف الكبير الهائم في ذات العزيز القدير، المحب العاشق، الشيخ العلامة الأديب، سيدي محمد الحراق الشفشاوني التطواني المتوفى بها سنة إحدى وستين ومائتين وألف، وعمره يتجاوز السبعين...، وله زاوية بتطوان تسمى باسمه: زاوية الحراق، يتردد إليها مريديها إلى يومنا هذا».

وفي كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٣/ ٧٠)، أنه توفي سنة ١٢٧١هـ. (الناشر).

من كلامه، والحراق يتضاءل إلى أن فني واختفى، بأنه سيدرك مقامهما في الولاية! ويقول ما يفوق شعرهما وزجلهما، وهذا مذكور في كتابه "المبشرات"[١]، وقد علقتُ على هذا التعبير بأنني لا أعرف الولاية الاصطلاحية عند الصوفية، فلا أدري ما أقول فيها، إلا أنني كنتُ وما زلتُ أعرف عن الكرفطي بأنه وليٌّ لا شك فيه، ولكنه من أولياء الشيطان جزماً، أما إنه سيقول الشعر ويفوق الشيخين، فبالنسبة لابن عجيبة قد يكون؛ لأنه ينظم كلاما نازلاً مختلاً لا قيمة له، أما الحرَّاق فلو عُجن الكرفطيُّ عجناً، وأُعيد خلقه: ما بلغ مُدَّه ولا نصيفه، وأحسن أحواله أن يستطيع قراءته وما أحسبه يُحسن، وقد كانت تلك الرسالة التي تحديته بها آخرَ العهد بيننا، فقاطعتُه وبرئت منه، وظلتْ الحالُ كذلك إلى أن وقفتُ على بعض أوضاعه، وبلغني عنه، أنه غير اسم الزاوية إلى (دار القرآن)، كما رأيته ينكر اتخاذ القبور مساجد[٢]، ووحدة الوجود[٣]، والتشيع والرفض[٤]، فاستبشرت خيرا،

---

(١) المبشرات ص (١٧).

(٢) قال في كتابه تهذيب الترمذي (١/ ٥٧١) معلقا على حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه مرفوعا: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها»: «فيه النهي عن الجلوس على القبر، والصلاة إليه، وقد عمت بذلك البلوى وملئت المساجد والزوايا بالقبور، ولا سيما عندنا بالمغرب، فأصبح من الحرج بمكان عدم الجلوس عليها، وكذا الصلاة إليها وعليها، وإنا لله وإنا إليه راجعون، والسبب في هذا اتباع مذهب مالك رحمه الله الذي يتساهل في هذا الباب. وقد ذهب الجمهور إلى التحريم».

(٣) في كتابه نصب الموائد في الفتاوى والنوادر والفوائد.

(٤) في كتابه أهل السنة والشيعة بين الاعتدال والغلو.

ولكنه سُرعان ما رجع القهقرى وعاد أدراجه فأخبرني بعض تلامذتي من طلبة معهد الشاطبي أنهم زاروه بزاويته فوجدوا (الحضرة)[١] قائمة برئاسة الشيخ، والأنعام البشرية تشخر وتنخر وتصيح وتخبط الأرض برجلها، وهو يباركهم ويهز رأسه، وهم يترامون على يديه ورجليه يقبلونها التماساً لبركته، فعلمتُ أن الشيخ ما زال على صلة وثيقة بالرقص والسماع اليهودي[٢]، ثم أخبرني الأخ الفاضل خالد مدرك بمكة المكرمة، أنه لقيه هناك وسأله عن عمله، فأخبره بأنه يقوم بتحقيق كتاب "القول المنبي في ترجمة ابن العربي" للسخاوي، فنهره وقال له: تأدب مع الشيخ (يعني: ابن العربي الحاتمي)، و"القول المنبي" كتاب فريد في بابه، فقد ترجم فيه لنحو مائة وأربعين عالماً من علماء المذاهب الأربعة ومشايخ الطرق الصوفية في مصر، والشام، والعراق، واليمن، وأورد عن كل عالم وشيخ فتوى بتكفير ابن العربي، أو تضليله، مع الاحتجاج بكلامه ـ كما سأفعل أنا بعون الله مع الشيخ أبي الفيض في هذه "الصحيفة" ـ ومن العجائب أن الشيخ أبا الفيض أخبرني عن هذا الكتاب قديماً، وأنه وقف عليه وقرأه، وهو في مجلد كبير، ومع ذلك صرح لي بأن ذلك الجمهور من العلماء والمشايخ لم يصيبوا وجهلوا؛ لأنهم لا

---

(١) من رقاعه أصحاب السماع اليهودي زعمهم حضور النبي ﷺ لهذه البدعة، وشهوده لها! (الناشر).

(٢) قال الطُّرطوشي: «... الرقص دين الكفار وعُبَّاد العجْل، وإنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير...» ["كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع" (١/ ٥٢)، مطبوع بهامش كتاب الزواجر لابن حجر الهيتمي]. (الناشر).

يعرفون التصوف الحقيقي (يعني الباطني الفلسفي)؛ لأن هذا لا يدرك إلا بالذوق، وهكذا أحال الشيخ ـ كعبد الغني النابلسي، وأحمد التجاني، ومحمد الكتاني ـ على مجهول لا يُدْرَى ما هو، ولا أي ذوق من الأذواق هو، ثم لما طُبع "البحر المديد، في تفسير القرآن المجيد" لأحمد ابن عجيبة، أخبرني الكتبي العشيري بطنجة أن الكرفطي اقتناه بمنتهى الحرص والغبطة رغم غلاء ثمنه، وأخبرني بعض الطلبة ممن كانوا يغشون ثكنته أنه كان يقرأ معهم هذا الكتاب الموبوء، ويبدي إعجابه بأقواله وإشاراته، فعلمت أن الرجل ما زال تحت سيطرة إبليس، وأن هذا مازال في حاجة إليه للإغواء والتضليل، وقد كان سبق له معي أنني لما رأيت في "مبشراته" أن بعض حميره رأى الله ـ سبحانه وتعالى عن إفكهم علواً كبيراً ـ في منامه على صورة شيخه الكرفطي، وأنه أرسل إلى شيخه أبي الفيض يستفسره عن هذه الرؤيا؟ فأجابه هذا ووافقه عليها، وقد تبين بعد أن وقفت على كلام شيخه في تعبير الرؤيا، أنها رمز ومثال (وأن الرائي ما رأى إلا الكرفطي) وإلى هذا ينحو لفظ الشيخ[1]، ولكن الكرفطي طواه لحاجة في نفس يعقوب، ولما رأيت هذا مع غيره من الموبقات استنكرت هذا، فبلغه ذلك، فألف أوراقا بعنوان "الإعلام بجواز رؤية الله في المنام" وطبعها بتطوان، فوقفت عليها، ورأيت ما ضمنها من سباب، وشتائم، وقذف صريح، ورمي بالإفك والبهتان، وهو يعلم كشيخه، أن من دين الصوفية ولا سيما ابن العربي في "الفتوحات" وجوب محبة

(١) المنح الإلاهية بالمبشرات التليدية ص (١٣).

الأشراف، واعتقاد أنهم ناجون وسيدخلون الجنة دون حساب، وزاد أنهم أطهار العين إلخ غلوهم الذي لا أساس له ـ وإنما نبهتُ على هذا مجاراةً لهم، وإلاّ فأنا أقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، وقوله جل وعز: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[المؤمنون:١٠١]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[1]، ولكن هذا ما لم يتعارض مع أهوائهم ومصالحهم، وإلا فإنهم يستحلون الأعراض، والقذف واللعن؛ بل والتفسيق والتكفير وكتبتُ رداً عليه في كراسة سميتها "الإعلام بمروق الكرفطي من دين الإسلام" أو "بيان إلى الدجال القرمطي، عبد الله الكرفطي" وظل الرد عندي لأنني لا أجد ما أنفقه على الطبع، ولم أفتح زاوية وأستغفل الناس، وأبتز أموالهم، لطبع الخرافات، وبعد مضي نحو أربعين سنة، وقف الأخ الأستاذ عمر بن مسعود الحدوشي ـ فرج الله كربه ـ على هذا الرد، وقرأه وأعجبه، فاستأذنني في طبعه، فأذنت، وطبعه في جزء مع تلك الرسالة المذكورة التي أرسلتها إلى الكرفطي، وبعد مدة طبع هذا جزءاً جمع فيه رسائل أبي الفيض إليه، وأضاف إليها عشرين؛ بل ثلاثين رسالة كتبها الشيخ إليَّ، ومنها واحدة كتبها بواسطتي إلى الأخ الأستاذ محمد الفلاح رحمه الله، سطا عليها وحشرها دون تمييز ولا استئذان ولا شكران، على عادته وعادة مشايخه في السطو على جهود الناس، وهم من كبار (لصوص النصوص)، وهذا كما

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ترى مخالف للأمانة العلمية، وقد فعل هذا حتى لا يعرف القراء طبيعة الأسئلة وموضوعات البحث، ويفرقوا بين من يسأل عن (نا) و(أنا) عند المحدثين المختصرة من (حدثنا وأخبرنا)، وعن الرؤى والمنامات التي لا تخلو منها رسالة من رسائله، وبين من يخوض مع الشيخ في وحدة الوجود وتصرف الأولياء في الكون، وديوان الأولياء، وإيمان فرعون، التي تورط فيها الشيخ ووقع على أم رأسه، وكانت مع الوقوف على كتابي "الإقليد"[١] و"البرهان الجلي"[٢] الذي لم يطبع إلا بعد وفاته، وبعد لطف الله وعنايته، سبباً في توبتي وبراءتي منه ومن الزوايا والتصوف، والحمد لله على ذلك، كما سيأتي تفصيل ذلك في الفصول العشرين من "الصحيفة" بإذن الله وتوفيقه، وقد سمى الجزء "در الغمام الرقيق، برسائل الشيخ السيد أحمد ابن الصديق" وقرأته فإذا به عَرّض بي وبشيخيْه: السيد الزمزمي رحمه الله وعبد العزيز، وكنت أحسب أن حُماه هدأت إلا أن شيطانه لم يمهله حتى نَزَغَه بقوة، فقال، وهو يتحدث عن أبي الفيض: «وأوذي في حياته وبعد موته في دينه وعرضه حتى من أقاربه وبعض الخونة من تلامذته، الذي تتبع مساويه وعَوَراته، وسيلقى جزاء ذلك وافياً، فلْيطب نفسا بما اكتسب»[٣]. فعجبتُ للأحقاد السوداء

---

(١) اسم الأول: "الإقليد في تنزيل كتاب الله على أهل التقليد"، ومصورته عندنا. (الناشر).

(٢) اسم الثاني: "البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى عليٍّ والرد على ابن تيمية الحنبلي"، وهو مطبوع، وقفنا عليه في المكتبة المركزية لجامعة الملك سعود بالرياض، ولدينا صورة منه، (الناشر).

(٣) در الغمام الرقيق ص (٧).

كيف تتنامى وتعيث فساداً وضرراً في ضمائر من لا يخشى الله، وأنا على يقين من جزاء الله الوافر، وثوابه المتكاثر على ما قمتُ به من الذب عن دين الله وشرعه، والانتصار للحق والحقيقة بهدم الهياكل التي لا أساس لها، وتعرية المبطلين، والكشف عن عورات ومساوئ الأفاكين، التي كانوا يجاهرون بها معلنين ولا يبالون، ويدعون إليها ليل نهار ولا يستحون، ولم أبحث عن الخفايا والأسرار، وإنما تتبعت الموبقات التي أزكمت الأنوف، وفرقت الصفوف، وهي واجب كل من عَرفها ولمس ضررها في الدين والدنيا، أما ما تضمنه كلام الكرفطي من التهديد الصوفي والإرهاب الفكري، فتلك شنشنةٌ أعرفها من أخزم، وهي مما ورثه هذا الشقي الهالك عن أسلافه الأولين الذين قالوا لنبيهم هود عليه السلام: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾[هود:٥٤-٥٥]، وفي السيرة أن المشركين هددوا خالد بن الوليد رضي الله عنه لما ذهب لهدم صنم العزى، وقالوا: احذر الجنون احذر الجذام الخ، ولكن سيف الله مضى لعمله، ومن لنا الآن بمثل خالد ومن تبعه من أئمة الهدى، كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب، يتوجهون إلى المزارات والقباب التي على الأضرحة التي بُنيت محادة لله ورسوله فيسوونها بالأرض. ونشير هنا إلى مأثرة إيمانية لشيخنا الدكتور الهلالي رحمه الله لا يعرفها كثير من الناس، وهي اجتثاثه لما يسمى: بستان فاطمة بصحن المسجد النبوي الذي كان يشتمل على نخلة وأشجار، حيث لاحظ شيخُنا أن النساء

يتمسحن بها ويأخذن من أغصانها للتبرك، فعمد ليلاً مع تلاميذه ـ وكان وقتها إماما بالحرم النبوي ـ واستأصلوا تلك الأشجار، وأخرجوا جذوعها إلى البقيع، وهكذا طهر الحرم الشريف من أسباب الشرك ووسائله، فرحمه الله وأجزل ثوابه[١].

وبعد أن وقفت، على صنيع الكرفطي خفت، على البقية الباقية من رسائل أبي الفيض إليَّ، فأوعزت إلى أخي الأستاذ الفاضل بدر العمراني أن يسعى لطبعها، وأن يسميها: "الجواب المفيد، للسائل المستفيد" وهو الاسم الذي كان اقترحه علي الشيخ أبو الفيض عندما أجمع الرسائل حتى لا تضيع، وقد طبع الجزء[٢] وفيه من الفوائد والمساوئ ما لا تجده في سواه، وقد كنت كتبت مقدمةً ضافية لتنشر مع الجزء، وفيها شرحتُ بعض مواقف الكرفطي، إلا أن بدراً كَعَّ ولم ينشرها مع الأسف، وأحسب أنني ضمنتها أحد أجزاء "جراب السائح"، ومنذ سنوات زارني بعض الإخوة من سلا، ومراكش، ودرسوا علي "ملحة الإعراب" للحريري في النحو، ورغب أحدهم وهو الأخ أبو سفيان مصطفى باحو، في الاطلاع على آثار أبي الفيض من مطبوعات ومخطوطات ومنها رسائله قبل أن تطبع، فأعطيتهم منها ما شاءوا ووقفوا منها على ما قف له شَعَرُهم، فانبرى أبو سفيان لجمع فضائحها في جزء طبعه بمراكش بعنوان: "تنبيه القاري، إلى فضائح أحمد بن الصديق

---

(١) انظر الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة ص(١٦١). (الناشر).

(٢) نشرته دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. (الناشر).

الغماري" وقدّمه له شيخه الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ولم يستوعب الكتاب ما أعرفه من فواقر أبي الفيض، وانتشر الكتاب، ووصل إلى الغماريين بطنجة وإلى أبي الفتوح، فأجمعوا كلهم على أن الكتاب من تأليفي، ولم ينفع إنكاري؛ لأن من عادتهم التصميم على الرأي وعدم الرجوع عنه، ولو نزل الوحي بالبراءة، (أيٌّ كذا خُلِقتْ). وليس من عادتي ـ والحمد لله ـ أن أكذب، والحق أن ليس لي في الكتاب حرف واحد؛ إلا أنني أطلعتهم على ما عندي من تآليف ورسائل أبي الفيض، وما أخذوه عني مشافهة، وإلا قصيدة رائية نظمتُها إعلاناً بالتوبة، وبراءةً من الزاوية وأهلها، نُشرت في أول الكتاب بعنوان (قال درقاوي تائب)، وقد حرفها عمداً أحد ضحاياهم الجُدد، إلى: خائب، خيب الله سعيه.

وهذا الإمعة الذي نبغ مؤخرا يسمى: عدنان زهار، وهو من (البيضاء) ويقطن البُريجة (مدينة الجديدة)، وقد زارني ببيتي وكاتبني أكثر من عشرين مرةً؛ سائلاً مسترشداً، وكانت رسالته الأولى في ورقة بأعلاها صورة أبي الفيض، فتوجست منها خيفةً وعلمت أن الولد مهووس بالغماريين، جَرفه تيارهم الوثني، وأنه لا أمل في إنقاذه إلا أن يشاء الله ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[القصص:٥٦]، وكنت أتمنى أن يهديه الله على يدي، لإحراز ثوابه، ولكن الفتى الشاب الغرّ سرعان ما انقلب على عقبيه، وقلب لي ظهر المِجن، وسفر عن وجه مسْود كالح، ودهشتُ لما بدر منه دون سبب معقول، وهو تلميذي استجازني وأخذ عني، وراجعني، واستشارني في عشرات المسائل،

واستعار مني كتباً، ومدحني في فواتح رسائله بـ(شيخنا العلامة الأديب الشريف)، وبعد مدة انقلبتُ خائناً، كذاباً، مجرماً، كنوداً، حقوداً، وهابياً، خبيثاً، جهولاً، ...، إلى ما احتوت عليه رسالته "دفاع عن كرامة وعرض سليل الأشراف الحافظ الإمام سيدي أحمد بن الصديق الغماري ﷺ"، التي قدمها له شيخه (المحدث الشريف أبو الفتوح) عبد الله بن عبد القادر التليدي حفظه الله، المطبوعة بطنجة في قالب كبير في (١٧٢) صفحة، وقد زين رسالته بصورة كبيرة لأبي الفيض في طالعتها، وفي ورقة الغلاف الأخيرة صورة نصفية لأبي الفيض بالزي السوداني، أُخذتْ له بالخرطومِ قبل وفاته بقليل، وفي أسفل الورقة صورة المؤلف، وهو معمم يُلقي خطابا على كرسي وأمامه المكرفون، وخلفه العلم المغربي، ولعله كان في حفل سياسي رسْمي، لأنه موظف محاسب (كُونطَبْلي) بعمالة الجديدة، والعجب أنه رضي بذلك وهو المُحدث الناقد الذي يتعقب كبار الحفاظ[1] ويجرح ويعدِّل دون

(١) من ذلك جرأته في التهجم على الذهبي في تعليق له ببعض تخريقاته، ولا أقول تحقيقاته: «وأما إيراد الذهبي له ـ أي شيبان بن عبد الرحمن ـ في "المغني في الضعفاء" فلا يلتفت له؛ لأنه أورد من هو أجل منه وأوثق وأحفظ، فقد ذكر فيه أمير المؤمنين البخاري (٢/ ٥٥٧) غفر الله له». الأجوبة الصارفة ص(٢١). قلت: لم يذكره ابتداءً وإنما ذكره للتمييز، وعبارته موحية بذلك، قال ﷺ: «محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري قدم بغداد، طلب الحديث على رأس ٥٠٠، وكتب عن الموجودين، قال ابن الجوزي وغيره: كان كذاباً، فأما أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري مولى الجعفيين فحجة إمام ولا عبرة بترك أبي زرعة وأبي حاتم له من أجل اللفظ؛ لأنه اجتهد في المسألة؛ بل مصيب». انتهى كلامه. فتأمل واعجب من جهالة هذا الغويلم.

حسيب ولا رقيب، ولا غرو فهو مزكى من مشايخه الكبار كأبي الفتوح ـ بالمفهوم المغربي، وهو ما يقدم للشيخ والراقي، ويسمى: الزْيارَة، وقد كَناه بذلك شيخه أبو الفيض، لما يعلم من حرصه على جمع الفتوح، وحبه الجم للمال والمشيخة ـ والزنيم المقبوح محمود سعيد ممدوح، والسخاف العسّاف حسن السقاف، وهو رغم اتفاقه مع ممدوح في بطر الحق وغمط الناس؛ عدو لدود له يتمعر وجهه لمجرد سماع اسمه كما لمسته بنفسي منه، والعجب أنه فرط من المصري مع شيخه إمام العصر، وزعيم المحدثين دون منازع شيخ الإسلام الألباني رحمه الله وطيب ثراه، مثل ما حصل لتلميذي العاق عدنان زُهار معي من العقوق الفريد، فكلاهما كتب لشيخه مع إطراء بالغ، وإقرار بالأخذ والاستفادة، وزاد هذا إهداءَ بعض كتبه للشيخ، أما السقاف فقد أكل الحقد قلبه، وشوى الحسد كبده، ولم يَبْرد أُواره إلى اليوم، وقد قدّم لي بنفسه عند زيارته لي أكثر من عشرين رسالة كلها تدور على الرد على الألباني وتعقبه بالباطل في غالب ما كتب، وقد نصحته بالكف عن هذا البغي السافر، وأشرت له بالتوقف عن الانسياق وراء الغماريين عبد الله وعبد العزيز اللذيْن كانا سبباً مباشراً في ضلال جمهور من الشباب في طنجة وغيرها، ولا سيما في ميدان الرفض والتشيع الذي كان أبو الفيض أول من نجّس به ربوع المغرب بعد أبي عبيد الله الشيعي زعيم العبيديين الذي هلك منذ ثلاثة عشر قرناً، ودرستْ دولته كما هو معلوم، وسنشرح بعون الله هذا في الفصول الآتية من "صحيفة سوابق" فليهنأ عَدْنان بهذه المشيخة الكريمة، ولعله

يفرد لهم معجماً يُدون فيه مناقبهم، وصدق الشاعر حيث قال: [البسيط]

إِنَّ الزَرازيرَ لَمّا قامَ قائِمُها تَوَهَّمَت أَنَّها صارَت شَواهينا

وهكذا تزبّب عدنان قبل أن يتحصرم، وأراد أن يطير ولما يريش، كما قال الذهبي[1].

ثم إنني لا أعرف سبباً مباشراً لهذا العدوان الذي هو أشبه بسُعار شيخه أبي الفتوح، ثم توقفت بعد تفكير أن السبب هو تردده الكثير على شيخه الذي كان يفاوضه في الرد وفصوله، وما كان يلقاه منه من تشجيع تدل عليه مقدمته العوراء، وحث متواصل، وما شحنه به من كراهية وبغضاء ما زال قلبه الأسود يُفرزها ـ رد الله كيده في نحره وكفانا خبث شره ـ وقد فعل قبله ذلك مع فتى آخر ممن أُشرب قلبه حب الخرافات والمنامات، وترامى في أحضان الأحلام والترهات، فكتب رسالة أشاد فيها بأبي الفتوح وتناولني بيراع مبحوح، دون سابق معرفة، ولم أدر سبب ذلك إلا رغبته في استدراجي إلى الرد عليه، ولذلك أعرضت عنه امتثالا لأمر الله تعالى ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[الفرقان:٦٣]، وقد عرفت من قراءة كتاب عدنان أنه أفرده للرد على أبي سفيان مصطفى باحو، وشيخِه مقدَّم كتابه (المغراوي)، وحشرني معهما معتقداً أنني مؤلف "تنبيه القاري"، ولذلك كتبت هذا انتصاراً للحق ودفاعاً عن نفسي، تمسكاً بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾[الشورى:٣٩] وقوله جل وعلا: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ

(١) انظر سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٩١).

فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾[الشورى:٤١]، أما ما يتعلق بالأخوين باحُّو والمغراوي، فهما أولى بالرد والدفاع عن أنفسهما، وبينهما وبين عدنان بون شاسع، ولهما ـ ولا سيما باحّو ـ من الأوضاع العلمية التي تجاوزت العشر ما تعجز عنه الجماعة، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وما زال الأخ باحو عاكفاً على التدوين، ويتحرى أن يأتي بجديد يحسن السكوت عليه، ويجمع كل دواعي التأليف وشروطه أو بعضها، لا كتأليف المقبوح المصري التي هي مصادرة وجهالة، وقد تورط أخيراً في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتقديمه لجزء مُختَلَقٍ موضوعٍ، زعم وليُّ نعمة ممدوح، عيسى المانع أنه جزء من مصنف عبد الرزاق، من وقف عليه جزم للوهلة الأولى أنه مما عملت أيديهم، والسبب أن الجزء يتضمن أحاديث موضوعة تؤيد غلو الصوفية في أولية النور المحمدي ونحو هذه البلايا، وسيصدر الرد[1] على هذا الكذب المكشوف، الذي ضحى بدينه المقبوح المصري في سبيل نفع مادي، أما السقاف فتناقضاته التي سماها شيخه عبد الله، لم يكتبها لخدمة الحديث، وإنما حسدا للألباني الذي أصبح مرجعاً لعلماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وقد خلف من التلاميذ جمهوراً يدافعون عن الحق، عدولاً، علماء، ثقات، وهذه آثارهم بارك الله فيهم ملأت السهل والوعر، أقامهم الله شجى في حُلوق المجرمين المبتدعين، وقذى في أعينهم، وهذا

(١) وقد تولى الرد الأستاذ الفاضل الشيخ محمد زياد التكلة حفظه الله، وقد قدمته له.

قال الناشر: صدر الرد وطبع، ونشرته دار المحدّث في الرياض، بتقديم لفيفٍ من أهل العلم.

شيخك أبو الفتوح وقد ابتلى الله به الكتب والمطابع، ووجد في الناشرين التجار من لا يهمه من ذلك إلا المال، فخف الشيخ لذلك وشرع في الاختصار، فاختصر "جامع الترمذي" وهدّمه معتمداً على الألباني دون شك ولا ريب، وكان قبل ذلك سبه ونال منه[١]، واختصر خصائص السيوطي[٢] مستعيناً بطبعة الشيخ خليل هراس، دون أن يشير إليه كالعادة، هذا في الطبعة الأولى، أما في الطبعة الثانية فشانه بالنقد والتنقيص، كما شان شيخه عبد الله بن الصديق حينما حذف تصديره المثبت في الطبعة الأولى، وجمع الأحاديث القصار، وليس فيها قصير، واختصر شفا عياض، وقد

---

(١) هذا في رسائله المحفوظة عندي بخط يده، وأما الآن فيسر حسوا في ارتغاء، حيث يذكر في كتاباته أنه يستفيد منه دون تقليد لما تشتمل عليه كتبه من أخطاء فاحشة وتناقضات فادحة، وهذا الكلام موجود في مقدمة تهذيب الترمذي وجواهر البحار، في حين أنه لو قلده لسلم، ولأنقذ نفسه من الجهل والوهم، ودونك بعض طوامه:

قال في تهذيب الترمذي عن حديث رقم (٢٨٣٦) في تفسير قوله تعالى ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[النساء:٩٥]: «سنده صحيح ورواه البخاري مختصرا».

قلت: والصواب أن الحديث ضعيف، كما قال الألباني، لأمرين: تغير حجاج بن محمد المصيصي الأعور، والإدراج الواقع فيه من قبل ابن جريج وقد نص عليه الحافظ في الفتح (٨/ ٢٦٢). فهل هكذا يكون التصحيح يا أبا الفتوح!؟

(٢) مقتصرا على الصحيح حسب دعواه، في حين أنه لا زالت بعض الضعاف فيه تشينه وتكدر صفوه، من ذلك: حديث «آخر شربةٍ تشربه من الدنيا شربة لبن» رقم (٤٢١). قال: «رواه أحمد (٤/ ٣١٩) بسند صحيح». **قلت**: بل ضعيف فيه علتان: الأولى تدليس حبيب بن أبي ثابت وقد عنعن والثانية الإرسال؛ لأن أبا البختري لم يسمع من عمار ولا من غيره من الصحابة. هكذا يكون التصحيح وإلا فلا.

نفس شيخه عليه اختصار الخصائص، وقال بأنه سبقه إليه، وجمع آيات التوحيد، وقد سبقه جمال الدين القاسمي في "دلائل التوحيد" والدكتور الهلالي في "سبيل الرشاد"، وبالجملة، فتآليف الشيخ المربي كلها على هذا المنوال، لا يعجز عنها إلا من يعجز عن الكتابة والنسخ، ولعله يفكر الآن في اختصار القرآن لإنهاء السلسلة، نسأل الله العافية. وبالمناسبة فقد حدثني الثقة عن الشيخ عبد الله بن الصديق، وقد كان من أخص تلاميذه أنه حدثه مرارا أنه ينقم على أبي الفتوح أمرين: دعواه النسب النبوي، ودعواه المشيخة الصوفية، كما حدثني عنه ـ وهو من أعجب ما سمعتُ ـ أنه كان في أواخر عمره ينكر وحدة الوجود، ويناظر شقيقه عبد العزيز الذي كان كأخيه الأكبر أحمد، غالياً فيها لدرجة المقت، وألف مجلداً قصره عليها سماه "السوانح" أورد فيه عشرات الآيات والأحاديث، معظمها لا يصح، حَسِبَها تشهد لزندقته، وقد كتبت ردا عليه سميته "تحصين الجوانح، من سموم السوانح" لأنني لما رأيته، لم أستطع السكوت عنه، وهو من الكفر البواح. وبالجملة فحالي مع مُحْدِث البُرِيجَة (بضم الميم وكسر الدال) عَدْنَان زُهار ـ وسيأتي شرح هذا الاسم ـ كما قال علي بن الجهم ولله دره: [الوافر]

بَـلاءٌ لَـيسَ يُشـبِهُـهُ بَـلاءٌ عَداوَةُ غَيـرِ ذي حَسَبٍ وَدينِ
يُبيحُكَ مِنهُ عِرضاً لَـم يَصُـنهُ وَيَرتَعُ مِنكَ في عِرضٍ مَصونِ

وقد أتاني الأخ بدر بكتاب عدنان أواخر شعبان، فلم أشأ أن أخوض مع المبطلين، ورمضان على الأبواب، وبعد العيد وافاني بدر ـ سدَّده الله وجزاه خيراً ـ بردِّه عليه، سماه: "وقفات مع عدنان زهار في دفاعه عن الشيخ

أحمد بن الصديق الغماري" في (٣٥) صفحة بالحرف الصغير، وقد قرأتها فألفيتها وقفات موفقة مؤيدة، استوفى فيها أغراض البْريجي، وناقشه بأدب وموضوعية، دون تهويش ولا تهويل ولا تكرار ممل، وترديد للتكذيب والتخوين، دون دليل ولا حجة، كعادة عدنان الذي أخرج كتابه من بين فرث ودم، فبرز خلقاً مشوهاً، بعد ما سكت عنه الغضب. ومن تأمل (وقفات بدر) بإنصاف، وجدها كافية مفحمة، وإن كان عدنان سوف لن يسكت؛ لما فُطِر عليه من اللدد والخصومة التي كان بها أبغض الرجال إلى الله، و«أبغض الرجال إلى الله الأَلَدُّ الخَصِم» كما ورد[1]، ونحن معه كما قال الشاعر ـ وهذا قدرنا ـ: [السريع]

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرهْ

وقد رأيت قبل الكلام على فواقر أبي الفيض في الفصول العشرين التي تتألف منها "صحيفة سوابق" أن أسجل (طُررا) على هامش دفاع عدنان أرد بها عُدوانه عليَّ، وأضع لها رقما مسلسلاً، منبّهاً على مسائل وفوائد مهمة، ومشيراً إلى أنني لم أستوعب جرائمه، فإنها بلغت من القرف حداً أثار الغثيان، فمررتُ بها مُرور الكرام باللغو، وهذا أوان الشروع في الطُّرَر.

---

(١) رواه البخاري (٢٢٧٧).

الطرر الكاشفة للعدوان والبهتان

من عدنان زهار وشيخه أبي الفتوح

(**الطُّرة ١**): تتعلق بعنوان الرسالة "دفاع عن كرامة وعرض سليل الأشراف.."، ففي وصف سليل الأشراف، يعني أنه شريف الأب والأم، وأبادرُ فأقول قبل كل شيء: أنا لا غرض لي في هذا البحث، وأنا أعلم أن الناس مُصَدَّقون في أنسابهم، وأن الطعن فيها من خصال الجاهلية، والمقصود التنبيه[1] على شيء غير معهود بدافع الشفقة على الأدعياء، وهم يعلمون ما ورد فيمن انتسب إلى غير مواليه من اللعن والحرمان من الجنة، ونحن نعلم أن نسب أبي الفيض من جهة الأب والأم لم يتناوله النسابون في المغرب وغيره، وهم كثيرون، وكتبهم متداولة، وقد راجعناها فلم نجد من أشار إلى نسبهم إلا إدريس الفضيلي، وهو متأخر جداً (ولد سنة ١٢٦٠هـ، وتوفي سنة

---

(١) وما أنا بشاذ في هذا الباب، بل سبقني إلى هذا ابن عمهم الأستاذ المهدي المومني التجكاني رحمه الله صاحب كتاب "دار بريشة أو قصة مختطف"، الذي بارزهم بالطعن، وناظر في ذلك الشيخ عبد الله بن الصديق في محفل بتطوان فأفحمه، لكن الشيخ عبد الله أسرها في نفسه، وعرض به في كتابه "سبيل التلفيق" بكلمة عوراء، لا تنطلي إلا على أعمى القلب والبصيرة. مُراد الشيخ كتاب "سبيل التوفيق في ترجمة عبدالله بن الصديق" وهي بقلمه، وقد طُبعت في حياته. (الناشر)

١٣١٢هـ)، فقد أوردهم في "الدرر البهية والجواهر النبوية" ونسبهم إلى سليمان أخي إدريس دفين عين الحوت قرب تلمسان[١]، في حين أنهم ينتسبون أدارسة كما بينه أبو الفيض في "سبحة العقيق"، واختصارها "التصور والتصديق[٢]"، وهذا بدون شك يدعو إلى التوقف والورع، لأنه

---

(١) قال خلال الفصل الثالث في ذكر أبناء الفرع الثالث من فروع مولانا عبد الله الكامل وهو السيد سليمان: «وفرقة بغمارة وهم أولاد عبد المومن، ورجع بعضهم لتلمسان، وجميعهم أولاد السيد عمر الشريف بن أحمد بن محمد العابد بن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل». (٢/ ١٧٧). هكذا ذكر هذا الكلام دون دليل يعضده، ولا يقال بأنه أعلن عن منهجه في المقدمة بقوله: «وقد التزمت بحول الله أن لا آتي إلا بما صح لديَّ، أو أداه خيار الثقات إليَّ...». (١/ ٢٧). **قلت**: لكن أعوزه البيان في هذا المكان، وعلى الأخص فيما انفرد به دون غيره؛ لأنه لا يكتب لنفسه؛ بل يكتب لمن سيأتي بعده، من ناقد متثبت، وها هو ذا سلط عليه المعول من أبناء الفرقة، حيث ردوا عليه الدعوى، ووسموه بالوهم والغلط في الفتوى، ثم أوقفني الأخ بدر العمراني على كلام لشيخنا العلامة النسابة المؤرخ أبي الإسعاد عبد الحي الكتاني في رده على ابن خاله الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في المسمى "إعلام الحاضر والآت، على ما في سلوة الأنفاس من الهنات" في ترجمة أحمد بن عبد المؤمن جد الشيخ أبي الفيض ووصْفِه بالشريف: أنه لم يعرف لا هو ولا أهل بيته بالنسبة النبوية، وإنما يعرفون بالمرابطين!... إلخ.

ومما يدل على الخلل والخطل، وعدم التثبت فيما ادعى، قوله في آخر الفصل: «فهذا ما وسعني تقييده من هذه الفروع المباركة، وقد كثر فيها الادعاء، فيجب الاحتياط فيمن ينتسب إليها، والله الكريم الستار، الفاعل المختار، لا إله إلا هو خالق كل شيء». (٢/ ١٧٨).

(٢) أتى فيها بدعاوى لا خطم لها ولا أزمة، كالتبجح بظهائر الملوك العلويين - وعلى الأخص ظهير السلطان إسماعيل، الذي اكتفى بالإشادة بجهوده في جمع وتنقيح الأنساب الشريفة - دون ذكْر نصِّ ظهيرٍ واحدٍ يركن إليه؛ إلا ظهير يوسفي؛ في صحته نظر، وقد قيل: إنه =

شبهة قوية في موضوع صعب، عِلْماً أن نسّابة المغرب لم يَدَعُوا نسباً مهما كان خفياً إلا نبّهوا عليه، وتتبعوا ذلك، بأوامر سلطانية، وعيّن لذلك نقباء عدة كما هو معروف[1]، وما يقال عن نسب أبي الفيض من قبل الأب كذلك يقال من قبل الأم، فإن نسب بني عجيبة لم يثبت، وقد قيل بأن الشيخ أحمد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وهو يقول له: أنت ولدي حقاً، ومع ذلك فلم يكن ينتسب إلى البيت النبوي تورعاً، وكان يقول: فحسب المرء دينه وشرفه تقواه، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات:١٣]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنه لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى». أو كما قال عليه السلام[2]. لكن غلبت عليه شقوته واطمأن للترهات والمرائي التي لا يثبت بها حكم أو نسب، فانتكس وقال: وقد كنت أتنكب الانتساب

= عمل بيد - ولا تستنكر هذا الاتهام فله شواهد تعضده، انظر ما سطره في جؤنة العطار (٣/ ١٣٤)، طريفة (١٣٦) -، إذ لو كان بيده أعلى من هذا لأورده؛ ولكن الغريق يتمسك بقشة كما يقولون.

(١) **وبعد هذه الطعون الواضحة الجلية**، أترك للقارئ الفطن فرصة التأكد من سلسلة نسبهم المزعومة من خلال تطبيق قاعدة ابن خلدون، القائل: «إنا إذا شككنا في نسب، حسبنا كم بين من في أوله ومن في آخره من السنين، جعلنا لكل مائة سنة ثلاثة أنفس، فإنها مطردة عادة، وإن أخرمت فبالزيادة». وهذه القاعدة نقلها الحافظ ابن حجر عن ابن خلدون ثم قال: «ولقد اعتبرنا بها أنساب كثير ممن أنسابهم معروفة فصحت، وأنساب كثير ممن يتكلم في أنسابهم فانخرمت». انظر نظم العقيان للسيوطي (١٣٨).

(٢) الفهرسة ص (١٩).

وأتحرج منه في شهادتي وكتبي لعدم تحقق ذلك حتى رأيت شيخنا (أي: البوزيدي) وشيخه (أي: الدرقاوي) يصرحان به في كتبهما لي ولأخي، وهما يتكلمان بالله وينظران بنور الله فعلمت صحة النسبة مع الحكاية المتقدمة قبل. والرؤيا التي رآها الشريف العلمي وغيرها، فقوي اليقين بصحة النسبة، والله تعالى أعلم[١]. وهذا لا قيمة له في الميزان العلمي، والله المستعان على ما يصفون.

وبالمناسبة نقول عن نسب شيخ عدنان الأثير أبي الفتوح بأنه شديد التمسك بالنسب النبوي، لما يتوهمه فيه من النفع والمجد كمشايخه الغماريين، وإن كان شيخه أبو الفيض لم ينعته في فواتح رسائله بهذا الوصف على خلاف عادته مع الأشراف، فهذا رصيفه البقالي ذو اللحية الحمراء، وعدوه اللدود[٢]، يصفه شيخهما أبو الفيض بالشرف في رسائله إليه وهي كثيرة وقفتُ عليها، وهذه رسائل الشيخ إليّ وهي تناهز المائة وكلها كما يعلم أبو الفتوح متوّجة! بهذا الوصف الفَضْلة الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، وإنما أتكلم الآن بلسانهم مجاراةً لهم، ومن الوقاحة بمكان واقتحام عقبة الباطل دعوى أبي الفتوح النسب النبوي وإثباته سلسلته ـ وهي قطْعاً مما عملت أيديهم ـ نقلاً عن رجل سماه (ابن الحوات)[٣] ذكره في تقييده الشهير!؟

---

(١) الفهرسة ص (٢٠).

(٢) يعني المؤلف؛ نفسه؛ لأن الشيخ ـ حفظه الله ـ شريفٌ، وقد خاطبه أحمد الغماري بهذا في كثير من رسائله إليْه، كما يُعلم هذا بالوقوف عليها. (الناشر).

(٣) انظر حياة الشيخ أحمد ابن الصديق ص(١١٤).

والواقع أن ابن الحوات هذا هَيَّان بن بَيّان، أو صلمعة بن قلمعة، أو عوج بن عنق، لا وجود له بين الخلائق، وتقييده (الشهير) لم يسمع به، فهو كأوراق الكنوز والجداول وكتابة العطف والمحبة الموجودة بكثرة عند الفقهاء المشارطين في البادية، وعهدي بأبي الفتوح يُعْنى بها، ويبحث عنها، ويُجَربها، ويجيز بها[1]، لما كان يُعانيه من فقر وحاجة، والمعروف بعلم الأنساب هو النسابة الأديب أبو الربيع سليمان الحوات العلمي، وله عدة كتب في الأنساب، ولا يعرف أنه تناول هؤلاء بكلمة، فهل يثبت النسب الشريف برجل نكرة غير مقصودة، يُسمى (ابن الحوات) في تقييد مجهول لا خطام له ولا زمام، ولكن لا غرو ممن يفتات على الله ورسوله، ويعيش عمره في الترويج للرؤى والمنامات، ودعوى رؤية الأنبياء والرسل؛ بل رؤية رب العالمين، وجمع الناس على السماع المذموم والرقص اليهودي، وهو في نفس الوقت يزعم أنه خادم الحديث بالمغرب، وأنه يدعو إلى العمل بالسنة، وهذا لعمر الله الدَّجل والبُهتان، فكيف تستوي الظلمات والنور؟

(**الطُّرة ٢**): حول (تقديم) أبي الفتوح لكتاب عدنان، فإنه يتضمن مغالطات، وفيه كذب مفضوح، وهو يعرِّض بي بالدرجة الأولى، ويمزج ذلك تلبيساً وتدليساً بمؤلف "تنبيه القاري" وشيخه المغراوي، ومن العجب أن يصف الشيخ وتلميذه فواقر أبي الفيض بهفوات اجتهادية مغفورة له، والتي لا

---

(١) فقد ورد في نموذج إجازته المتداول بأيدي تلامذته: «فقد أجزت... أن يروي عني كل ما صح لدَيَّ من... وعلم أسرار الأسماء والحروف...» تأمل.

يخلو منها عَالِمٌ في كل زمان ومكان ـ على حد تعبيره [ص:ب] ـ، فهل اعتقاد وحدة الوجود، واعتقاد أنها ما انطوت عليه ضمائر الأنبياء والمرسلين، والأولياء والصالحين، من عهد آدم إلى النفخ في الصور، ومن لم يعتقدها فإيمانه مدخول ـ مع أن العلماء المحققين بحثوا عن تلك الموبقة فوجدوها عريقة في الوثنية، وأنها لم تظهر في الإسلام إلا في القرن الثالث ـ ومن يعتقد إيمان فرعون (حشره الله معه)، وأن إبليس كان على حق لما امتنع من السجود لآدم؛ لأنه ـ أي: إبليس ـ هو الله تعالى، فكيف يسجد لنفسه؟ ومن يرجح فناء النار[1]، وأن عذابها قبل فنائها عذب لذيذ، وأن جماهير العلماء والأولياء في مختلف العصور لم يفهموا التصوف الحق أي الباطني الوثني؛ لأنه لا يُدرك إلا بالذوق، كما زعم اتباعاً لأسلافه الزنادقة، وهل من زعم أن نبوة التشريف ما زالت مستمرة، وأن النبي بل والأولياء يعلمون الغيب حتى الخمس التي استأثر الله بها،... إلى غير ذلك من المصائب والبوائق التي لا تمحوها البحار، ومن آخرها وقد مات وهو يلهج بها: المطاعن في عدد من الصحابة والوقيعة في بعض أفاضلهم كخال المؤمنين، وكاتب وحي رب

(١) القول بفناء النار، نُسب إلى غير واحدٍ من السلف، كما في "شرح الطحاوية" لابن أبي العز الحنفي (١/ ٤٨٤)، ويميل إلى القول به الإمام ابن القيم، ومنسوبٌ هذا القول أيضاً إلى شيخه: ابن تيمية، لكن نشر الدكتور محمد السمهري رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية، ينصر فيها القول بأبدية النار، وأنها لا تفنى، فالظاهر أن هذا ما ترجح عنده آخراً. والله أعلم. (الناشر).

أما عقيدة أهل وحدة الوجود كابن عربي فإن النار تصير لأهلها طبيعة نارية يتمتعون بها كما في "فصوص الحكم" (١/ ٩٤) وحينئذٍ: فلا خوف، ولا عذاب. (الناشر).

العالمين، سيدنا معاوية بن أبي سفيان، وإنكار عدالة الصحابة، وتسجيل أن أغلبهم كانوا يبغضون علي بن أبي طالب (هكذا بخطه: أغلب الصحابة)، فيلزم عليه أنهم منافقون للحديث المعروف: «لا يحبك إلا مومن ولا يبغضك إلا منافق»[١]، فهل هذا وغيره هفوات اجتهادية (مغفورة له)؟!، وهذه جرأة على الله تعالى، فمن أنبأ أبا الفتوح بأنها مغفورة له، وكيف تكون لا يخلو منها عالم في كل زمان ومكان، وقد حكم الفقهاء في باب الردة من الفقه في جميع المذاهب بردة من يرتكب أقل منها كما يعلم من مراجعتها، فما نقول في هذا الفدم[٢] الغبي الدعي؟ على أنني أعترف بعلم الشيخ وفضله، ولكن هذا لا يحول بيني وبين الشهادة بالحق والجهر به، عملاً بقاعدة الولاء والبراء، وأنها من أوثق عرى الإيمان، ولا يحصَى من العلماء من حذّروا من آبائهم ومشايخهم؛ لَـمَّا علموا أنهم غير ثقات، وكلامهم في الجرح والتعديل مدوّن مشهور، ولولاهم لدخل الوهن باكراً في الإسلام، وما أظن هذا يخفى على أبي الفتوح، ولكنها الأهواء تعمي وتصم.

(الطُّرة ٣): فاتحة الرسالة وما حشاها به من سباب وشتائم وأكاذيب سيعيدها ويكررها مراراً إلى حد الإملال؛ لأنها كلُّ ما في جعبته، والمضحك أنه عزا ذلك إلى أننا نأخذ العلم من الكتب والمجلات، بينما هو زاحم الشيوخ بالرُّكب والسماعات، وهو في نفس الصفحة (٣) لم يُقِمْ بيتاً سائراً من

---

(١) رواه مسلم (٧٨) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) قال في "لسان العرب" (١٢/ ٤٥٠) مادة (فدم): «الفدم من الناس: العيي عن الحجة والكلام، مع ثقل ورخاوة وقلة فهم، وهو أيضاً: الغليظ السمين، الأحمق الجافي».

الشعر، وله من هذا الكثير من اللحن الفاحش، وَكَسْرِ أبياتِ الشعر؛ مما يدل على إفلاسه، وقد أحصى الأخ (بدر) في "وقفاته" بعضاً منها، ومع هذا لم يستح من مهاجمة الشيخ المغراوي على خطإٍ وقع منه في أول تقديمه، فكان كما يقول المغاربة في أمثالهم: «عْجُوزَهْ قْبْضتْ سارقْ».

(**الطُّرة ٤**): قوله: إنه لما أعاد قراءة رسالة "تنبيه القاري" بعد ذهاب الغضب، ازداد يقيناً، أن الفاري ـ بالفاء من الفَرْي وهو القَطْعُ ـ قطع الله أوداجه ـ ليس له من تلك الرسالة إلا النقل عني، وأنا الذي كتبتها، وجزم بأن الأخ أبا سفيان لم ير كتب الشيخ لا المطبوع منها ولا المخطوط، (هكذا، كأن كتب أبي الفيض بالمرّيخ حتى المطبوع منها)، ثم صَبَّ جام غضبه على شيخه العلامة الأديب الشريف أبي أويس ـ بالأمس ـ والخائن الكذاب الذي قلب ظهر المجن لشيخه، ومُوجده من العدم، والمنعم عليه بكل شيء، كما يقوله أشقاء الشيخ وأعداؤه عليّ ـ عاملهم الله بما يستحقون ـ ثم ما هذه الأسرار التي ائتمنني عليها الشيخ أيها الجهول الإمّعة؟ والحق أن الأسرار التي كان الشيخ يأتمن عليها وارث شره[1] ـ بالشين المعجمة ـ هي ما كان يراسل به شيخك أبو الفتوح أبا الفيض من فضائح رشّحه لها وأوصاه بالإخلاص فيها وإخباره بكل شاذة وفاذة مما يتعلق بإخوته الثلاثة[2]، وقد

---

(١) الأصل أن تكون "وارثُ سِرِّه" بالسين، وهو تعبيرٌ درج عليه المتصوفة، ولكن الشيخ عدل عنه؛ لمناسبته لحال الكرفطي وما آل إليه أمره؛ في إحيائه لبدع شيخه، ومحاربته لأهل السنة، كما بين هذا الشيخ ـ حفظه الله ـ بجلاء في هذه الرسالة وغيرها. (الناشر).

(٢) يعني: عبدالله، وعبدالعزيز، ومحمد الزمزمي. (الناشر).

قام أبو الفتوح بهذه المهمة شر قيام ـ كما هو موجود عندي بخط الشيخ ـ متجاهلاً أنها نميمة، وأن صاحبها لا يدخل الجنة[١]، وقد حذرته أنا منها وهو معي في بيتي، فصارحني بأنه لن يتخلى عنها، وأخبرني الدكتور إبراهيم أخو الشيخ: أن رسائل أبي الفتوح عندما كانت تصله[٢] وهو بالقاهرة؛ يُعاني من مرض القلب والسكري والضغط، كان ينتكس في مرضه، والأطباء يُوصونه بأن لا ينفعل! وهكذا كان أبو الفتوح يسعى في هلاك شيخه؛ ليخلو له الجو لدعوى المشيخة، وهكذا كان، فما مضى على وفاة شيخه إلا قليل حتى قام (بثورته الروحية)، وأعلن وراثة الشيخ، وصاح وتحامق: (جددوا عليّ)، فنجح بدجله وشعْوذته في وسط معروف بالغفلة والحمق، بشهادة المؤرخين؛ إلا أنه بعد قضاء غرضه، عدّل من سلوكه، وأنكر كثيراً مما كان يمارسه، ووجّه وجهته نحو السعودية، وهذا كما قال شيخنا الألباني ـ طيب الله ثراه ـ عن الشيخ عبد الفتاح أبي غُدة[٣]: «تغيير شَكْلٍ، من أجل الأكل»، ألا يستحيي من هذه حالُه أن يصف الناس بما هم براء منه.

ثم استسمح المؤلف عدنان سادته أن يُولّوه سَرَف (بالسين المهملة) الرد، ويؤثروه بفضيلة الكذب والبهتان، والعدوان والطغيان!! ففعلوا، وواصل القراءة.

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٥٥٩٦) عن حُذَيْفَةَ مرفوعا: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ».

(٢) المقصود: الشيخ أحمد الغماري. (الناشر).

(٣) انظر لكشف حاله "مقدمة شرح الطحاوية" طبع المكتب الإسلامي، و"كشف النقاب عمّا في كلمات أبي غدة من الأباطيل والافتراءات" كلاهما للألباني، (الناشر).

(**الطُّرة ٥**): ثم استسمح عدنان القاري على ما في رسالته من القسوة؛ بل القذف بالباطل والبهت والزُّور، وأنه ارتكبه عملاً بآية: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[النساء:١٤٨]، وهو يعلم أن الاستدلال بهذه الآية على عدوانه ووقاحته هو، لا يصح؛ لأنها تتعلق بمن ظُلم ـ بالبناء للمجهول ـ وهو أبو الفيض، إن كان هناك ظُلْمٌ لغةً وشرعاً، والحق أنه جهاد في سبيل الله، وتجريح من لا يجوز السكوت عنه، وقد أَلَّف شيخ أبي الفتوح وشقيق المؤلف وعدوُّه الألد، الذي كتب عليه ما يستحيى من ذكره ـ وربما أذكر بعض ذلك ـ عبدُ العزيز: "وثبة الظافر، بصحة حديث «أَتَرِعُون عن ذكر الفاجر»" وتمامه: «هَتِّكُوه يَحْذَرْهُ الناسُ»، وهو حديث ضعيف[(١)]، لا كما زعم عبد العزيز، وهو لم يؤلفه ذباً عن الحديث وإنما فعل ليتكئ عليه في ثلب عرض أخيه وشقيقه وولي نعمته، وكنيته بأبي الغيظ ـ بالغين المعجمة والظاء المشالة ـ، ونسبته إلى بني سعيد[(٢)]، ووصفه بفرعون التجكانيين، بل

---

(١) قال العراقي في "المغني عن حمل الأسفار" (٢/ ٨٢٤) بعد أن ذكر متنه: «...الطبراني، وابن حبان في الضعفاء، وابن عدي، من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، دون قوله (حتى يعرفه الناس)...»، وفي "ذخيرة الحفاظ" (١/ ٢٢٧): «...قال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر». وانظر أيضاً: "المقاصد الحسنة" ص(٥٦٢-٥٦٣).

(٢) وهي نسبة فيها قدح، لما اتصف به أهل هذه القبيلة من طبائع فاسدة، وأخلاق غير مرضية، أجملها الفقيه العلامة الأديب مفضل أزيات في قصيدة هجا بها أهل قبيلة بني سعيد، افتتحها بقوله: [البسيط].

بنو سعيد لأهل البغي واسعة ... ولذوي العلم دار الضنك والضيق

فما بها سكن لعالم لا ولا ... لفاضل لا ولا مأوى لصدّيق

=

حمله الغيظ والبغض إلى وصف والده بالغفلة في حكاية له مع (بوحمارة) عندما زار طنجة، وقد أودع هذه الفضائح وغيرها كتابه "السفينة المشحونة"[١] التي جمعها مضاهاة لشقيقه مؤلف "جؤنة العطار"[٢] كما نفسها عليه شقيقه الآخر عبد الحي، فألف "المجتبى"[٣] في مجلد، وعندما وقفتُ على هذه الكتب، استعذتُ بالله من الشيطان الرجيم، وأنشدت قول الشاعر: [البسيط]

لقد حَكَيْتَ ولكنْ فاتَكَ الشَّنَبُ

ثم ذكر عدنان أنه سمى رسالته "نهج السداد والتوفيق، في دحض افتراآت المفترين على الشيخ أحمد ابن الصديق"، ولكن شيخه وقدوته غيّر اسمها إلى "دفاع عن كرامة وَعِرْض...". **قلت**: وحقه أن يسميها "نهج الحِداد والتلفيق..." حتى يكون هناك انسجام بين المحتوى والعنوان.

(**الطُّرة ٦**): في ص(٦-٧) ذكر عدنان ترجمة الشيخ، وقد ضخم بها حجم الرسالة؛ لأن ترجمته معروفة على بلايا فيها، من ذلك نقل عدنان عن شيخه ـ وأَكْرِمْ به من شيخ ـ الزنيم المقبوح، الأنوك المتعالي، محمود سعيد ممدوح، وهو من أسماء الأضداد، أنه ـ أي أبا الفيض ـ حافظ بشهادة جمع،

=

أقوامها همج، أفعالها قمج أحوالها سمج، إنتاج زعبيق

(١) وقفنا عليه، وفيها ما يستحي من ذكْره كل ذي دين؛ ومنها رسالة في "الغنج" للسيوطي، لا يليق عرضها لأهل المروءات. (الناشر).

(٢) وقفنا عليها، وقد حوت غرائب، وفيها كسابقتها، ما يخدش الحياء، ويشينُ غايةً.

(٣) لم نقف عليه، وتكفينا شهادة الشيخ على هذه الكتب بالتَّلف. (الناشر).

وأنه امتاز عن الحفاظ بالأمالي الحديثية، والمستخرجات، وأنه كان يملي بجامع طنجة ثمانين حديثا هكذا بالضبط[١] إلخ. وأقول: بأن محموداً المصري وتلميذه عدنان لا يعرفان الشيخ ولم يرياه، فكيف ينقلون ما لا علم لهم به عمن لا يعرفونه؟! والواقع أن أبا الفيض لم يكن كذلك تماماً؛ ولكثرة مخالطته لكتب الحديث: كان كغيره من علماء الحديث المعاصرين، يستحضر متوناً متداولةً من أحاديث الأحكام. ومن الطرائف ما كنتُ أسمعه بمصر والشام والحرمين من بعض الأغرار، الذين لا علم لهم كمحمود وعدنان أن أبا الفيض كان يستظهر الصحيحين معاً! وبعضهم يقتصر على صحيح البخاري، فكنتُ أَرُدُّ عليهم: بأنه لو كُلِّف سردَ كتاب واحدٍ من كتب الصحيح عرضاً لما استطاع، وأماليه كان يتكلّف لها ويعاني حفظ أسانيده النازلة، ولا يبلغ هذا نحو عشرة أحاديث إلى عشرين، أما ثمانون فأجزم جزماً قاطعاً أنه لم يفعل ولا يستطيع. وأحسن الإخوة إلقاءً وأكثرهم حفظاً الشيخ الزمزمي[٢] رحمه الله، أما الثلاثة الآخرون، فعبد الله كان ألثغ تقريباً، يشق عليه الحفظ والكتابة، وعبد العزيز لم يستطع قراءة حديث أبي مسلم الخولاني وهو من أحاديث الأربعين النووية، وأنا معه بدار الحراق بتطوان[٣]؛ بل لم

---

(١) ذكر هذا في كتابه "تشنيف الأسماع بذكر شيوخ الإجازة والسماع" وغيرها من كتبه. (الناشر).

(٢) وقائعه مع إخوته معروفة، وقد انسلخ من الزاوية وتبرأ منها؛ فتألّب عليه إخوته، وجرت بينهم مناظرات قلمية، ومحن. (الناشر).

(٣) وانظر القنبلة الذرية على الخطيب الذي يأمر الناس بحلق اللحية ص(١١).

يكن يحفظ القرآن ولا نصفه[١]، وأعجز منه في هذه الناحية الأصولي المنطقي!! عبد الحي. ثم إن الأمالي والمستخرَجات لا فائدة كبيرة فيها، وإن كان لها اعتبار، فَقَبْل ظهور المطابع؛ كحفظ الأسانيد، والمستخرجاتُ إيرادُ أسانيدَ نازلة جداً، من المؤلف إلى شيخ المستخرج عليه، بطريقة مُمِلَّةٍ جداً، وقد فُرِغ من هذا النوع من الحديث بما أُلف فيه من مستخرجات على الكتب الأمهات، فهذه لقدمها يستفاد منها في تقوية الحديث وجمع ألفاظه. وقد أطلعني الشيخ على "وَشْيُ الإهاب"[٢] عشية قدومه طنجة قادماً من (سلا) بعد خروجه من الاعتقال، فإذا هو في ثلاث مجلدات ضخمة كلها أسانيد لا تتخللها فوائد ولا عِلْم إلا نادراً.

أما عن سلوكه وأخلاقه ووطنيته وثورته ضد الإسبان، فالحاضر (كبوخبزة) يرى ما لا يرى الغائب، فإن الشيخ كان متقلباً؛ فهو مع الإسبان ـ كغالب أقاربه ـ ما داموا يُعطونه، وقد ذهب إلى إسبانيا ولقي الجنرال (فرانكو) مهنئاً بعد الحرب الأهلية، فأهداه هذا سيارة، باعها بسبتة، وقد حدثتني حَماتي وهي شقيقته، أنه أقام مأدبة كبرى للحكام الإسبانيين اشترى لها خمسين صحناً من الخزف الصيني الرفيع، وظل النساء يصنعن الحلويات أياماً عدة؛ لإطعام الكفرة المستعمرين، والغريب أنه لم يحضر لمأدبته المقيم

---

(١) وعيّره بذلك شقيقه الزمزمي في رسالة القنبلة الذرية ص(١٠).

(٢) اسمه "وشي الإهاب في المستخرج على مسند الشهاب"، كما في كتاب "البحر العميق في مرويات ابن الصدّيق" ((١/ ٤١) ـ مخطوط) وهي ترجمة كتبها لنفسه، وطُبعت قريباً في مصر، وإنما أَحَلْنا على المخطوط؛ لأنه الذي بين أيدينا الآن. (الناشر).

العام، وإنما حضر الحكام المدنيون، وقد تمخضت تلك الحماقة التي زعمها جهاداً وحرب عصابات عن مآسي ذهب ضحيتها ناس، وعُذب ناس، ونالني من رشاشها، ولم يرض الشيخ الزمزمي بما يفعل شقيقه فهاجر إلى تطوان. أما حرصه على إحياء السنة، ومنها خُروجه حافياً بطنجة فهو من آثار عين (برقان) التي ذكر المؤرخون أن من شرب منها اختل عقله[1]، وهذا كثير في تصرفات الشيخ، ومما لا يعرفه عدنان وشيخه ممدوح أن الكتانيين ـ وهم أصدقاؤه الخُلَّص ـ كانوا يقولون عنه بأن علمه أكثر من عقله، أما ما ذكره المؤلف من خصائص الشيخ التي لم يتصف بها أحد من (المتمسلفين) يعني أدعياء السلفية: أنه لم يأخذ أجراً على الإملاء والتدريس، ولا أدري مستنده في هذا التعميم، وأنا أعرف الشيخ ناصراً الألباني ـ طيب الله ثراه ـ يسافر للدعوة إلى السنة والتوحيد إلى عدد من المدن بسورية، ولبنان، والأردن، والسعودية، ويعقد دائماً جلسات للحديث والتفقه، سُجل كثير منها في مئات الأشرطة، ستُفَرَّغ قريبا وتطبع إن شاء الله، وكل هذا حسبةً لله، وهذا خصمك وشيخك ومجيزك ومفيدك رغم أنفك ـ (بوخبزة، لا بونبزة) كما سأحاسبك عليه قريبا ـ، سعى مع إخوانه في بناء معهد الشاطبي لتحفيظ

---

(١) قال في الروض المعطار (١٩٢٦): «وبخارج طنجة عين ماء طيب يسمونه: بَرِقال، ويقال: إنه يحدث الحمق لشاربه، فهم يُعرفون بذلك، فيقال لمن تهافت منهم: شربتَ ماء برقال، لا جناح عليك، وقال الشاعر:

بطنجة عين ماء وسط رمل ... لذيذ ماؤه كالسلسبيل

خفيف وزنه عذب، ولكن ... يطير بشاربيه ألف ميل»

القرآن وتدريس علومه بتطوان، ومنذ ثلاث عشرة سنة ونحن نُدرس أنا وأبنائي أويس، والمعافى؛ حسبة لله تعالى، فلماذا تهرف بما لا تعرف، على أنه من الحلال الطيب أن يتقاضى الإنسان مساعدةً قليلة من الأحباس؛ للخطابة والوعظ، بدل (الفتوحات والزيارات) التي يستولي عليها شيوخ الزوايا، وأرباب المصائب والرزايا، بطرق الكذب والشعوذة، ودعوى الولاية والكرامات المزعومة، والمنامات المعدومة، على أنه ما أسِّستْ الزوايا وبُنيتْ إلا لابتزاز ضعفاء العقول، واستغفال الأبرياء، وهذا الشيخ الزمزمي وهو من أبناء الزاوية ألف كتابا مثيراً سماه: "الزاوية وما فيها من البدع والأعمال المنكرة" وهو مطبوع، وأنصح عدنان بقراءته، وفيها حكاية الشيخ الزمزمي عن شقيقه أبي الفيض أنه رقص مرة في الزاوية وتواجد حتى سقطت عمامته التي بيعت بعد الفراغ من (العمارة) بخمس مائة ريال حسنية، اشترى بها الشيخ دارين، والعمامة لا تساوي (بصلة)؛ لأن صاحبها ليس بأهل للمشيخة ولا أن يكون مقدماً للزاوية... ولكن المتصوفة جهال لا يعلمون، على حد تعبيره[1]، فهل هذا حلال أيها الأفاك الإمعة؟ وهذا شيخك الأثير أبو الفتوح بُعيد وفاة شيخه أبي الفيض خرج مع ثُلة من مريديه ـ من أنعام البشر ـ للسياحة وزيارة الأضرحة، والدعوة إلى نفسه، فكان يُقيم (العمارة) في كل ضريح مشهور ويجتمع الناس ويشرع في الدعاء لكل من يقدم (فتوحاً وزيارةً للشيخ)، وحدثني الحاج عبد السلام الذيب الخمسي ـ وكان معهم ـ

(١) الزاوية ص(٧٤).

أنه اتصل به رجل ومعه زوجته بضريح (بوسلهام أو بويعزى) وطلب منه أن يأذن الشيخ في تخطي الفقراء على امرأته العروس لأجل أن تحمل مقابل هدية مغربية، قال: فاستأذنت أبا الفتوح فأذن، وتمدّدت المرأة على بطنها، وأخذ البهائم يتخطونها، وأخذ الشيخ الفلوس، وذهب الرجل الديوث، وهكذا استمر الشيخ في دجله وشعوذته إلى أن استوى على عرش المشيخة، وتزاحم الفقراء على التمسح به، وتقبيل يديه ورجليه، فهل هذه حال سنية ربانية أم شيطانية؟ وهل ما يجنيه هو ومشايخه من المال بهذه الوسائل حلال!؟

يا أُمَّةً ضَحِكَت مِن جَهلِها الأُمَمُ

(**الطُّرة ٧**): ثم عقد عدنان فصلا ص(٩) في ذكر أقوال العلماء في الشيخ، ومعلوم أن الجم الغفير من الأئمة والعلماء قديماً وحديثاً يتعرضون للمدح والقدح، ولا تكاد تجد واحداً منهم أجمع الناس على مدحه، والشيخ ليس بدعاً من الناس، فقد غلا في مدحه بالحق وبالباطل من أخذ بظاهره، واغتر بكلامه ومؤلفاته، ومنهم من اعتدل وتوسط، ومنهم من أفرط وظلم، والدكتور الهلالي رحمه الله كان يثني على علمه وسعة اطلاعه، وقد تحدث عن هذا في كتابه "الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة"، أما عقيدة الشيخ وسلوكه فقد سئل عنها عقب رجوعه من مأدبته التي أقامها الشيخ له بطنجة، إلى تطوان، فقال كلمته الشهيرة بمدرسة (لُوقَش) عنه: عالم الدنيا أفسدته السُّبحة.. أي: التصوف، وصدق رحمه الله على ما في قوله من مبالغة، وما نقله عدنان عن عبد الباري بن الزمزمي أنه سمع الهلالي يقول: بلغ أحمد بن الصديق

في علم الحديث درجة الإمام أحمد بن حنبل، كذبة صلعاء لا يقولها عاقل، وكيف يقول الهلالي هذا وهو يعلم أن الإمام أحمد جمع مسنده الإمام وطوّف عليه الأرض، حتى بلغت أحاديثه قرابة ثلاثين ألف حديث، كما هو في الطبعات الحديثة المرقمة، وأن تلك الأحاديث كلها كانت نُصْبَ عينه، وأن الإمام الشافعي وهو إمام أبي الفيض ومختاره من الأئمة عقوداً من السنين[١]، كان يرجع إلى الإمام أحمد ويسأله عن الحديث ويقول: إذا صح عندكم فأعلموني به لأذهب إليه[٢]، فهو والحالة هذه بالنسبة لأبي الفيض، وجود مع العدم، ولكن لا غرو، فإن أبا الفيض ولغ في عرض الإمام، ووصمه بالبلادة، وعداوة الصوفية، والنصب؛ كما ستراه إن شاء الله في فصول "الصحيفة"، أما كلمة السيد عبد الرحمن بن الباقر الكتاني، فيكفي في ردِّها؛ قراءتُها، وهو كسائر الكتانيين؛ يُلقون الكلام على عواهنه، وشعارهم في ذلك كما يقول أهل فاس: «اللِّي ما فيهْ صايَرْ كْثَّرْ منه»، هذا بالعامية، ومقصودهم بالفصحى: «كَثِّرْ مما لا نفقة ترجى من ورائه»، وقد

---

(١) انظر: "البحر العميق" ((١/ ٣٠) ـ مخطوط) وذكر أنَّ والده لَمَّا علم بانتقاله لمذهب الشافعي، فَرِحَ كثيراً، وحثه على الاعتناء به. لكنه بعد هذا نبذ التقليد، وادّعى الاجتهاد والعمل بالدليل، وصنف كتابه "الإقليد في تنزيل كتاب الله على أهل التقليد". قال عنه الشيخ بوخبزة: «وهو ـ والله ـ عبث بكتاب الله، وتفسير له بالرأي الفائل...».
انظر: مقدمة الشيخ ـ حفظه الله ـ لكتاب "ذم الأشاعرة والمتكلمين" لأحمد الغماري ص(١٢). (الناشر).

(٢) الخبرُ في كتاب "العلل ومعرفة الرجال" (١/ ٤٦٢)، ورواه أبو نعيم في "الحلية" (٩/ ١٧٠)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (١/ ١٧٣). (الناشر).

سمعت من بعضهم أن أبا الفيض عِلْمُهُ أكثر من عقله، والواقع أنهم لم يكونوا يعتقدون فضله بهذه الدرجة، وإنما كانوا يجاملون لحاجة في أنفسهم، والألفاظ العربية تفقد مدلولها الصحيح عندهم، كما تراه في كتب أبي الفيض في تراجم والده وجده. وكلمة فَنيدة (بشرى الحديوي) التي حققتْ بَلْ شَوَّهَتْ (حُصول التفريج)[1] أنها سمعت (بلا فْريج)، ينقل عن شيخه الألباني، أنه ما كان يصف أحدا بالحافظ إلا أبا الفيض، فالسند ضعيف؛ بل منكر، وأنا تلميذ الألباني، وقد ذاكرته طويلاً في شأن الغماريين، وقد تعرض في كتابه الممتع "تحذير الساجد عن اتخاذ القبور مساجد" لأبي الفيض ووصفه وصفاً صادقاً فهو المعتمد[2]، ثم لماذا لا يعتمد عدنان زُهار شهادة

---

(١) ومن فواقرها ما علقتْ به على قول الحافظ السخاوي: «ولأجل هذا وما يشبهه انتقد ابن الناظم - يعنب: أبا زرعة - وشيخنا - يعني: الحافظ -....» فَعَرَّفَتْ ابنَ الناظم بابن صاحب الألفية في النحو وشارحها! ولو تأملتْ سياقَ الكلام بروية لعرفتْ فسادَ زعمها وتحكم جهلها؛ لأن السياق يتكلم عن مسألة من مسائل مصطلح الحديث، لا مسائل النحو، هذا أوَّلاً، وثانياً: أن المؤلف أوضح وبيَّن من هو ابن الناظم حين ذكر كنيته في قوله: يعني: أبا زُرعة. وابن الناظم النحوي كنيته: أبو عبد الله. ثالثاً: أن السخاوي يشرح ألفية المصطلح للعراقي، فكيف يقصد بقوله: ابن الناظم، غَيْرَهُ. إذن، فالمقصود من ابن الناظم: أبو زُرْعة ولي الدين أحمد بن زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، صاحب كتاب "تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل".

قال الناشر: اسم الكتاب كاملاً: "حصول التفريج بأصول العزو والتخريج". ووقع في كتاب حياة الشيخ أحمد بن الصديق، للتليدي ص(٨٨): "...بأصول الغزو" بالغين، والظاهر أنه خطأ مطبعي.

(٢) قال الألباني في "تحذير الساجد" ص(٥٦)، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة =

أبي الفيض للألباني بأنه من الأفراد في علوم الحديث، وأنه كان يتقنه جداً جداً كما كتبه بخطه إليَّ على قلة إنصافه مع معاصريه[١]، والعجب من وصف شيخه إمام السَّقا له بالمهارة في النحو، وفرط ذكائه وسرعة إدراكه له، وهو مع ذلك لُحَنَة، وربما جمعت من لحنه المتكاثر ما يُغَبِّر في وجه هذه الشهادة، ويُلغي بركة والده، ومن الإنصاف الاعتراف بتقدم شقيقه عبد الله عليه في هذا المجال، فلا تجده يلحن أبداً، مما يؤكد أنه مؤلف شرح الآجرومية "تشييد المباني" المطبوع الذي نازعه فيه أبو الفيض[٢]، وليس له فيه إلا الإسم، ثم ذكر عدنان أبياتاً من الشعر، ومنها أبيات لي مدحته قبل أن أتوب إلى الله، قال: «وقال درقاوي خائب». كما سبق أن قال أيضا عند الإشارة إلى الرائية التي أعلنتُ فيها توبتي من الزاوية، ونَشَرَها مصطفى أبو سفيان في

= الرابعة، سنة ١٤٠٣هـ: «التقيت به منذ بضعة أشهر في المكتبة الظاهرية، وظهر لي من الحديث الذي جرى بيني وبينه؛ أنه على معرفة بعلوم الحديث، وأنه يدعو للاجتهاد، ويحارب التقليد محاربة لا هوادة فيها... ولكن الجلسة كانت قصيرة؛ لم تمكني من أن أعرف اتجاهه في العقيدة، وإن كنتُ شعرتُ من بعض فقرات من حديثه؛ أنه خلفي، صوفي، ثم تأكدت من ذلك بعد أن قرأت له هذا الكتاب وغيره، حيث تبيّن لي أنه يحارب أهل التوحيد ويخالفهم في عقيدتهم؛ مخالفة شديدة، ويقول بالبدعة الحسنة، وينتصر للمبتدعة، ولم يستفد من دعواه الاجتهاد، إلا الانتصار للأهواء وأهلها؛ كما يفعل مجتهدو الشيعة تماماً...». (الناشر).

(١) رسالة بتاريخ ٢٩ صفر ١٣٨٠هـ. وقد أوردها الكرفطي في در الغمام الرقيق فلتنظر ص(١٩١). قال (الناشر): وانظر: "الجواب المفيد للسائل المستفيد" ص(٦٠).

(٢) انظر البحر العميق (١/ ١٧). وانظر جؤنة العطار (٢/ ١١٨).

طليعة كتابه العُجاب "تنبيه القاري"، وأنا أسجل اعترافي بمدحي لأبي الفيض قبل أن أعرفه، وأقف على فواقره، لا كما قال عدنان الخائب بحق ـ خَيَّب الله سعيه، وعجل نعيه ـ بأنني قلتُ هذا قبل وثبتي على الشيخ، لا لداعٍ، والحق أن الوثبة المسدّدة كانت لدواع عدة، وهي البوائق التي أفردت لها هذه "الصحيفة".

(**الطُّرة ٨**): ثم أفرد عدنان زُهار فصلاً لكلام غير العلماء في الشيخ، وهو فصل (لا محل له من الإعراب) لأنه لا علاقة له بالترجمة، بل أولئك الذين نظّر عدنان بهم في الموضوع، هم في الواقع أعداء لُدّ للشيخ، ولو كان حياً لبَسَرَ وعَبَس في وجه عدنان الإمعة لذكْرهم معه، وطرده من بيته، وبصق عليه، وإلا فكيف يذكر الكوثري، وهو وتلميذه أحمد خيري باشا المصري، وعزت العطار الحسيْني؛ نشروا بالقاهرة مناشير يلمزون فيها أبا الفيض بالأُبنة واللواط، والسّكر، وما إلى ذلك، وقد وقعت بيدي هذه المناشير[1]، وأخذها الأخ بدر العمراني، وكتب عليها ردّا سماه: "كشف المستور، عما تضمنه هذا المنشور"[2]. والقرضاوي، ومحمد سعيد رمضان البوطي الكُردي (لا رمضان فقط فإنه أبوه)، ومتولي الشعراوي، وعبد الفتاح أبو غدة، يحسن

---

(١) وقفنا عليها، وقرأناها، وقد جُعِلَتْ في طَيِّ الغلاف الداخلي لكتاب "مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيّد البرية" لأحمد الغماري، وهذه النسخة من إهداءات المؤلف لأحمد خيري، وهي في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. (الناشر).

(٢) انظره بذيل هذه الصحيفة.

أن يراجع عدنان فيهم شيخه أبا الفتوح لنعرف موقفه منهم، فإنهم بلا شك من دعاة الضلال، وكلمات أبي غدة في نقد الألباني[١] أرسلها إليّ واعتذر عما فيها، ورجا مني أن لا أشيعها، وقد رد عليها الألباني برسالة مطبوعة[٢] سجل فيها حقائق ينبغي الاطلاع عليها عن صوفية الشام، وأحنافه، وفرط جهلهم، وبالغ عدائهم للسلفيين، حفظهم الله ووفّر جمعهم، وكبت أعداءهم، وأشار عدنان قبل ذلك إلى أن "تنبيه القاري" من إملائي على مصطفى، وهو ترديد لكذب فارغ فرغنا منه، كما أشار إلى وطنية أبي الفيض وأبيه، ولا أحب أن أتناول هذا الموضوع وعندي فيه وثائق تدفع المُنكِر، وتُفحم المعانِد، وكذلك جاسوسية الشيخ عبد الله[٣] التي ورط فيها نفسه واعترف بها، وكانت سبباً في محنته، ولنا فيها مواقف يعرفها أبو الفتوح نتركها الآن، وقد سجلها التاريخ الذي لا يرحم، نسأل الله العافية.

(الطُّرة ٩): ثم عقد عدنان فصلاً في أقوال العلماء في التحذير من الكلام في أعراض العلماء، وهو كالفصل السابق لا داعي إليه إلا تضخيم حجم الرسالة. ولا نزاع في تحريم الغيبة وأنها من الكبائر، إلا أن العلماء

---

(١) اسمها "كلمات في كشف أباطيل وافتراءات" الطبعة الأولى بالمطابع الأهلية للأوفست بالرياض عام١٣٩٤هـ. (الناشر).

(٢) اسمها "كشف النقاب عما في كلمات أبي غدة من الأباطيل والافتراءات" الطبعة الأولى سنة ١٣٩٥هـ، والثانية: ١٣٩٨هـ. (الناشر).

(٣) يعني: عبدالله بن الصديق الغماري؛ حيث اتُّهم بالتجسس لصالح فرنسا، وسُجن بسبب ذلك. (الناشر).

ذكروا لها مُسوّغات معلومة، منها جرح من يستحق التجريح؛ نصحاً وذباً عن الدين، قالوا: وربما كان ذلك واجباً حياطةً للدين، وذباً عن السنة، وانتصاراً للحق، وقد سئل الإمام أحمد عن الرجل يكثر من الصلاة والصوم والحج وغيره من نوافل الخيرات، وَغَيْرُهُ لا يفعل من ذلك شيئاً إلا أنه ينصر الحق ويحارب البدعة وأهلها؟ فأجاب الإمام: أن فعْل الأول لنفسه، وهذا[1] للمسلمين، نصيحةً. وقد نقل عدنان عن ابن رجب كلاماً طيباً في الموضوع، وكذلك عن ابن عبد البر، وقال بعده ص(١٦): «فكيف بربك لو سمع ابن رجب بهُراء الفاري، في الحافظ الغماري؟» فكتبتُ أنا عليه بالهامش رداً عليه: «وكيف لو سمع ابن رجب كلام الغماري فيه، وفي شيخه ابن القيم، وشيخه ابن تيمية، وتلاميذه الأبرار، كالذهبي، والمزي، وابن كثير، وابن عبد الهادي، وأضرابهم، وتصريحه بضلالهم، وأنهم أصابوا الإسلام في مقاتله»[2]، وأنه ما ضل من ضل إلا بقراءة كتبهم، ولا سيما إمامهم شيخ الإسلام ابن تيمية، فإنه قاء ما في صدره من القيح والصديد ذماً وسباً وشتماً، لم أعرف عن غير أبي الفيض أنه بلغ من الكراهية والبغض ما بلغه حتى لليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، وهو يكرر ذلك التذاذاً وتشبعاً، بمناسبة وبدونها، ويدعو عليهم بقوله: «قبّحها الله من عصابة»، ما عدا المزي فإنه غلا في حبه فجأة، وهو يعلم أنه من كبار تلاميذ ابن تيمية، وهكذا الرجل ذو أحوال شيطانية، وأهواء إبليسية، وقد بسطت في فصول

---

(١) أي: الثاني الذي يتحرَّى الحق ويحارب البدعة؛ فإن نفعه متعدي. (الناشر).

(٢) سيذكر الشيخ شيئاً من هذه المطاعن في الفصل العشرين. (الناشر).

"النصيحة" شتائمه ومطاعنه في ابن تيمية، ولم أستوعبها فراجعها لتعرف أي جريمة اقترفها أبو الفيض في حق أولياء الله حقاً، الذين جاهدوا في الله بالكلام والقلم والسيف والسنان، وأوذوا في نصرة الحق على يد متعصبة الفقهاء، ومبتدعة الصوفية المسؤولين عن ضياع دولة الإسلام ومجده، ونشر الضلال والابتداع وحمايته في ربوع العالم الإسلامي يومئذ. ومن ذلك التاريخ والمسلمون يخبطون خبط عشواء، في ضلالة عمياء، لا يرفعون للحق رأساً، ولا يهتدون سبيلا. إن هي إلا الزوايا والسماع والرقص والشطحات، وصحبة المردان، ومخادنة النسوان، ومشايخ الفتنة والضلال يخبون ويوضعون في نشر الخرافات، واعتماد المنامات ولم يفيقوا إلا وأمم الغرب الكافر تطرق أبوابهم، وتستولي على أوطانهم، وتذيقهم ألواناً من الذل والصغار، ولم ينفعهم معها أقطابهم ولا أغواثهم المتصرفون في الكون[1]، وقد تعامى عدنان عن هذا كله، وراح يتكلم عن التكفير وأحكامه، وهو في هذا يهرف بما لا يعرف؛ لأن تلك المسائل معروفة ولا علاقة لها بالرد على الغماريين الضالين المضلين، الذين أفرزتهم عصور الظلام الدامس، الذي أطبق على المسلمين، والتاريخ لا يرحم، وقد سجل بمنتهى البسط والبيان ما جرى خلاله من الحروب المذهبية بين الحنفية والشافعية، وكم سُفكت فيها من دماء، بَلْهَ السنة والشيعة، فإن العداء المستحكم والقتال بينهم كان وما

(١) أراد الشيخ: إظهار كذب المتصوفة بادعائهم تصرّف أوليائهم بتسيير وتدبير الكون؛ إذ لو كان ذلك كذلك، فكيف يتركون بلاد الإسلام يَنْهَبُه ويسلبه المستعمرون؛ واليهود الغاشمون؟! (الناشر).

زال مستحرّاً بالعراق وباكستان وإيران إلى الآن، وما يجري الساعة في العراق من حرب إبادة للسنة، وهدم مساجدهم، وهتك أعراضهم، وقطع رؤوسهم، واستعانتهم في ذلك بالصليبيين وعلى رأسهم أمريكا، لا يكاد يجهله أحد، ومع هذا فإن إمامكم أبا الفيض كان يضمر للروافض كلّ حب وتقدير، ولا أعرفه تعرض لهم بنقد أو بسب، بل كان يشيد بمذهبهم، ويقرظ كتبهم المتنة، كشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، وكتاب "الألفيْن الفارقة بين الشك والـمَيْن" للحلِّي صاحب "منهاج الكرامة"[1] الذي دمّره ابن تيمية رحمه الله بمنهاج السنة، الذي يُعد غرةً في جبين كتب العقيدة والانتصار لها، والذي يسميه الغماريان أحمد وعبد الله: منهاج البدعة.

(**الطُّرة ١٠**): ثم ذكر عدنان فصلاً في نقد تقريظ المغراوي لكتاب "تنبيه القاري" وأشار إلى خطأ نحوي وقع من الشيخ سَبْقَ قَلَمٍ؛ لأنه لا يقع في مثله صغار الطلبة فضلاً عن مثل الشيخ، وأطال في النقد كما أشرنا قَبْلُ؛ غافلا عما يقع منه من لحن فاحش متكرر، وأخطاء في التركيب، وركاكة في الأسلوب، وجهالة بالنظم، حتى إنه لا يكاد يُقيم بيتاً، وهو في هذا كشيخه أبي الفتوح[2] الذي بشره شيخه أبو الفيض في تعبير رؤياه، التي هي من

---

(١) اسمه: "منهاج الكرامة في معرفة الإمامة"، كما في "منهاج السنّة النبويّة" (١/ ٢١) لابن تيمية، وقد قال رحمه الله: «وهو خليق بأن يسمّى منهاج الندامة». (الناشر).

(٢) يلحن أيضا، ومن لحناته، ما وقع له في تقديم رسالة "الأجوبة الصارفة" ص(٤)، قال: «ولذلك فإن (كذا والصواب: فإني) أختار ما قاله الإمام النووي رحمه الله تعالى بأنها مفرقة في الأمة، من مفسرين، ومحدثين، وفقهاء، وزهاد، ومجاهدون، ومربون، وغيرهم...». قلت: =

الأضغاث، أنه سيفوق الحراق شعراً وزجلاً، وأذكّر عدنان بأن أبا الفيض كان لحّانة، وقد عثرتُ في كلامه على الكثير من ذلك[١]، فهو الأولى بالنقد من رجل فرطت منه لحنة، وألفتُ نظرَ البْريجي إلى (وقفات) بدر، وقد لاحقه معدّداً عليه أغلاطاً وأخطاءً[٢]؛ بلْه أكاذيب وفضائح جرَّه إليها حظه السيء معنا.

(**الطُّرة ١١**): لم أشأ أن أتعقب مُحْدِث البيضاء والبْريجة في كل أخطائه؛ لأن ذلك يطول، ولا تخلو صفحة من صفحاته (١٧٢)، من نبز ونبز؛ بمناسبة وبدونها، ولكني سأقتصر على بعضها، فبعد أن شفى جواه من المغراوي التفت إليَّ بوجهه الجهم الوَقاح، وحمل عليَّ؛ لأني وصفت أبا الفيض

=

والصواب: ومجاهدين، ومربين، بالجر؛ للعلاقة الرابطة بين التابع والمتبوع. وكذلك جُلُّ شيوخ عدنان المذكورين في ترجمته، نذكر منهم: المقبوح المصري الذي قال في كتابه "التعريف" (١/ ٣٦٤): «... أظنك قائل: ألف ألف أو يزيد... (١/ ٣٦٤)» **قلت**: وهذا لحن جلي ظاهر، والصواب: قائلاً؛ لأن ظَنَّ وأخواتها تنصب مفعولين. وهذا يعرفه صغار الطلبة. وكذلك العساف، قال في تناقضاته (٣/ ٣٠٢): «وقد بيّنا أن للحفاظ والمحدثين كلام في حماد...». **قلت**: والصواب: (كلاماً)... إذن: اللحنُ سجيةٌ وطبعٌ لديهم ـ عافانا الله بمنه وكرمه ـ.

(١) ودونك كتاب "البحر العميق"، و"الاكتفا في تخريج أحاديث الشفا"، ومن لحناته الواضحة الجلية قوله في البحر العميق: «منها رواية أبو عمر بن مهدي عنه...» [السطر٤ من الأسفل (٢/ ١٨٨)]، وهذا للتمثيل فقط.

(٢) وله أيضا مقالات مسددة في تعقب تخريقات (ولا أقول تحقيقات) عدنان، نشرها في مجلة النور التطوانية. فلتنظر.

بالرفض، وعني أخذ ذلك أبو سفيان وشيخه، وأنا لم أصف أبا الفيض بالرفض، وإنما قلت في رسالتي للشيخ حمدي عبد المجيد ـ حفظه الله ـ، وقد طلب مني ترجمة موجزة لأبي الفيض، بأنه كان غالياً في القول بوحدة الوجود، (وكل الشر فيه ـ كما يقول الذهبي ـ) وأنه يتشيع، ويقف على عتبة الرفض إلخ[١]. هذا ما قلته، وأنا والإخوان ننطلق في هذا من قول ابن أبي حاتم والإمام أحمد وغيرهم من أئمة السلف من أن الوقيعة في صحابي واحد كالوقيعة فيهم جميعاً، وأنهم يعتبرون من فعل ذلك رافضياً[٢]، ومعلوم أن أبا الفيض كان يُعلن بتكفير معاوية، وأبيه، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وسمرة بن جندب، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم ممن نسيتهم، ولم يكن بالتالي يقول بعدالة الصحابة كما أجمع المسلمون، بل سجل بيده، وخطه تحت يدي: **أن أغلب الصحابة كانوا يبغضون عليا**[٣]، وهم بدلالة اللزوم منافقون لحديث «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»، وقد نقل أبو الفيض

---

(١) انظر كلام الشيخ بوخبزة في مقدمة كتاب "فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب" (١/ ٥-٦) لأحمد الغماري، بتحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، نشر: عالم الكتب. ومكتبة النهضة العربية. (الناشر).

(٢) بل الحافظ ابن حجر رحمه الله عد في هدي الساري أن الرفض هو مجرد تقديم علي على الشيخين دون سب أو طعن، قال: «والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة، فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه، ويطلق عليه رافضي وإلا فشيعي، فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فغال في الرفض، وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو». ص(٤٥٩).

(٣) انظر الجواب المفيد ص(١٣٨).

عن ابن حجر نقلاً أساء فهمه، وزاد فيه أن العلماء حكموا بنفاق ابن تيمية - وحاشاه منه - لهذا الحديث، وقد حاول أبو الفتوح إنكار ذلك عن شيخه، وزعم - دفعاً بالصدر - أنه لم يكن كذلك، وأطال في ذلك كذباً وتدليساً في رسالته التي كتبها لمريده الودراسي[١] الذي هو أحد ضحاياه، كما هو أحد ضحايا شيخه، ولا لوم على الودراسي الذي صرح بأنه يتبع شيخه في الرفض، وأنه إنما أخذ ذلك عنه وعن كتب أبي الفيض، وهذه رسالة الرافضي ابن عقيل "النصائح الكافية لمن يتولى معاوية" وهبها أبو الفيض لذنبه الذي صرح مؤخراً بأنه تخلص منها بالحرق، ولكن بعد خراب البصرة. وعبثاً يحاول أبو الفتوح وعدنان التملص من هذا البلاء، اللهم إلا بالتوبة النصوح وإعلان البراءة الواضحة من هذا الفكر الموبوء وأصحابه عملا بآية ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة:١٦٠] ولا يكفي في هذا نقل عن أبي الفيض نَاقَضَ فيه نفسه، وتظاهر بالاعتدال، كما أنه لا يشفع لأبي الفتوح إخفاؤه لرسائله في المبشرات وترجمة شيخه بدعوى أنه لا يرضى عن بعض ما فيها[٢]، بل الواجب المحتم العيني أن يبادر إلى إعلان توبته بمنتهى الشجاعة الأدبية، ويكتب ذلك في رسائل وبِغَايَةِ البيان، ويصارح الأنعام البشرية الذين ما زال يعيش على عرق جبينهم وبالتدليس والتلبيس، ويوقف هرطقة السماع والرقص اليهودي، ويكف يديه ورجليه

---

(١) طبعت بذيل كتابه "السنة والشيعة بين الاعتدال والغلو".

(٢) قالها في أكثر من كتاب، انظر مثلا: ذكريات من حياتي ص(١٢٨).

عن تقبيلهما والسجود له، ويقتصر على التعليم والتفقه في الدين، ولعله يفعل ونتمنى له ذلك، وندعو له بالهداية، ولكن نخشى عدم ذلك ـ والعِلْمُ عند الله ـ لرسوخ قدمه في الضلال، وأن عروق الزيغ مازالت تعاوده وتبض في عقله، نسأل الله العافية.

(**الطُّرة ١٢**): قال مُحْدِث ـ بضم الميم وكسر الدال مع التسهيل ـ البيضاء والبُرَيجة، العلامة الرويبضة ص(٢٠): «وأين وجد المراكشي و(أبو نبزة) والفاري هذا ـ يعني الرفض ـ في كلام الشيخ الغماري» إلخ. وقد بينا مستندنا في وصفه بالرفض بكلام الأئمة، ولكني سأترك هذا الساعة لمنازلة هذا القاذف الرقيع الذي نبزني بتغيير كنيتي (بوخُبزة) إلى (بونبزة) وقد تكرر هذا منه، وهو يعلم ـ فض الله فاه، وسعد من جفاه، وحرمه نعمة الخبز، وضاعف عليه إثم النبز ـ أن هذا حرام لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[الحجرات:١١]، ولكنه حين ارتكب هذه الجريرة مستحلاً لها، جعل لي السبيل للانتصاف منه، والرد بالمثل، امتثالا لآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾[الشورى:٣٩] وآية ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[الشورى:٤١] وقد أباح عرضه وتجريحه؛ بما تبناه من نصرة البدع واعتناق الضلالة، والذب عن المبتدعة الضالين من الغماريين وغيرهم من العقلانيين، والروافض، والاتحادية، والأشاعرة، وما كنتُ ـ بحمد الله ـ عاجزاً عن مقابلته بفعله هذا، والانتصاف منه، ونبْزه وتكنيته بما يجعله يتلَوَّى على مِثْل الإِبَر، لكنني أضربتُ عن ذلك؛ اكتفاءً بمطارقِ هذه الطُّرر، التي هشمت وجه هذا الرقيع

الإمّعة. ثم أقول: إن كنية (بوخبزة) قديمة جداً، لأنها كنية جدي الأعلى أبي الحسن علي بن محمد العمراني الحسني، دفين محشر (أغبالو) بقبيلة بني عروس، وقبره به مشهور معبود من دون الله، وهو من أحفاد سيدي عمران ابن خالد بن صفوان بن يزيد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد فر من وجه الطاغية موسى بن أبي العافية عامل الأمويين بالمغرب، الذي كان يتتبع الأشراف الأدارسة، بالقتل والتصفية، وتردد مستخفياً بقبائل الهبط إلى أن توفي بقبيلة بني حسان، وقبره معروف قرب (الجامع البيضا) كما ذكره الكتاني في ترجمته من "سلوة الأنفاس". وسلسلةُ نَسبنا معروفة محفوظة برسوم الأنكحة وغيرها، هذا هو المكنّى (بوخبزة) وأبناؤه منتشرون بقبائل بني عروس، وبني يدر، وجبل حبيب، وغيرها، وقد نص على هذا النسّابون: ابن عرضون، وسليمان الحوات، والمسناوي، والقادري، والفضيلي، وابن الصادق الريسوني، وابن رحمون، وأثبت نسبهم النقيب أحمد بن عبد الوهاب في الكناش الإسماعيلي، وكناش المولى محمد بن عبد الله، ولم يشر أحد من هؤلاء إلى مطعن فيه، بخلاف نسب شيوخك الغماريين، ونسب شيخك الذي شحنك حقداً وبغضا للأبرياء من الأشراف الخُلّص، أبي الفتوح ـ لا فتح الله عليه إلا أبواب الشر والفتن؛ لسعيه الحثيث فيهما ـ هذا نسبي من جهة الأب، أما الأم، فهي شريفة علمية من بني عبد الوهاب التيديين، **فأنا ـ رُغم أنوفكم ـ شريف النسبتين، وشيخ الطريقتين**، كما كان يُوصف إدريس الحراق وغيره من

الأدعياء كذباً، ولست ـ يعلم الله ـ أقول هذا اعتداداً به، واعتزازاً بالنسب، وللعِلْم: إنني لا أُولي هذا اهتماماً؛ بل كل اهتمامي واهتبالي بالعقيدة السلفية الصحيحة التي تلمزونها بـ(الوهابية) وقد حُرِمْتُم خيرها ونفعها؛ لأنكم ناصبتم أهلها العداء. وصرح عدنان زُهار أنه أشعري، ونوّه برموز الأشاعرة المعاصرين كأبي غدة، والبوطي، والشعراوي، وعبد الله الغماري، ومن إليهم، ولا أدري شيخه أبا الفتوح على أي دين هو الآن، ولنسأل المُحْدِث البُريجي عن تأويل الصفات الخبرية وتحريفها المسمى "التأويل"، إلا الصفات السبع، واعتقاد الكلام النفسي الذي لا يُقبل، ولم يأت به عقل ولا نقل، واعتبار السؤال عن الله بـ(أين) كفراً، وعن كون الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، ولا هو العالم، وهذا وصف المعدوم كما قال أحد أساطين المماليك، وقد سمعهم ـ (هؤلاء القوم أضاعوا ربهم!) وعن اعتقادهم خَلْق القرآن، وتصريحهم بأن هذا الذي نقرأه ونحفظه ونتعبد ربنا به، والمحفوظ بين الدفتين، والمقروء بالألسنة والمسموع المتلو: ليس هو القرآن المُوحى، وإنما هو عبارة عنه، وأن هذا الموجود مُحدث، وأنه من إنشاء محمد أو جبريل، هذه مسألة كلام الله تعالى التي لأهميتها أُريقت الدماء وانتهكت الأعراض، وتفاقمت المحن، وسُمي بها (علم الكلام)، وهذه عقيدة الأشاعرة والماتريدية، لا الأشعري رحمه الله فقد ألهمه الله التوبة، وأعلنها في كتبه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" و"الإبانة عن أصول الديانة" و"رسالة إلى أهل الثغر"، وهي كلها مطبوعة، وتتضمن عقيدة السلف الصالح التي

تمسك بها أبو الحسن، إلا بقايا قليلة من رواسب الماضي، ولا تثق بأبي الفيض الذي ضرب عُرض الحائط بكل هذا، وأصر على نعت أبي الحسن بالتجهم والاعتزال[١] عناداً وجهلاً.

ثم تكلم عدنان عن مسألة التفضيل، وأنكر أن يكون أبو الفيض ردّ قاعدة عدالة الصحابة، وأنه يطعن في كوكبة شريفة منهم، ويعلن كُفْرهم ولعنهم، ويدعو إلى ذلك باللسان والقلم، ولذلك نعتناه بالرفض اعتماداً على حكم أئمة كبار السلف، وهو يستقي في هذا من شيخه ومُضلّه أبي الفتوح الذي حاول ستر الشمس بالغربال، نعم نحن لا نقول بأن أبا الفيض كان يقع في الخلفاء الثلاثة أبي بكر، وعمر، وعثمان؛ بل كان يترضى عليهم، ويؤمن بخلافتهم، ولكن شيطان التصوف والتشيع والتقية، لم يمهله حتى أفسد عليه عقيدته، فزعم أن تلك الخلافة سياسية ظاهرة، وخلافة باطنية عرفانية؟ ثم إنه مع اعترفه بالخلافة السياسية الظاهرية، كان يعتقد فضل علي عليهم وعلى سائر الصحابة، ويؤمن بالوصية، وينعت علياً بالوصي كأسلافه الروافض، وهذا مثبت في كتابيه "جؤنة العطار" و"البرهان الجلي" وغيرهما. وهنا كلمة حكيمة ـ هي كفيلة بتنبيه من انحرف ـ مع توفيق الله وعنايته ـ وهي قول غير واحد من علماء السلف (كأيوب والدارقطني): «من **قَدَّم علياً على عثمان؛ فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار**[٢]». على عثمان فقط،

---

(١) انظر جؤنة العطار (٣/ ٢٥٤).

(٢) انظر: السنة للخلال (٢/ ٣٩٢)، البداية والنهاية (٨/ ١٣).

فكيف إذا تجاوزه إلى الشيخين!؟ وهي ـ كما ترى ـ كلمةُ فصلٍ أصابت كبد الحقيقة؛ لأنها عقيدة الصحابة كلهم، ومن اعتقد غيرها فقد عاب الصحابة ورماهم بما لا يجوز من: العناد، ومخالفة الحق، والاجتماع على الباطل ـ وحاشاهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وقمع من وقع فيهم وقلاهم ـ ثم أفاض عدنان زهار في الكلام على عقيدة أبي الفيض، وأنها سلفية صرفة، واحتج بفصول من كلامه في بعض رسائله، ومنها رسالة ـ قال خيب الله ظنه، وأبكى سنّه: (في رسالة خاصة إلى بعض تلامذته الخائبين) ـ يعنيني ـ ما مفاده أنه يشيد بما أشار إليه الهلالي من قراءة اجتماع الجيوش لابن القيم إلخ[1]، **وهذا تأييد أعرج**؛ لأنه كان يؤمن ببعض الصفات الخبرية، ويذهب إلى التفويض، ولم يكن على علم بمعناه تماماً، وهو مناف لمذهب السلف المؤمنين بمعاني الصفات كلها، وإنما كانوا يفوضون في الكيفية فقط، علاوة على إيمان أبي الفيض بأن المعية ليست بالعلم، بل بالذات، يعني ـ عامله الله بما يستحق ـ أن الله تعالى عما يقول ـ موجود بذاته في كل مكان، كيفما كان، حتى الحُشوش والمزابل، وأنه لا يخلو منه زمان ولا مكان؛ بل يعتقد أنه سبحانه عن افتراء المفترين، وجهالة الجاهلين ـ عين المخلوقات؛ بل كان يعتقد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حاضر بنفسه في كل زمان ومكان، ولا يخلوان منه، ونسخ بيده رسالة للحلبي، ما زالت بين كتبه التي باعها للإسبان بخزانة تطوان، وقد طبعت في ملزمة صغيرة بمصر، يذهب صاحبها الملقب

---

(١) انظر الجواب المفيد ص(١١).

بنور الدين، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الإنسان الكامل كما يقول عبد الكريم الجيلي أحد غلاة الاتحادية، الذي أغوى أبا الفيض فتورط في هذا الوحل الوثني، وهو اعتقاد أن النبي هو أكبر مظهر إلهيٍّ في الأرض، ولعل عدنان سمع من إمامه الدّعي أن أبا الفيض كان من المهووسين المستهترين بوحدة الوجود؛ الدعاة إليها، والراقصين على أنغامها، الهائمين بتذوقها!؟ وسنبين هذا في فصله. فهل هذه عقيدة السلف الصالح، أم عقيدة إبليس وحزبه الذين يكيدون الإسلام، ويعملون على تخريبه من الداخل.

(**الطُّرة ١٣**): ثم خلص مُحْدِث البيضاء ـ عدنان ـ إلى مسألة بناء القباب على القبور، ورسالة أبي الفيض المسمّاة "إحياء المقبور، بأدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور" وقد تكفل الشيخ الألباني رحمه الله ورضي عنه بالرد عليها رداً غير مباشر، ونسف مبانيها المنهارة من قواعدها، وقد ألهمني صدورها منذ سنين، إلى جمع اثنتين وأربعين حديثاً وبعض الآثار الموقوفة في لعن البناء على القبور، والصلاة إليها وعليها، وبطلان الصلاة فيها، وذيلتها بكلمة مركزة في الرد على الشيخين أحمد وعبد الله، مع قصيدة في الموضوع، وقد طُبعت الأربعون بالبيضاء مع تصحيف كثير، للأسف!! **فلعل عدنان وقف عليها، وهو يغضب ويثور، حتى إذا سكت عنه الغضب أخرج من بين فرث الكفر ودم الإلحاد رسالة يُحاد بها الله ورسوله**، ولعله يراجع شيخه أبا الفتوح فقد تغير اجتهاده فيها، وفاءَ إلى أمر الله، وقد حاول عدنان أن يهون من المسألة، ويجعلها مسألة اجتهادية، لا علاقة لها بالعقيدة، ولكنه

لبلادته لم يفهم العلاقة، وهي كالشمس في رائعة النهار؛ لأن النهي واللعن والوعيد بِشَرِّيّة الخلق، مُعَلّ بالفتنة بالمقبور، والتعلق به، والاستغاثة به، كما هو واقع ملموس في مشارق الأرض ومغاربها، ولعله قرأ في إحياء مقبوره قول أبي الفيض: «إن الصلاة في الزوايا والمقابر أفضل من الصلاة في المساجد الخالية من القبور؛ لافتقادها الشبه بالمسجد النبوي!»[١]. وهذا بلا شك من إلهام الشيْطان له، ولا يُعرف عن غيره، وزاد أنه قال عن حديث أبي الهياج الأسدي المروي في صحيح مسلم[٢] أنه لا يصح أو أنه مؤول، هكذا[٣]، وجاء بعده شقيقه عبد الله فألّف أوراقا سماها "إعلام الراكع والساجد، بمعنى اتخاذ القبور مساجد" زعم فيها أن الحديث الوارد بلعن اليهود لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد، لا يجوز التعويل عليه، لمخالفته الواقع، يعني أن اليهود والنصارى لا يبنون القباب والمباني على القبور[٤]، وهذا تكذيب علني منه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، دون حياء ولا دين، وإنكار للمحسوس، وهذه كنائس اليهود وبِيَع النصارى منذ قُرون، مَبْنِيّة على

---

(١) انظر: إحياء المقبور ص(٤٨). (الناشر).

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٩). (الناشر).

(٣) إحياء المقبور ص(٥٧).

(٤) انظر: إعلام الراكع والساجد، ص(٩-١٧)، حيث إنه تحايل على إبطال حديث: «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فَسَلَّمَ بصحته لكنه استشكله من ثمانية أوجهٍ، ثم قال في ص(١٧) ما خلاصته: «أن حديث «لعن الله اليهود» موقوف عن العمل به حتى يوجد وجه للجمع بينه وبين ما سبق من الوجوه المذكورة، لأنه لا يجوز العمل بدليل، مع وجود ما يعارضه». (الناشر).

أنبيائهم وصالحيهم: بإسبانيا على قبر الحواري يعقوب، وقبة الفاتيكان تبعث السهام لعينيْ المبتدع الوقح، وهي مبنية على قبر الحواري بُطْرس، وكنائس روما واليونان، وفرنسا، وغيرها من مدن أوربا القديمة، تقوم على سراديب تحتها؛ مشحونة بالجثث والقبور للقديسين، وفي المغرب ثلاثة قبور لأولياء اليهود بوزان وخارجها، والرشيدية ما زال اليهود يحجون إليها ـ لعنهم الله وأخزاهم ـ فأين ذهب عقل الشيخ [وعد الله عن هذا؟].

(**الطُّرة ١٤**): ثم أشار عدنان ـ خيّب الله سعْيه ـ إلى مؤلفات أبي الفيض وأشاد ببعضها، وَمنْ نَشَرَها من أثافي الضلال، ومنها "بيان تلبيس المفتري" الذي زعم أن الأخ علي بن حسن الحلبي ـ من أنبغ تلاميذ الألباني ـ سطا عليه ونهبه (هكذا)، وادّعى أن شقيق المؤلف وعدوه اللدود[1]، أهداه للشيخ بكر أبي زيد الذي دفعه لعلي حسن فنشره ـ ولله دره ـ وعدنان هنا يهرف بما لا يعرف؛ لأنه لصغر سنه لا يعرف جلية الأمر، وهل في نَشْرِ كتابٍ من نسخةٍ مُهداةٍ من شقيق المؤلف سطوٌ ونهبٌ؟ مَنْ قال هذا لا يعرف معنى السطو الذي هو ديدن الغماريين، إلا الشيخ الزمزمي، وعليه درج ذنبهم الأبتر أبو الفتوح. وأهمس في أُذُن عدنان أن الأخ علياً الحلبي أعلم من الغماريين، وأرسخ قدماً، وأعلا كعباً، وهذه آثاره مبثوثة بالعشرات، رافعة عقيرتها بقول القائل: [الخفيف]

تِلْكَ آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بعدَنا إلى الآثارِ

---

(١) يعني: عبدالعزيز الغماري، كما في مقدمة الكتاب المذكور. (الناشر).

مع اختلاف الغرض، وأن رصيفه المحدِّث، المحقق، مشهور حسن سلمان، يجر ذيول النسيان، على الغماريين وأذنابهم في هذا الشان، بلْه إمام المحدثين في ربوع مصر أبا إسحاق الحُويني ـ سَلّمه الله وأيده، وقد أحيا الله به رسوم الحديث والإسناد وذكرى الحافظ ابن حجر، وتلميذه السخاوي، رغم أنف المعاندين؛ فبعد وفاة أبي الأشبال الشيخ أحمد بن محمد شاكر، لم يأت من يخلفه حتى أنجبت (حُوَّين) بالقرب من مدينة كفر الشيخ، هذا العلامة الأحوذي، الذي ثافن الشيخ الألباني ونفض كتبه، وسار على دربه، حتى شهد الشيخ بقوته، واعترف بإمامته، وأصغى إلى تعقباته، وهذه كتبه وتحقيقاته بالعشرات تشهد بشفوفه، وعلو كعبه، ولو اجتمع الغماريون، ومريدوهم كأبي الفتوح، والسقاف السخاف، والمقبوح المصري[١]، والمسخوط المغربي[٢]، لم يستطيعوا الإتيان "بغوث المكدود"[٣]، أو "بذل الإحسان"[٤]، أو "تنبيه الهاجد" في ست مجلدات في التعقب على الحفّاظ، ولو قارن عدنان وشيخه بإنصاف بين هذا الكتاب ورسالة "ليس كذلك"[٥] لَلَمَسَا البَوْنَ الشاسع بين الرجليْن، وفضل الله لا يحجر، وقد كان

---

(١) يعني: محمود بن سعيد ممدوح. (الناشر).

(٢) يعني: عدنان زهار. (الناشر).

(٣) يشير إلى كتابه "غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود"، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الأولى، مكة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. (الناشر).

(٤) يشير إلى كتابه "بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي أبي عبدالرحمن"، نشر: مكتبة التربية الإسلامية، مصر، ط. الأولى، سنة ١٤١١هـ-١٩٩٠م. (الناشر).

(٥) طبعت بتحقيق: عدنان زهار، ونشرته: دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، سنة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. (الناشر).

أبو الفيض وحيداً بالمغرب يصول ويجول، ولكن الله آذن بنسخ آيته، وظهور جماعة من أهل الحديث ـ على رأسهم الإمام ناصر الدين الألباني ـ: أنسوا ذكره، وعفوا على أثره باعترافه هو، وأحسن كتبه في هذا المجال (المداوي)، وقد قرأت بعضه مخطوطاً بمنزل الشيخ بطنجة، واستنكرت حملته الظالمة على المناوي التي تجاوز فيها الحد، حتى إن شقيقه المغفّل عبد الله اعترف كما في مقدمة الطبعة[1] أنه حذف منها أشياء، والجدير بالذكر أن الكتاب وصل الشيخ الألباني وهو مريض، فلم يستطع مع الأسف تتبع أوهامه وأخطائه العلمية الكثيرة، ونبه على بعضها في مجلداته الأربعة الأخيرة من موسوعته الفريدة الرائعة "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة" ونقد صنيع أبي الفيض نقداً علمياً مسدّداً دون شتم ولا تجهيل، وقد كنت نبهت عدنان في آخر رسالة مني إليه أن يُعنى بكتب الألباني ويدرسها بجد حتى يعرف علوم الحديث ويتذوقها إن كان أهلاً لها، لو أراد الله به خيراً، ولكنه أصغى إلى الأبالسة، وجرفه تيارهم؛ فاتخذوه بوقاً يُجاحش عنهم، ويُحامي، ولكن الله تعالى قيضنا له، فنحن له بالمرصاد، نعيده إلى جُحره، ونعرّفه قدرَه، وأنا أحمد الله كثيراً أن ألهمه حذف اسمي من قائمة شيوخه ومجيزيه، فأنا لا أحب والله أن أُذكر مع الغمارين، فكيف مع مقبوح، والسقاف، والكرفطي، ومن يبصق على أسمائهم التاريخ، ويُعلن بالتنديد والتوبيخ؟ وقد ذكرتُ بالمناسبة قول عدنان في إحدى رسائله إلى أن شيخه الدكتور الزنيفي البيضاوي قال له عن أبي الفيض: «من لم يعرف أحمد ابن الصديق،

---

(١) المداوي (١/ ١١٢).

فلا يلومنّ إلا نفسه))، وقد ضحكتُ كثيراً لسماع هذه الأفكوهة، وأجبت قائلها في رسالة لعدنان بأن القائل لو عكس لأصاب، وأعني لو عرف إنسانٌ أبا الفيض ومذهبه وعقيدته وتابعه عليها؛ فلا يلومن إلا نفسه، وقد أشار عدنان في أثناء كلامه عن رسائل أبي الفيض، أن شيخه الكرفطي جمع رسائل شيخه أبي الفيض (إليه خاصة) وطبعها باسم "در الغمام الرقيق"، وهذا دليل على جهله وتسرعه، وأنه لم يقرأ كتاب شيخه الذي نص في مقدمته أنه جمع معها رسائل لبعض الناس إلخ، والواقع أنه سطا ـ أصاب الله يده بالشلل، وعقله بالعِلَل ـ على أكثر من عشرين رسالة علمية، دون استئذان ولا شكران، وزاد على ذلك تهديدي ـ أخزاه الله ورد كيده في نحره ـ.

(**الطُّرة ١٥**): وهذه أخلاق الصوفية، وتربية الزاوية، قطع الله دابرها (**وَكْرُ الفُجور، ونَبْعُ زُور**) كما قلتُ في قصيدةٍ من الشعر الحُر نُشرت قديماً في جريدة "النور" بتطوان، وإليك نصها:

في البيت أربع نسوة
والخادمات..
والزائرات..
يا هل ترى يسلمن من فحشائه؟
شيخ الطريقة عندنا،
لص بشوش..
والمسبحة
شباك صيد

رؤيا المنام سبيله

نحو الجيوب

سمسار

أدنى وأهون ما يبيع إذا انتشى

جنات عدن

والزاوية

وكر الفجور، ونبع زور

مأوى المخانيث

الشاطحين على المكا والتصدية

لا يعرفون سوى الغناء

والخمر تُحسى والحشيش

قرآنهم للبيع

ولـ (فدية) يتلى على القبور

هم يكتبون... ويُشْعِرون

كذب وتضليل وزور

هم يكتبون..

شيخ الطريقة علة شقيت بها الأديان

وكذلك الأوطان

رَمَدٌ بعين الدين

سرطان في كبد اليقين

لا ينهض الإسلام

من كبوته

من غفوته

وبجسمه هذا المخدر

هذا الوباء المنتزي

(شيخ الطريقة)

ثم أشار في نهاية الفصل إلى الرد على المغراوي الذي أشار إلى ميل المستشرقين والمبشرين إلى تأييد الصوفية والطُّرقيين، وأنهم مازالوا يُولونهم اهتماماً خاصاً، إلخ. وهي حقيقة لا ينكرها إلا جاهل غِرّ، ومعروف أن المراكز الثقافية في أوربا والعالم العربي لا تهتم غالباً إلا بكتب الصوفية العريقة في الكُفر والشطح، وقد طبعوا من ذلك العشرات؛ بل لا تكاد تجد كتاباً بهذا الشكل إلا وتجدهم طبعوه بأوربا، ويطول بنا القول إذا أردنا بسط الكلام فيها، أما كتب الحديث والعقيدة السّلفية ككتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلاميذه، فإنهم يُولونها خبالاً وإعراضاً، ويحذرون منها، يساعدهم في ذلك غلاةُ الصوفية المجرمون، وهذا أميرهم عبد القادر محيي الدين الجزائري الذي كان يسعى لنفسه، وهاجم المغاربة مراراً أيام الملك محمد الرابع، ولكنهم دحروه، وهزموه، كما شرحه الناصري في الاستقصا (الجزء الأخير)، وهو صاحب كتاب "المواقف"[1] الذي استقاه من "الفتوحات

(١) ذكر الزركلي في "الأعلام" (٤/ ٤٦) أنه طبع في ثلاثة أجزاء. (الناشر).

المكية"؛ بل "القبوحات الهلكية" على حد تعبير الحافظ البلقيني. وذكر المؤرخون أنه كان يبحث عن كتب ابن تيمية بالخصوص بالشراء أو السرقة ويحرقها، أحرق الله شِلْوَه، كما أشار إليه الألباني في مقدمة "الكلم الطيب" لابن تيمية، وقد خيب الله سعي الأمير ومن لَفَّ لَفّه من مُحرفي الصوفية، فقيض لمؤلفات شيخ الإسلام من تتبعها من خزائن العالم وجمع منها المآت، وطبع منها ما تقر به أعين الموحدين، وتثلج صدور المؤمنين، وما زال البحث جارياً، ويظهر منها بين الفينة والفينة ما ينشرح له الصدر، ويستنير العقل، ولكن خفافيش الظلام من الصوفية يتأذون من رُؤيتها، وقد قال أبو الفيض - كما تقدم - بأنها سبب الضلال، وما ضل من ضل إلا بقراءتها، والهُدى والنور عنده في قراءة: الإبريز[١]، وطبقات الشعراني، وجامع كرامات الأولياء[٢]، وجواهر المعاني[٣]، ونحوها، (وإن كان يكره هذه، ويعتقد كفر صاحبها التجاني)[٤]، وبالمناسبة أقول بأن أبا الفتوح رجع عن تكفير التجاني الذي

---

(١) وهي من تأليف: أحمد المبارك السجلماسي، في مناقب وكرامات شيخة الأُميّ: عبدالعزيز الدباغ، والكتاب مطبوع في مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر. (الناشر).

(٢) مؤلفه هو: يوسف بن إسماعيل النبهاني، وقد طبع معه كتاب "أسباب التأليف" له أيضاً، وبهامشه كتاب: "نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية" لعبدالله بن أسعد اليافعي، طبع بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر، عام ١٣٢٩هـ. (الناشر).

(٣) اسمه: "جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني"، تأليف: علي حرازم وهو مطبوع. (الناشر).

(٤) انظر: "الجواب المفيد" ص(٦٥). (الناشر).

قال به زمناً تبعاً لشيخه، وأثبته في ترجمته (الأنيس والرفيق)، وربما فعل هذا عناداً لخصمه الشيخ الزمزمي، وأخبرني من سمعه يُثني على التجاني ويقول عن كُفْرياته بأن مثلها معهود عن الأولياء! ونعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر.

(**الطُّرة ١٦**): ثم تكلم متعالماً ناقلا عن الغزالي في موضوع الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والورع، وما يتعلق بذلك مما لا علاقة له بجرائم أبي الفيض، ثم أشار ص(٢٧) إلى أن أبا سفيان مصطفى رمى الشيخ أبا الفيض بالزنى واللواط ص(٢) من "تنبيه القاري"، ولما رجعت إلى الموضع الذي أحال عليه من الرسالة لم أجد شيئاً! والواقع أن الذي رمى الشيخ بذلك وبغيره هو شقيقه الزمزمي في رسالته "تعريف المسلم بمن يدّعي السنة وهو كذاب مجرم"، الذي أحرقه بعد وفاة شقيقه، كما أخبرني بذلك ولده أُبي، وقد كذّبني في ذلك المسْخوط عدنان بدون حجة ووصفني بالخيانة ـ كما سيأتي تفصيله قريبا ـ كما رماه بذلك أحمد خيري باشا المصري، تلميذ الكوثري، وصاحبُه عزت العطار، في بيانين أسودين، نعوذ بالله مما اشتملا عليه، والله أعلم به، وقد ردّ عليهما الأخ بدر، وبعد أسطر قليلة عاد هائجاً مزمجراً مدفوعاً من شيطانه، فأطلق لسانه ـ قطّعه الله ـ فرماني بالكذب، والخيانة، والفسق، ومن أشراط الساعة كما ورد[1]: «أن يُخوّن الأمين، ويُؤتمن الخائن» فأنكر أن يكون للشيخ الزمزمي رحمه الله كتاب بهذا

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم(٦٥٧٧)، وفيه ضعف؛ لكن الواقع يؤيده على حد قاعدة أبي الفيض التي قررها عدنان في كتابه!!

الإسم، وأن (بونبزة) ـ يعنيني ـ اخترع هذه الأكذوبة، وزعم أن الزمزمي أحرق الكتاب، وقال بأنه سأل عبد الباري الإبن الأكبر للزمزمي، فأنكر هذا جملةً وتفصيلاً. وقد أحسن الأخ بدر العمراني فنقل في "وقفاته" كلام الشيخ الزمزمي نفسه، نقلاً عن كتابه الجديد "رسائل في الصيام" المطبوع حديثاً، وفيه تصريح الشيخ بأنه ألف الكتاب، وتبقى مسألة حرقه فليُسأل عنها ناشره الأخ أُبَيّ ـ حفظه الله ـ، كما نقل بدر عن أبي الفيض أنه كان على علم (بتعريف المسلم)، وزاد معرفته بالبلاء الأزرق، والمتوقع من الكذوب الوقح المتعالم المغرور، أن يسارع إلى التكذيب، لأنه فاقد الحياء «وإذا لم تستح فاصنع ما شئت» كما ورد. ثم عاد إلى الكلام على شروط الأمر بالمعروف، نقلاً عن الإحياء، والمراد النفخ في الرسالة حتى يمتلئ بطنها، ثم لَفَتَ الأنظار إلى جرائم المجتمع، والمحرمات المعلنة، وأن الأولى كان بالسُّفياني وشيخيْه أن يتوجها لتغيير ذلك، في كلام بارد فاشل ممجوج، وكأننا لا نعلم شيئاً من ذلك، وقد تركنا له القيام بذلك؛ لأنه الواعظ المتميز!! ألا تراه أعلن نفسه في صورته الملونة بغلاف رسالته أسفل صورة شيخه أبي الفيض، وهو متعمم بالصفرة، وفاتح يديه يتلقى الوحْي من إبليس، والميكرفون نصب فمه، والعلم المغربي خلفه كما ذكرنا سابقاً، ونقلنا عن الإمام أحمد أنه فضّل من يقوم بالتنبيه على البدع في الدين ومحاربتها، على من يقوم الليل ويصوم النهار، وقال: هذا يعمل لنفسه، والأول لنفع الناس، كما أن سفيان الثوري رضي الله عنه قال: إن إبليس يفرح بالبدعة وأهلها ما لا يفرح للعصاة المنحرفين،

قال: لأن العاصي يعصي وهو يعلم أنه يعصي فتُتوقع منه التوبة والإقلاع قريباً، بينما المبتدع يُخرب الدين والعقيدة وهو فرح مسرور، ويعتقد أنه يجاهد ويعبد الله كما تراه عند الطرقيين، وإتماما للفائدة، وإرغاما لعدنان الأفاك، الدّجال، المتوقح، ننقل نصاً مهما مثيراً كتبه الشيخ الزمزمي ﷺ بقلمه في طليعة رسالته "رفع الستار، عن أغلاط توجيه الأنظار، لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار" ص(٥٧)، وهذا ننقله مع التعليق على فقراته بين قوسين، من باب (وشهد شاهد من أهلها)، قال: «وبعد: ففي هذه الأيام وقع بيدي كتاب مكتوب على ظاهره ما يأتي: "توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار"، تأليف الشيخ محيي السنة ومميت البدعة أبي الفيض أحمد ابن الشيخ سيدي محمد بن الصديق». هذا ما كتب على ظاهر ذلك الكتاب.. وأظنك إذا قرأت هذا العنوان.. اعتقدت أن صاحب الكتاب حريص على اتحاد المسلمين واجتماع كلمتهم في كل شيء.. حتى في الصوم والفطر! ولكن الحقيقة بخلاف ذلك.. فإنه لا رغبة له في اتحاد المسلمين في الصوم والإفطار، ولا في الحج والصلاة، وإنما ألف هذا الكتاب عناداً وغراماً بالجدال الذي هو دأبه وديدنه، ومجاراة لأهواء أبناء هذا الوقت الذين يحبون التشبه بالفرنج في كل شيء.. حتى في الصيام والأعياد؛ فهم لأجل ذلك يحرصون على أن يكون العيد عند المسلمين كلهم في يوم واحد كما يكون عند الأوربيين كلهم في يوم واحد، قال أبو أويس: «هذا فهم غريب لم يخطر بالبال». وكما أنك قد تعتقد ما ذكر اغتراراً بعنوان الكتاب.. كذلك قد تغتر بما حلي به مؤلفه من

إحياء السنة وإماتة البدعة؛ فتظن أنه محيي السنة حقيقة، مع أنه ليس كذلك! وكيف يكون محيياً للسنة وهو يرد الأحاديث الصحيحة الصريحة بالتأويل البعيد، والتعسف البارد.. انتصاراً لهواه، واتباعاً لشهواته؛ الأمر الذي أنكره على المقلدة وكفَّرهم لأجله!؟ فقد خالف الحديث الصحيح الصريح الذي حدَّث به رسول الله ﷺ - قبل وفاته بخمس ليال، ونهى فيه عن اتخاذ القبور مساجد.. بتأويلات باطلة، وتعسفات مضحكة، ومكابرة ظاهرة! قال أبو أويس: «زعم أبو الفيض في إحياء مقبوره أن حديث أبي الهياج الأسدي - وهو في صحيح مسلم - لا يصح أو مؤول[1]، ولم يخالف هذين الحديثين فقط؛ بل جمهرة الأحاديث المتواترة معنوياً - وقد جمعتُ منها نيفاً وأربعين، وهي مطبوعة - كل هذا لأجل الزاوية - دمّرها الله -» وخالف الأحاديث الصحيحة الصريحة الدالة على تحريم تشبه النساء بالرجال والكفار.. وأعرض عن العمل بها بلا عذر ولا دليل مقبول؛ بل بالتأويل البعيد والتعسف البارد، وملاحظة المعنى الباطل الذي هو الشهوة واتباع الهوى ومجاراة النساء في أهوائهن! (قال أبو أويس: ولعله يعني ما كان أبو الفيض يأمر به أزواجه الأربع من صبغ شفاههن، وقص شعورهن، ونتف حواجبهن، ونحو ذلك) وخالف الحديث الصحيح الوارد في النهي عن الصلاة إلى القبور بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير؛ بل بالتأويل الذي كفر به المقلدة وجعلهم لأجله مشركين! قال أبو أويس: «يعني إذنه بدفن

---

(١) انظر: "إحياء المقبور" ص(٥٧-٥٨).

الأموات في زاوية أبيه قرب المحراب، وبيع القبور بأموال طائلة، مع نصه في إحياء مقبوره، أن الصلاة في المقبرة وإلى القبور وعليها أفضل من الصلاة في المساجد الخالية من القبور، لافتقادها التأسي بالمسجد النبوي، ومن العجائب أنه ناقض نفسه ـ ولا بد لكل مبطل أن يقع في التناقض ـ في رسالة "الاستنفار لغزو التشبه بالكفار" فعقد باباً في تحريم اتخاذ القبور مساجد لما فيه من التشبه بالكفار، فاعتبروا يا أولي الأبصار». وخالف القرآن والسنة والإجماع والقياس في إتيانه الكهان.. وتصديقهم، بالتأويل الباطل، والمغالطة المفضوحة التي هي إلى الزندقة أقرب منها إلى التأويل!! قال أبو أويس: «وهذا معروف عن أبي الفيض واستمر عليه إلى وفاته، وفي رسائله الأخيرة إليّ إخباره بأقوال المجاذيب والحمقى (وأهل الحساب) وتبشيرهم بقرب الفرج العام وأنه في سنة ٧٩-٨٠، وقد تبخر ذلك كله، وتوفي الرجل وتوالت الكوارث على المسلمين إلى الآن، وكان بطنجة مجنون قصري يقال له: أحمد الطرداني، يعتقده أبو الفيض ويغشى منزله ويفعل فيه ما يشاء، وحدثني بعض الثقات أنه كان يخرج لزيارته بمكان[1] بضواحي طنجة، فإن وجد باب البيت مفتوحاً استأذن ودخل، وإلا بقي في انتظاره منكس الرأس حافيا، وذكر في "الجؤنة"[2] أنه كان يتردد إليه بمنزله بالقاهرة مجنون أحمق فاسي اسمه: الحسن مزُّور، وهو لابس قميصاً فقط، ومُدمن خمر يشرب منه

---

(١) بمجشر الخلوة قرب قبيلة الأحد الغربية.

(٢) جؤنة العطار (١/ ١١٢-١١٤).

ما يُسمى الزبيب، فإذا هاج مزق قميصه فيمشي مكشوف العورة، ويأتيه النساء بمناديلهن فينظر فيها، ويخبر بما سيقع لهن، والشيخ مؤمن بذلك، ومن أخبار الطرداني هذا أنه أخبر عن دار أبي الفيض بسوق البقر بطنجة أنها لا تُباع، وتَعَثَّرَ بيعُها بعد وفاته، فقال المغفلون ـ ومنهم بعض إخوته ـ: إنها نبوءة فلان، ولكنها بيعت أخيراً، وبلغ زوجي نصيبها منها». وخالف السنة في تزويق المسجد وزخرفته، وتفريشه بالزرابي.. بالتأويل الذي شنع به على المقلدة وكفرهم لأجله؛ فقال في "إحياء مقبوره": وأجازوا ـ يعني المقلدة ـ تزويق المساجد وفرشها بالحصر والزرابي، لأنه أدعى للاحترام، ولما فيه من مصلحة المصلين.. مع أنه ورد النهي بل الوعيد على ذلك" انتهى بلفظه!!

قال أبو أويس: «وقد ذكر المؤلف ـ أعني: الشيخ الزمزمي ـ في كتابه الفاضح (الزاوية) ما جرى في بناء الزاوية بعد وفاة والدهم، وكيف جمع أبو الفيض الملايين من أهل طنجة المساكين، وصرفها في تجديد الزاوية وزخرفتها، وبنى على قبر والده قبتين اثنتين، وهو محدث سلفي أثري خادم الحديث يعرف حديث: «ما أُمرتُ بتشييد المساجد»[(١)]، وأثر «إذا زخرفتم مساجدكم فالدمار عليكم»[(٢)]، وأذكر أنني قرأت منذ عقود من السنين في كتابه "تشنيف الآذان"[(٣)] الذي نصر به البدعة: أنه يجب أن تكون المساجد أعلا

---

(١) رواه أبو داود رقم(٤٤٧). وصححه ابن حبان.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد، وأبو بكر بن أبي داود، في كتاب المصاحف موقوفاً على أبي الدرداء. قاله الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء رقم(٣٥٥٦).

(٣) انظر: "تشنيف الآذان بأدلة استحباب السّيادة عند اسمه عليه الصلاة والسلام في الصلاة =

وأجل وأبهى من قصور الملوك والأثرياء؛ لأن الله تعالى أمر برفعها ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾[النور:٣٦]، وهو يفسر الرفع بالزخرفة والتشييد، والمرمر، والزليج، وهذا ما يذهب إليه فقهاء فاس الذين يكفرهم أبو الفيض). وخالف السنة والإجماع والقياس والاستحسان؛ بل والملل كلها في بيعه المساجد وأحباسها.. بالتأويل الذي هو في الحقيقة تلاعب بالدين، واستهزاء بآيات الله تعالى!! قال أبو أويس: «وخلاصة ذلك أن جد أبي الفيض أحمد ابن عبد المؤمن (مول اللحية الطويلة، السّبع الأصفر)[1] فتح زاوية بحي (رأس الرخامة بتطوان) وهو من كبار تلاميذ العربي الدرقاوي، وكان وقتها بتطوان محمد الحراق، وعلي الريسوني، وقد فتحا زاويتين وأغلب مريديهم من أهل البلد، ولا سيما الريسوني، فقد استقطب رجال المخزن والسلطة والثراء والجاه، ولما لم تُقْبل على التجكاني إلا فلول من البدو، كَرَّ راجعاً إلى بلده، وبعد وفاته جاء ولده الحاج الصديق ـ وهو من الأولياء الكُمّل عند حفيده أبي الفيض ـ إلى تطوان، وباع الزاوية ـ وفيها قبور ـ إلى يهودي، وقد غيّر معالمها، وأخرج منها محلات للكراء، ولما رأى ذلك (زِيوْزِيوْ) الدرقاوي أدركته الغيرة فاشترى ما تبقى من الزاوية، ووهبها لوالد أبي الفيض الذي سلمها لفقرائه فبنوها زاوية، وعمروها بالسماع والرقص، وكان أهل الشيخ إذا قدموا من البادية نزلوا في الزاوية، فوقعت الشكوى منهم مراراً، فلم يكن

=

والإقامة والأذان" ص(١٠٨-١٠٩). طبع مطبعة السّعادة بمصر، بدون تاريخ. (الناشر).

(١) هذه أوصاف له ذكرها أبو الفيض في كتابه "المؤذن بأخبار أحمد بن عبد المؤمن".

من أبي الفيض إلا أن باعها للريحاني، وباع أرضاً موقوفة عليها، واستقال الريحاني أبا الفيض فأقاله، وباعها لغماريٍّ خبّاز يقال له: (أكَعْرير)، وبعد ثورة الشيخ على الإسبان ـ التي كانت حماقة ـ، ونفيه، انتهز الفرصة صهره وابن عمته، ورفع عليه دعوى مستعيناً بالإسبان، فحكم له القاضي أحمد الشدادي الذي كان يُكِنّ للشيخ أشد العداء لتكفيره إياه من أجل استسقائه بذبح فرس وكتابة آيات على جمجمته، ورميه في بئر ـ وسكن الصهر الدار التي فوق الزاوية، وبعد وفاته باع ولده الدار، وأكرى الزاوية، وهكذا تفعل الزاوية بأهلها[1]، نسأل الله العافية» في مسائل أخرى.. ذكرتها برمتها في كتابي "تحذير المسلم ممن يدعي العمل بالسنة وهو كذاب مجرم". انتهت كلمة الزمزمي التي نقل منها الأخ بدر تصريحه بكتاب "تحذير المسلم". وكنا أخطأنا في تسميته بـ"تعريف المسلم" والخطْب سهل. ونقل بدر في مواقفه عبارة لأبي الفيض يشير فيها إلى الكتاب وكتاب آخر سماه "البلاء الأزرق" وقد حاولتُ مرةً السعي بين الإخوة الغماريين في الصلح وإصلاح ما أفسده القتّات أبو الفتوح طيلة سنوات بالتجسس والكذب والنميمة ـ عامله الله بما يستحق ـ، ووجدت ذات البين مختلفة بينهم لا يمكن إصلاحها، وقد أبدى أبو الفيض تجاوباً مشكوراً معي، وصرح لي بأنه على استعداد للذهاب معي إلى الشيخ الزمزمي حافياً إذا قبله، قال: أما عبد العزيز فلا يمكن الصلح معه، لما فرط منه مما يمس العرض، وينافي الأخلاق، علاوةً

(١) انظر جؤنة العطار (٣/ ١٩٩). لطيفة (١٦٨).

على الجاسوسية، وكشف أسراره للإدارة الفرنسية، كما أجاب إلى الصلح مع عبد الحي، ولما ذهبتُ إلى الشيخ الزمزمي لمنزله الأول بالقصبة، وذاكرته في الأمر، غضب وثار وصاح، وعلا صوته، وتمعّر وجهه، حتى رحمته، وجاءني برسائل ثلاث "تحذير المسلم" ولعل الأخريين: "البلاء الأزرق" ونسيتُ الثالثة، وقرأ عليَّ فهرس الأولى، وقال لي: لن أعيركها، وما زلت أذكر: (باب في عقوقه)، (باب في زناه)، (باب في قطعه للرحم)، (باب في لواطه) إلخ، هذه الرسائل هي التي أخرجها إلى صحن الدار، وأضرم فيها النار، قائلاً: إن المقصود بها كان أبا الفيض وقد توفي. هذا ملخص ما جرى حول الرسائل التي أنكر وجودها، وزعم أنه سأل عنها عبد الباري فأنكرها، وها هو والده يعترف بها، وكذلك أبو الفيض، فمن تصدق إن صح اتهام الإمَّعة الرقيع عدنان ـ ردّ الله كيده في نحره، وأولاه الفشل في جميع أمره ـ.

(**الطُّرة ١٧**): وفي ص(٢٩): عاد الخائب إلى عادته في التكذيب المجرد، وما أسهله على من رقّ دينه، وذهب يقينه، واستمرأ الدعوى، في الجهر والنجوى، وكرر تأكيده أن مصطفى السفياني لم ير من كتب أبي الفيض شيئاً، وأن جميع ما حوته الرسالة هو من بنات أفكار (بونبزة)، وليس له فيها إلا قبول وضع اسمه عليها! هذا لفظُه كرَّره مراراً حتى أَمَلَّ، ولكن ما العمل فيمن فقد الحياء والخوف من الله، ولجّ في الصفاقة والحماقة حتى استحق أن يُنشد فيه ما قيل في مثله: [الكامل]

لو أن لي من جلد وجهك رقعة ... فَأَقُدُّ منها حافراً للأشهب

وقديما قيل في الحمقى: [البسيط]

لكـل داء دواء يستـطب بـه إلا الحمـاقة أعيت من يداويها

فمن يسارع إلى التكذيب المجرد، والدفع بالصدر، والمكابرة الفاضحة، لا ينفع معه الدليل، ولا تجدي البينة، ولله در من قال: [الخفيف]

والدَّعاوَى ما لـم تُقيموا عليها بَيِّـنَـاتٍ أبنـاؤُهـا أَدْعِـيـاءُ

و هو القائل: [الخفيف]

وإذا البيِّنَاتُ لَمْ تُغْنِ شيئاً فَالتماسُ الهُدَى بِهِنَّ عَناءُ

ثم أخذ على مؤلف "تنبيه القاري" اعتبار نفسه حَكَماً بين الأئمة، كالكوثري، وأفاض في الثناء عليه وإطرائه، ونقل كلام مادحيه، وعمي عن ذاميه، وعلى رأسهم ومن هو أبلغهم في القدح والتجريح والتجريم: الشيخ أبو الفيض الذي أفرد في تناقضات الكوثري فقط مجلداً طُبع، وهو "بيان تلبيس المفتري، محمد زاهد الكوثري" وقَبْلَهُ الإمامُ النقّادة، النفّاعة، ذهبيُّ العصر: الشيخ عبد الرحمن المعلّمي اليماني في كتابه الرائد "التنكيل، بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل" وكتاب الشيخ الواعية المطلع بكر أبو زيد القضاعي في كتابه "تحريف النصوص"، وغيرهم، وهذه الكتب في متناول يد عدنان البائس ـ لو أراد الله به خيراً ـ ثم ألا يكفي العاقل المنصف في إثبات ضلال الكوثري وانحرافه الشديد: تصريحه في مقالاته بتكفير الإمام المجتهد الشوكاني الذي ملأ الفضاء بمؤلفاته في الفقه، والحديث، والتفسير، والعقيدة، وكفره الطافح وردته الصارخة بإعلانه البراءة من الإسلام إن كان

ابن تيمية شيخ الإسلام، ألا قبح الله التعصب المُردي، والشعوبية القاتلة، فإن كل ما صدر من الكوثري من هذه الموبقات، والفواقر المهلكات، كان انتصاراً بالباطل لأبي حنيفة الذي يقدمه على جميع أئمة المسلمين، وفي سبيل الذب عنه ولغ في أعراض مالك والشافعي وأضرابهما من أئمة السلف الهادين المهتدين، بلْه الإمام أحمد الذي ما كان يعده من الفقهاء ولا العلماء المعتبرين عنده، وقد أفضى به تعصبه المقيت إلى النيل من بعض الصحابة كأنس بن مالك رضي الله عنه وغيره، أمثل هذا الدعي الخبيث يستحق التقريظ؟ ألا قبح الله من لا يستحي.

(**الطُّرة ١٨**): ثم ذكر عدنان مذهب الأشاعرة، وأفاض في مدحهم، والثناء عليهم، وتجاهل مذهب إمامه أبي الفيض فيهم، ووصْفهم بأقبح النعوت، كقوله عنهم بأنهم أفراخ المعتزلة، وأنهم ضالون مضلون، وهذا موجود في: جؤنة أبي الفيض، والإقليد، وغيرهما، ولأخينا الأستاذ الدكتور صادق سليم صادق كتاب "الرد على الأشاعرة والمتكلمين والفلاسفة"، قصره على كلام أبي الفيض وشقيقه فيهم، وقد قدمته له[1]. لكن الخائب الخائن أعمى الله بصره، بعد أن أعمى بصيرته، ينكر هذا ويدفعه، وكلامنا عن الأشاعرة المنكرين لصفات الله، والمعتقدين أن القرآن مخلوق، كقول سلفهم المعتزلة، لأن هذا القرآن الموجود بين أظهرنا، والمتلو والمقروء والمسموع ليس كلام الله، وإنما هو دليل عليه؛ لأن كلام الله نفسي منزه عن

(١) وطبعته دار التوحيد، الطبعة الأولى عام ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م. (الناشر).

الحرف والصوت، وليس له أول وآخر، إلخ هذيانهم الفلسفي الدخيل على الإسلام، وإذا بلغ بهم الضلال منتهاه، وسئلوا عن هذا النظم المعجز، كلامُ مَنْ هو؟ تحيروا واضطربوا؛ فَمِنْ قائلٍ: إنه كلام جبريل، وأعلن أحدهم أنه كلام محمد، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[يوسف:١٠٦]، وقد تخبط مُحْدِث البيضاء البريجي في الدفاع عنهم بأسلوب آية في الفسولة والتكرار واللحن، وإيراد أبيات من الشعر مكسورة، وقد قوّم له كثيراً منها الأخ بدر في "وقفاته" ونبّهه على لحن قبيح صدر منه مراراً، ومع هذا لا يرعوي عن عيب سيده وشيخه (بوخبزة) الذي ندم على اتصاله به، وما كان يظن به أن يبلغ به العقوق والجحود إلى القذف واللعن، والتجهيل والتفسيق.

ألا لعن الرحمن من يكفر النعم

(**الطُّرة ١٩**): ثم نقل عدنان عن السفياني نقله من كتاب "سوط الأقدار" للشيخ عبد الحي الكتاني الذي ضمنه من فضائح أبي الفيض ما يصك المسامع، ويذرف المدامع، وردّه بأنه من كلام الأقران بعضهم في بعض، وأنه يجب أن يطوى ولا يُروى، وأطال في نقل كلام العلماء في الموضوع مما هو معروف لا داعي إليه إلا تضخيم حجم الرسالة، وإظهار التعالم والاطلاع، وفاته أن لخصمه السفياني كتاباً جيداً في الموضوع وهو مطبوع، وينبغي أن يُعلم أن أبا الفيض هو السابق إلى تجريح عبد الحي الكتاني وتجريمه، ورسالته في ذلك مطبوعة مشهورة، وهي "كشف الأستار المسبلة،

وتبيين الأوهام المسلسلة، الكائنة في رسالة عبد الحي الكتاني المسماة بالرحمة المرسلة، في شأن حديث البسملة" طبعها أبو الفيض باسم مستعار[١]، وهو بكلّ تأكيد صاحبها كما سمعناه من إخوانه، والدافع له لكتابتها وطبعها الحسد، والشيخ المنتصر[٢] الذي كان يلازم أبا الفيض ويطلعه على أسْرار خصمهم جميعاً، وقد سفل أبو الفيض وهبط إلى الحضيض في شتائمه لخصمه، وعد مساويه، مما يصعب على العاقل تصديقه، حتى رماه بالكفر، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي كان يؤلف القرآن بغار حراء، وعليه فكيف يُلام الشيخ عبد الحي عن انتصاره لنفسه، وهو المظلوم المنتهك عرضه؟ وقد نسب هو الآخر "سوط الأقدار" إلى اسم مستعار، ومن أخلاق الرجل وحلمه، أنه ألغى رسالته ولم يتمها، كما أنه لم ينشرها، وإنما وُجدت في كتبه المنقولة إلى الخزانة العامة بالرباط، وهي هناك بخطه[٣]، وقد كان الأستاذ عبد الله كنون رحمه الله حدثني أن عبد الحي كتب إليه يرجوه أن يُوافيه بمساوي أبي الفيض ومواقفه في العمالة والتعاون مع النصارى، ليضمنها ردّه الذي هو بصدد كتابته، قال كنون: فكتبت إليه أرجوه أن يكف عن هذه المهاترات، وتبادل الاتهامات، ويشتغل بما ينفع الناس ويمكث في الأرض، فكف الشيخ عن ذلك. ولو كان كنون كتب إلى أبي الفيض بمثل

---

(١) انظر: "الجواب المفيد للسائل المستفيد" ص(٤٧-٤٨). (الناشر).

(٢) المقصود، هو: الشيخ المنتصر الكتاني. (الناشر).

(٣) لدينا صورة منها؛ وقد زودنا بها فضيلة الشيخ خالد الأنصاري. (الناشر).

هذا لما لقي منه تجاوباً، ولما رفع له رأساً؛ لما فُطِر عليه من العناد البليغ، واللجاج في الباطل، وقد وقفتُ له على تائيته: "بعر النعجة، في ذم أهل طنجة"[١] في مئات من الأبيات من الطويل، أتى فيها بما يصح أن يُعدّ قاموس الشتائم واللعائن، ولم يشذ عنها شيء منها، ولم يكتف بذلك حتى عكف على شرحها وهو معتقل بمدينة (أزمور)، فوضع شرحاً نعوذ بالله مما أورده فيه مما يعجز عنه إبليس، ومع ذلك سماه "صدق اللهجة، في التحدث عن تاريخ طنجة"[٢] ونسب المتن والشرح إلى اسمين مستعارين لم يخلقهما الله تعالى، هذا مع العلم بأن أهل طنجة هم الذين آووا والده ونصروه، وأنفقوا عليه وغلوا في حبه ومدحه، وأنفقوا ـ مأزورين ـ الأموال الطائلة على بناء الزاوية والضريح، فلم يجد أبو الفيض ما يكافئهم به سوى الطعن الجارح، والكشف الفاضح عن أسرارهم التي لا يخلو منها بشر، فهل هذا مما يحسن السكوت عليه؟ وقد تقدم أن عدنان مدح أولياءه وأئمته، وقرظهم وسمّى منهم: محمد سعيد رمضان البوطي ـ ولم يعرف اسمه ـ وهو خُرافي شهير، وشيخك البوطي ـ هذا ـ سعى حثيثاً في أذية السلفيين والمسلمين،

---

(١) قال الأستاذ بدر العمراني في تَعْليقه على "الجواب المفيد" ص(٧٣): «وقد نسبها لشخصٍ موهوم لا حقيقة له ولا وجود؛ إيهاماً وتستراً ـ كذا كتب الشيخ بوخبزة على طرة نسخته ـ باسم (عبدالله بن المختار بو هلال التطواني). وهذه المنظومة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط». (الناشر).

(٢) نسبها لأبي العباس أحمد بن علي البيدري. انظر: "الجواب المفيد" ص(٧٤)، حاشية (١). (الناشر).

وأحواله معروفة، وكتبه شاهدة برسوخه في البدعة، وقد ألّف غير واحد في كشف عواره وفضْح جهله، وتعالمه. وذكر عدنان من شيوخه المختارين: القرضاوي الذي نصب نفسه أميناً عاماً للتنظيم العالمي لعلماء المسلمين!! وبالأمس القريب أفتى المغاربة بجواز الاقتراض من البنوك الربوية لشراء السكن بدعوى الضرورة؛ أسوة بإخوانهم بأوربا، وله من أشباه هذه الفتاوى الباطلة؛ الكثير؛ كتصريحه بأننا لا نقاتل اليهود لأنهم يهود؛ بل لاحتلالهم فلسطين، ومثلهم الأقباط. وأنا على يقين بأنه وشيخ الأزهر وجمهور علماء السوء في العالم، لا يستطيعون أن يعلنوا أن اليهودية والنصرانية دينان باطلان، وأن الدين الحق هو الإسلام وحده، عملا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران:١٩]، وقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥]، وإلى الله نشكو غربة الإسلام وأهله في وطنه، إن علماءنا إلا السلفيين ـ وقليل ما هم ـ لا يستطيعون الجهر بهذا في النوادي العامة، والبرلمانات، ويطول بنا الحديث عن فواجع هؤلاء الأئمة قادة عدنان ومقلِّديه، دفعه الله بهم وحشره في زمرتهم.

(**الطُّرة ٢٠**): ثم تناول المُحْدِث البريجي، الكلام عن موقف أبي الفيض من الصحابة، وإعلانه تكفير ستة[1] منهم ـ وتبعه على ذلك أشقاؤه

(١) وقد حدثني بعض الثقات أنه سمع الشيخ عبد الله بن الصديق يعد الصحابة الذين لا يترضى عنهم، فقال: ((هم: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وبسر بن أبي أرطاة، وعبد الله بن جرير البجلي، وسمرة بن جندب، والمغيرة بن شعبة)).

الثلاثة ـ واضطرب فكره وعقله، فحاول الدفاع عنه في جرائمه هذه، بتأويل أحاديث المثالب؛ بل وإثباتها؛ إغراقاً في الضلال، واستجلاباً لسخط الكبير المتعال، وترديداً لقول من قال: لم يصح في فضل معاوية حديث، مع أن شيخه ومقدِّم كتابه هذا لحاجة في نفسه، صرح في كتابه "جواهر البحار"[١] أن حديث أم حرام[٢] يتضمن منقبة لمعاوية، وسبب ضلال شيخه وشيخه: الزيدية، والروافض الذين أغووا أبا الفيض وهو غرّ شاب بمصر، فقدم المغرب بكتبهم الكثيرة المطبوعة على الحجر، والتي باع الكثير منها للنصارى، وهي بخزانة تطوان، واحتفظ لنفسه بنسخة من "النصائح الكافية، لمن يتولى معاوية" لمحمد بن عقيل الحضرمي المطبوع بسنغافورة، والعجب أن عدنان شكك في قضية ترويج أبي الفيض لكتاب ابن عقيل ولا أدري لماذا، وقد حثنا أبو الفيض على قراءة الكتاب، وأعارنيه، كما أن أبا الفتوح كان مهتبلاً به، داعياً لما فيه، وقد عيره به تلميذه الأثيم المغفل الودراسي، لما أرسل يعظه بعدما تشيع وترفض، وكم من الأغبياء والعامة وقعوا في التشيع والرفض بسبب موقف أبي الفيض، وإعلانه لعن الصحابة، وحكمه على ضمائرهم، بأنهم كانوا أعداءً لعلي وكانوا يبغضونه إلا قليلاً منهم، ونسي أنه بهذا يحكم بنفاقهم، نعوذ بالله من ذلك، وقد نالنا من هذا الشر المستطير فتناولنا بعضهم بما يؤلم الفؤاد تذكره، ونرجو الله مخلصين أن يغفر لنا حُوبنا وخطايانا،

---

(١) (١/ ٣٣٣-٣٣٤).

(٢) رواه البخاري (٢٩٢٤)، ومسلم ((٥٦٨٣) ـ نووي).

وإسرافنا في أمرنا، فعلى أبي الفيض وِزْرُنا ووزرٌ من عمل بزُوره وتضليله إلى يوم القيامة، وليحمل أوزاره وأوزار من أضلهم بغير علم إلى يوم الدين، **وكلام عدنان في هذا الميدان مُمِل جداً لتكراره وركاكة أسلوبه، وقد فاتني أن أنبه قبلُ إلى أنني إذا قرأت صفحة من كلامه وأردت تلخيصها شقّ عليَّ ذلك لافتقاد التبيين، ووحدة الموضوع، وتداخل المعاني، وسوء الاستطراد، فأعاني من ذلك ما أرجو ثوابه من الله تعالى لكشف عواره، وفضح جهالاته.** وفي موضوع الصحابة وموقف أبي الفيض كان يكفيه عن تمحلاته أن يقرر أولاً أنني على دينه، وأعتقد عقيدته، فلا داعي للبحث عن الأحاديث الواهية، وتتبع الأخبار من "النصائح الكافية"، وتاريخ الطبري، دون أن يعرف أن معظم تلك الأخبار هو من رواية المتروكين والكذابين، كالواقدي، وسيف بن عمر، وأبي مخنف لوط، وأضرابهم، وأن مهمة الطبري ونظرائه رواية التاريخ بالسند، وهو يحيلك في نفس الوقت على البحث والنقد، ولْتحاول أيها المخذول، أن تجد مثل تلك الأخبار في الصحيحين، ومثلهما ممن يتحرى الصحيح، ولكنك لجهلك وغرضك تميل إلى إثبات تلك الأخبار، وتُشيح بوجهك عما يناقضها، وَتَتَبّع كلامه الخبيث يطول، ولذلك نحيله على كتاب جميل يُعتبر نقضاً مسدّدا إن شاء الله لنقائص وتلبيسات "النصائح الكافية" التي برم بها أبو الفتوح فأحرقها، وكأنه تاب مما فيها وعسى ولعلّ، واسمه "إسكات الكلاب العاوية، بفضائل خال المؤمنين معاوية" للأخ محمود ابن إمام بن منصور من علماء نجد، وقد طبع بالمدينة المنورة، فندعو عدنان

أن يقرأه بإنصاف وتجرد من الهوى والغرض، ومن العجائب والعجائب جمة، تعرض المُحْدِث البْريجي الفَدْم لنقد ابن الجوزي والألباني والحط عليهما، ولا عجب فإنه إذا اقتضى الأمر يشتط فيتناول ابن تيمية وابن القيم والذهبي، وربما الحافظ ابن حجر ونحوهم من جبال العلم والحفظ. ولْيُعلم أننا نعيش الآن زمن المسخ، وهذه مَظَاهِرُهُ، والعلم ليس له محتسب، وها هو عدنان زُهار المحاسب بالعمالة (كونطبلي) نبغ في علوم الحديث، وأتقنها وصار بين عشية وضحاها يتعقب كبار الحفاظ، ورموز الأمة في العلم منتهجاً في ذلك نهج شيْخيه المتنافريْن حسن السقاف، ومحمود سعيد، المتمثل في الرد والتعقب كيفما تيسر، وإلا فصنيعهما لا يكِع عنه إلا من يستحيي من تصيد الكلام في الرواة ـ ولا يكاد يخلو راو من عيب ـ فيطير به ويصحح ويضعف دون حسيب ولا رقيب، وعمل عدنان ومن وراءه من أثافي الضلال، ودعاة الفتنة، ضرب في حديد بارد؛ لأن الناس في الشرق والغرب يرجعون إلى الألباني وأصحابه، ويعتمدون أحكامه على الأحاديث، وكتبهم وأبحاثهم تزدحم بها المكاتب، وقديما قال حكيم: [البسيط]

النّاس أكيس من أن يمدحوا رجلاً ما لم يروا عنده آثار إحسان

سبق لعدنان أن التفت إليّ وسلقني بلسانه الطاغي ص(٣٦)، وردد تهمته الداحضة لمؤلف "تنبيه القاري" أنه لم يكتبه، وإنما نقله عني، وليس له فيه إلا اسمه، ثم رماني بالكذب، وخوّنني، وأنني غيرُ مؤتمن في كلامي عن أبي الفيض؛ لانحرافي عنه، وهذا غريب، كأنني أتكلم من عندي، أفلا يرى

الأعمى، أن مؤلف "تنبيه القاري" ما أخلى فصلاً من فصوله من الاحتجاج بكلام أبي الفيض بنصه وفصه دون تصرف؛ نقلاً عن خطه من رسائله الكثيرة التي أطلعتُه عليها، ولم تكن رسائل الكُرفطي طُبعت، وفيها ولا سيما ما لم يُطبع منها فواقر وبوائق، وكذلك بعض مؤلفات أبي الفيض غير المطبوعة، وطرره وهوامشه التي كتبها على بعض الكتب، فكيف تنكر هذا أيّها الإمعة المفتون زادك الله فتنة؟ وقد عاب عليّ زعنون إفشاء أسرار أبي الفيض، وهي كلمة قديمة سمعتها من الشيخ عبد الله، وناقشته فيها قائلاً: إنها مسائل علمية كان أبو الفيض يوصيني بحفظها وطبعها، وهو الذي اقترح الاسم إن تيسّر الطبع: "الجواب المفيد، للسائل المستفيد"، وهذا ما فعل الأخ بدر بإذني، والمنشور منها ما سلم من سرقة وسطو أبي الفتوح ـ فتح الله عليه أبواب الشر ـ، وزعمه أنني انقلبت ضد الشيخ بعد اتصالي بجماعة الوهابية الذين غرّروا بي إلخ، فليت شعري من هؤلاء الوهابية؟ لماذا لم تفصح عنهم أيها الجبان، وهذا اتهام رخيص بارد كسائر اتهاماتك، والوهابية لا وجود لهم في المغرب، والغريب أنني لم أسمع هذه النسبة في الحجاز والنجد، وعلمت من علمائهم الحنابلة أنها تسمية سياسية من فعل الاستعمار الإنجليزي، وعدنان يعلم عني أنني لم أدرُس بالحرمين، وليس لي علاقة بالنوادي والمعاهد العلمية هناك، وأنا حججت مرتين، واعتمرت أربعاً بمالي، ولم أتملق أحداً، ولا طلبت رفداً لا بالحال ولا بالمقال، لا كما يفعل شيخه أبو الفتوح الذي يعتمر كل سنة لجمع الفتوح، والتسول بالأكاذيب،

ولم لا يفعل، وقد شاهدت شيخيْه عبد الله وعبد العزيز، وكيف يترددون بعد أن مكثوا سنين لا يعرفون أحداً، فَمَنَّ الله عليهما بالفاداني[١]، وهو عجمي، ومنزله بمثابة الزاوية يقصده العجم من بلده وغيرها، وقد أوحى إليهم أن الشيخين من آل البيت ومن المحدثين والصوفية، فأقبلوا عليهما يلتمسون بركتهما! ويستجيزونهما في الطريقة الصوفية والحديث، وقد حصدوا من ذلك الملايين، وتبحبحوا في الرزق وتوسعوا في غيبةٍ من تأنيب الضمير، وموت الورع، ناسين أن هذا ـ جزماً من أكل الدنيا بالدين، وما نقمه عليَّ عدنان من أن سبب انحرافي عن الشيخ والزاوية الهاوية، هو ما اطلعت عليه بعد وفاة الشيخ مما لم أكن أعرفه، هو الواقع بلا تردد، وقد أشرت إليه فيما تقدم، ويرجع الأمر بعد عناية الله تعالى ولطفه، وله الحمد والمنة إلى كتابيْ "الإقليد" و"البرهان الجلي"، وقد كنت استعرت من الشيخ كتابه "البرهان" فاعتذر بوجوده عند شقيقه عبد الله بقصد الطبع، ولم يتيسر طبعه في حياته رغم سعيه، ولا أشك في أن لشقيقه يداً في ذلك لما يعلمه في الكتاب من تُرَّهات وخزعبلات ينزه عنها العاقل، وبعد وفاته طبعه مَريده البكباشي، وقدم له بمقدمة آية في الفسولة والركاكة والعجمة، مع أبيات في مدح الشيخ لو سمعها المتنبي لمات حسرةً وكمداً، ولما سألت عنه أخاه الدكتور إبراهيم، قال: هو عنده، فاستعرته فأعارنيه مساءً، وفي الصباح التالي استرده مني

---

(١) هو: محمد ياسين بن محمد عيسى بن أوديق الفاداني، الأندونيسي المتوفي سنة ١٤١٠هـ. (الناشر).

بإلحاح معتذراً بما لا يُقبل، وبعد أن وقعتْ بيدي نسخةٌ منه وقرأتُه، عرفتُ السبب الحق، وهو ما تضمنه الكتاب من فضائح، أما الكتاب الأول "الإقليد"، فقد رأيت أصله بخط المؤلف بطنجة في مجلد ونظرت فيه ولم أستطع قراءته فضلاً عن نسخه لكبر حجمه، ولم تكن آلة التصوير السريع ظهرت، وبعد مدة وقعت بيدي نسخة بخط أبي الفتوح، ولم أر كتابا أردأ خطاً منه، فصورتُه وقرأته وتيقنت أن المؤلف يكيد للإسلام بعبثه بالقرآن وتفسيره بالرأي المحض، ناهيك من رجل سلخ شهوراً وأياماً يقرأ القرآن في المصحف، ويراجع لمعاني المفردات تسهيل ابن جزي كما أخبر في رسالةٍ إليَّ، وكلما مر بآية من سورة البقرة إلى سورة الناس، تتعلق بالمنافقين والنصارى واليهود والصابئين والمشركين ونحوهم، إلا طبّقها على المقلدين المسلمين، دون قيد ولا استثناء، زاعماً أنه المعنى الصحيح المراد لله تعالى، كما أقسم بالله تعالى في "مطابقة الاختراعات العصرية"[1] أن الله تعالى ما أراد بالآيات النازلة في المنافقين في أوائل البقرة إلا الوطنيين من حزب الاستقلال، وحزب الإصلاح الوطني! فاعجب لهذا الرجل الذي بلغت به الجرأة على الله والاستهانة بحرماته إلى هذا الحد، ولما وعيت هذا وعرضته على أصول الدين الإسلامي وقواعده وفقه سنته، وعلمت أنه ينافيه كل المنافاة، وأن الأمر لا يحتمل التأويل؛ فنفضت يدي منه، وتبرأتُ من نحلته، وأعلنت منابذته، ولا بأس عليَّ إن قضيت الأعوام والسنين في الرد عليه وكشف

(١) انظر: ص(٧٠)، نشر: مكتبة القاهرة، سنة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

عوراته؛ لاعتقادي أنها أفضل الجهاد، لأن أبا الفيض وحزبه يخربون حصوننا من الداخل، والاغترار بهم قاتل، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما أخبرت به عدنان في رسالة مني إليه من عزمي على كتابة "صحيفة سوابق" أسجل فيها نحو خمس عشرة موبقة: صحيح، وقد زدت عليها فبلغت الآن عشرين موبقة بين مكفّرة ومفسّقة، ويطيب لي أن أَعْلِمَه أن كتابه "دفاع عن كرامة أبي الفيض" كان أكبر حافز وأقوى باعث لي لنفض الغبار عنها، والتعجيل بكتابتها ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بينة، وما كتبت هذه الطرر والمواقف ـ وقد بلغت العشرين ـ إلا مدخلا لها، وسأوافيك بها بعد قليل، وأذكرك بكلمة الإمام المجاهد الصابر المحتسب أحمد بن حنبل المتقدمة التي فضل بها من يحارب المبتدعة، ويكشف للناس ضرهم على الصائم القانت المخبت المنقطع؛ لأن نفع هذا قاصر عليه، والأول يعمل لأجل حماية الدين والمعتقد، وسلوك مُحْدِث البيضاء والبُرَيجة المخزي معي عجيب، فإنه زارني وتتلمذ على رسائلي واستجازني فأجزته، فوجد في صيغة الإجازة وصف أبي الفيض: إمام العصر، ونادرة الدهر، في حين أنني أكفره وأحكم بردته؛ بأدلة تبلغ خمسة عشر دليلاً باعترافه، مع أن واحداً منها يكفي، والوصف المذكور صحيح، ما زلت أعتقده بأن أبا الفيض كان وقته بالمغرب إماماً فريداً لا نعلم له نظيراً، وليس هذا خاصاً به؛ بل هو موقفي من الكتاني، والفاسي الفهري، فإنني أعتقد فضلهم العلمي، وأبرأ إلى الله من انحرافهم وعمالتهم، ولكن حصة أبي الفيض كانت حصة الأسد؛ لأنه شذ عنهم، وتظاهر بمصائب لا تُعرف عنهم، والحق أن انحرافي عنه بدأ

برسالة فرعون، فقد دهشت لجوابه عن سؤالي عن فرعون بأنه مؤمن، ولا شك أنه يقول زيادة على إيمانه بولايته، كما قال قدوته الكبرى ابن العربي الزنديق الملحد في "فتوحاته"؛ بل مسوخاته التي مسخت عقول الغماريين، حتى نَعَق أبو العُسر جمال الطين[1]، بنعته مُحيي الدين والإيمان، ودعا: أعاد الله عليه من أنفاسه الزكية، وملأ كتابه "السوانح" من فضائحه، وحين اطلعت عليها وجدتها من موجبات الكفر والردة، ولم أستبح السكوت عليها فكتبت عليها ردوداً موفقة إن شاء الله. ثم إن صيغة تلك الإجازة كانت قديمة، ومع اعترافي بمشيخته لي كغيره، فإني أبرأ منه وأحذر منه، وأكشف للناس جرائمه عملاً بأصل الولاء والبراء في الإسلام، وإحياءً لسنة خليل الله عليه السلام، والشهادة بالحق واجبة كما قال تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[النساء:١٣٥]، ومسألة التكفير والتفسيق أنا أعلم خطورتها، وما كنت لأجرأ عليها لولا ما توفر لديّ من دلائل وبراهين جمعت أقوى وسائل الردة، كما يُعلم من أبواب الردة في جميع مذاهب الفقه، على أن كثيراً من العلماء والدعاة في الحرمين الشريفين ومصر، لما وقفوا على رسالة أبي الفيض في إثبات إيمان فرعون، استعاذوا بالله منها، واعتبروها محادة لله ورسوله، فكيف لو اطلعوا على سائر موبقاته التي ستتولى "الصحيفة" ببيانها بإذن الله؟! ويعلم الله أنني لم أكتب حرفاً فيها بدافع الهوى أو الانتصار للنفس، فإنني لم ألق من أبي الفيض إلاالجميل، وقد أهدى إليَّ من كتبه الكثير

---

(١) يعني: أبا اليسر، جمال الدين: عبدالعزيز الغماري. (الناشر).

ومدحني بقصيدة ميمية أوردها بدر في "الجواب المفيد"[1]، وما أحسبه مدح غيري بالشعر، وقد كانت رداً على مدائحي التي لم أكن فيها كاذباً؛ بل معتقداً مغتراً، جاهلاً بالحقائق، وقد اعتذرت من هذا، وصرحت به في رائيتي التي نشرها أبو سفيان، في طليعة "تنبيه القاري" وهذه أبياتها الأولى، وكلها مهمة في نقد صوفية طنجة وما هم عليه من الإفك والبهتان: [الطويل]

قضيتُ زماناً صوفيا ومقلداً ... لمن كنتُ أرجو منهمُ صالح الأثرْ

فما نلت منهم غير زور وبدعة التـ ... ـشيّع، يا ويحي لما حلّ وانتشرْ

فقلت مقالاً مستقيلاً ومعلناً ... إلى القوم: إني تائب للذي فَطَرْ

مدحتكمْ غِرّاً ولم أكُ عارفاً ... بتاريخكم، يا مصدر اللُّؤْمِ والخَوَرْ

وقد صارحتُ بهذا الشيخ عبد الله بمكتبة الناصر بتطوان لما لامني على تأخري عن جنازة أخته زكية، فأخبرته بأنني لا أدخل الزاوية، فرد عليَّ وأساء الأدب، فأخبرته بأنني أسلمت لله وتبرأت من الزاوية وأهلها، فغضب الرجل وعلا صوته، فسببته، وانصرف مسرعاً، وذهب إلى صهره وشكاني إليه. هذا الرجل الخرافي رقم(١)، كما كان علماء الأزهر يلقبونه، والجَحُود لكل يد، وقد نفعتُه لمَّا كان بالسجن؛ مادياً وأدبياً، وَشَرْحُ ذلك يطول. ولما عاد إلى المغرب مختل العقل، وزارني وأخبرني بأنه بصدد تأليف كتاب في الرؤيا، رجوته أن يتعرض لأبي الفتوح وكَلَفِه بالرؤى، واستهتاره

(١) ص(٨٩-٩٠). (الناشر).

إلى حد الردة؛ إذ زعم أن أحد أنعامه رأى الله ـ سبحانه وتعالى عن إفك الأفاكين ـ على صورته (الجميلة الساحرة المنورة!!)[١] فشاركني عبد الله في الاستنكار والاستهجان، ولما صدر الكتاب، لم أره فعل، وقد حصل لي معه مناظرة في الزاوية في مسألة تتعلق بالتشهد في الصلاة، بادر فيها إلى تكذيب الألباني في نسبة رواية إلى البخاري، ولما راجعت "صفة الصلاة" ـ له ـ وجدت العزو صحيحاً، فكتبت إليه، فأشار إلى القصة في كتابه "الرؤيا" وذكرها على غير وجهها، والرجل كان كثير الخلف للوعد، فقد حدثني الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله أن علماء المدينة أكرموا الشيخ عبد الله، وأخذوه معهم إلى العوالي ـ وهو أكول والقوم لا يقصرون في أنواع الأطعمة والحلويات ـ فناظروه وأوقفوه على مطاعنه في شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه، فأجابهم بأن ذلك كان قديماً، وقد غيَّر رأيه الآن، فألزموه التوبة والكتابة، مع الوعد بالرجوع عن ذلك، فكتب مؤكداً وعده، ولما عاد إلى طنجة والزاوية؛ وَكْر الفجور "عادت حليمة إلى قواعدها القديمة" كما وعدني بالرد على أبي الفتوح وكشف أكاذيبه في رؤاه الشيطانية، وأخلف الوعد، وكنت متردداً في وفائه علماً بأن الرجلين معاً ومن معهما من أبناء الزاوية، يعيشون من رَيع الزاوية (الحلال الطيب!!) من النذور والصدقات و(الوعْدات) وهم يعلمون، وزادوا بعد ذلك التهافت على موائد تجار

---

(١) أورد هذا الإفك. التليديُّ في رسالته: "المنح الإلهية بالمبشرات التليدية" ص(١٣). (الناشر).

المخدرات بطنجة ونواحيها، فكانوا يذهبون إليهم زرافات ووحداناً، ويتقبّلون بغاية السرور صدقاتهم ويسمونها هدايا، وحدثني بعض الثقات أن أحد أباطرتهم كان له مسجد بطنجة رتّب فيه طلبة ينفق عليهم ويشتري لهم الكتب، ويرسل سائقه بسيارته (المِرْسديس) الفارهة إلى الزاوية لتحمل الشيخ إلى المسجد لدراسة "الأصول في محاربة الرسول"، ومصطلح الحديث، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[البقرة:١١-١٢] هذا وشعارهم المعروف عن أهل الزوايا: «**الحلال ما حل باليد، والحرام ما حُرِمْنا منه**»، إذا عرفتَ هذا علمتَ أنني غير مُلومٍ على ما صنعتُ؛ لأنه الواجب على كل مَنْ عرفه، وقد قامت الحجة على مُحْدِث البيضاء، فاطلع على مصائب القوم ومثالبهم خصوصاً أبا الفيض، وبَدَل أن يُسارع إلى الإسلام والتوبة، ركب رأسه، وأصر على ضلاله، ودافع عن رجل بما لا يجديه نفعاً، وقد اعتذر عني وأدركته رِقة على شيخه فرحمه بسبب ملازمته الفراش وطعنه في السن!؟ وهذا إفك مبين، ولعل إبليس ألهمه هذا الخبر، والواقع أنني بحمد الله معافى أقوم بواجبي في الكتابة والتدريس، والإجابة عن أسئلة السائلين التي تتجاوز العشرات في أغلب الأيام، ونرجو الله تعالى أن يُطيل عمري في طاعته «وخيركم من طال عُمُره وحسن عمله» كما ورد[1]، ووالله ما أحب أن يُنسأ في أجلي إلا لأُنشقكم الخَرْدَل، وأطعنكم في السويداء بسهام السنة

(١) رواه الترمذي وحسنه، رقم (٢٢٥١).

والحق، يا حزب إبليس، وجنده المخلصين.

يـا من بُلـيتُ بـهمْ والعقل في نكَـدٍ
مـمـا أرى من ضُروب المسْخ ألوانا
هــذا حليف ضـلال في البَريـجَة قـدْ
أَبـدى من الـجهل والإشـراك أفنـانـا
(عَزْنـانُ) نَجْـلُ (زُحـارٍ) نَغْمَةٌ نَشَزَتْ
مـن طِـبْل إبلـيس أَوْلاهـا تَلاحـينا
أبـو الفتـوح ترامـى راقـصا فَرِحـــاً
يصيح فيهم، ويُبْدي الـحُـمْقَ أَحْيانا
أشـكو إلـى الله طُرْقـاً للتــصوف مـا
زالـتْ تُـخَرِّبُ فـي الإسـلام إِمْعـانا
أَبْــدَوْهُ للنـــاس تـخريــفـا وزنـدقةً
ووَحْـدَةً، تَـحْسِبُ الرحـمن إنسـانا
لَعـائِـــنُ الله تَـتْرى بُكْـرةً ومَـسا
علـى زوايـاهُم خِـزْياً وخُسْـــرانـا
ومـن شُيوخ ضـلال قـد طغـوا وبغوا
وبـدّلوا دينـــنا ظلــمـا وعُـدوانـــا
وذكرهمْ قبـل رقـصٌ لليـهود نُمـي
والزّمر والطبل إحسانا وإيمانا
يـا ربّ واحْمِ حِمى الإسلام من دَدِهِمْ
فقـدْ طمـى السـيلُ بالأخـطار إيذانا

أما أبو العسر وجمال الطين، فحكايتي معه طويلة، وسأذكر بعض

مواقفه ومزاياه ليعرف القارئ طبيعة القوم في اللؤم والتلون، والخبث والوقاحة: استدعاني مرة إلى بيته وأطلعني على مؤلفاته فرأيت منها "السفينة المشحونة" قد أنجز منها المجلد الأول وبعض الثاني، واستعرتها منه فأعارني الأول لمدة أسبوع، وتصفحت الكتاب فإذا هو كتبه حسداً لشيخه أبي الفيض على "جؤنة العطار"، وأخذ منها الكثير، وتجرد لهتك عرضه بما يستحيى من ذكره، ولما خرجت من عنده ولم أشرب عنده حتى الماء، لقيني أخوه الحسن، وكان على علم بالكتاب، فاستعاره مني وألح وبالغ، فدفعته إليه على أن أرجع بعد أسبوع لرده إلى صاحبه، وهكذا رجعت وتسلمت الكتاب، ولم أجد مؤلفه، فذهبت إلى الزاوية فلم أجد شقيقه عبد الحي، فدفعت الكتاب لابنته الكبرى وأوصيتها أن لا تدفعه إلا لأبيها، ورجعت إلى بلدي وكان معي الأخ عبد السلام بن تامة الحُسيني رحمه الله، وبعد أيام بعث إلى صهري التجكاني، ودفع إلي رسالة من أبي العُسر بمحضر حاملها من طنجة أحمد بن عجيبة الذي حمل أربع رسائل إلى بعض الناس للإيذاء والتشهير، وقد قاء ما في صدره عليَّ، ووصفني بالطالب الخائن (الذي أكل طعامنا)، وأخبر أنني أخذت الكتاب إلى عدوهم الأول (فرعون التجكانيين) أبي الفيض، وأن هذا لما وقف على فضائحه في الكتاب عزم على حرقه، فتوسلتُ إليه وبكيتُ ـ وفي رواية عبد الحي ـ أنني سجدت على قدميه أقبلها وأبكي وأرغب، فما كان منه إلا أن انتزع منه الأوراق المتعلقة به ورجع إليَّ الكتاب! وهذا كله بهتان وافتراء وقذف، وقد طلبتُ ممن أرسل إليهم الرسائل أن يمكنوني منها لأرفع عليه دعوى بالقذف، فلم يساعفوني، وأخبروني أنهم أحرقوها، ولما علم

أبو الفيض كتب إليَّ يهدئني ويشرح لي أخلاق القوم وسوء معاملتهم، ويخبرني بأنهم وسائر أقاربه من تجكان؛ قوم مفسدون؛ فُطروا على الأذى والشر، وأنهم أمة حاقدة حاسدة طبعاً، وقال: إياك أن تطلعهم حتى على شرب الماء البارد، والرسالة تحت اليد بخطه[1]، وآسفني أنني كتبت إلى أبي العُسر أعتذر إليه وأبرئ نفسي مما رماني به، وأحلف له بالأيمان المغلظة أنني لم أفعل شيئاً مما توهم، ولم أكن أعلم أخلاق القوم، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما حُمْتُ حولهم، ولا أمررت على خاطري ذكرهم، وذكرت بوصف أبي العسر إيَّايَ بأكل طعامهم أنني حضرت مرةً بمرتيل غذاءً، وجرى ذكر الشيخ عرفة الحراق، فذكرتُ بعض أقواله وأعماله القبيحة، ولما خرجت قال لي الصهر التجكاني: إن سيدي عبد العزيز عاب عليّ وقيعتي في الحراق، وأنا كنت آكل طعامه، فعلمت أن البائس الفقير مهووس بالطعام؛ يمنُّ به ويؤذي؛ مما يدل على لؤمه وسوء تربيته، وليته كان حقاً؛ فإني لا أذكر أنني شربت الماء عنده، كما أشرت إليه آنفا، ولم يدر اللئيم أنني أعلم دين الزاوية وأنها إنما بنيت للسلب وأكل أموال الناس بالباطل، ولذلك كنت ـ وأنا ما زلتُ أغشاها ومن رُوَّادها ـ أدفع للشيخ الزيارة، وأعدها ثمنا لما آكل، وإعداداً للمستقبل؛ إذا حاسبني لئيم من أهل الزاوية: طالبته بالحساب. وقد حدثني بعض الناس الثقات أنه كان يجد في نفسه من قول أحد أبنائهم الفساق له أمام الناس بقصد الاحتقار: إنكم من فقرائنا، فقلتُ له: ولِمَ لَمْ تقل

(١) وانظر الجواب المفيد ص(٦٧).

له أنت: وأنتم من (سُعْيانِنا). ومسألة أخرى من أخلاق أبي العسر: أنه كان يستحل أموال الناس، فقد حدثني كُتبيان بطنجة أنهم كانوا إذا باعوا له كتاباً، أتعبهم غايةً في الأداء، واشترى مرةً من الكتبي الناصر بتطوان "سنن البيهقي الكبرى" بستمائة درهم، أدّى منها ثلاثمائة وجحد الباقي، وكتب إليه الكتبي بمحضري يطالبه بحقه، فأجابه بأنني لست الحسن الثاني، ولا أدري ماذا يريد!؟ وتأمل ورع الرجل المحدث شيخ الطريقة، وربيب الزاوية، المولع بالرقص والتصفيق، وقد أورث هذه الخصلة مَريده الدعي الكرفطي فاستباح أموال الناس بالباطل، وحدثني غير واحد من أنعامه أنه زار دمشق وعزم أن يرزأ الإمام الهمام، الورع بحق، الذي كان يأكل من كد يده ناصر الدين الألباني ـ طيب الله ثراه ـ: ماله وكسبه، فاستأذن عليه في بيته، وأمر بهائمه أن يجعلوا مسابحهم من أعناقهم؛ لأن الرجل ـ الألباني ـ وهابي لا يحب السبحة، ولما دخلوا عليه اقترض منه أبو الفتوح بضع مئات من الليرة لنفقة السفر، فأقرضه إياها، فكان آخر العهد بها، ولما زار الألباني طنجة لقيتُه بها وسألتُه: هل زارك أبو الفتوح؟ فقال: لا، ولعله من أجل الدَّيْن الذي مرت عليه سنوات. وهكذا القوم وأخلاقهم ومعاملاتهم، غريبة عن أخلاق الإسلام والإيمان. والسُّنَّةُ عندهم في: كحل العينين، وخضاب اللحية، وتربية الوفرة، والعمامة والعذبة، ونحو هذه الشكليات[1]، أما

(١) لا يقصد الشيخ قطعا التقليل من هذه السنن، فله في إحيائها قدم صدق، وإنما ينعى على الصوفية انصرافهم إليها وتركهم لما هو أهم.

الصدق والأمانة والورع واتباع السنة بحق: فهم لا يعيرونها اهتماماً؛ اعتمادا على شفاعة شيوخهم. وقد ذكر أبو الفتوح في كرامات الشيخ محمد بن الصديق أنه سينصب نفسه على متن جهنم ليمر أصحابه عليه[١]، فليهنأوا بهذه الكرامة، وعندي من أخبار القوم ومصائبهم الأخلاقية والمالية والعقدية ما لا داعي إلى ذكره لخروجه أولاً عن الموضوع، وطوله ثانياً، وقد رأيت هذه الطرر طالت واستطالت وبلغت العشرين، فرأيت الاقتصار عليها والتوجه إلى الفصول العشرين من "الصحيفة" وفاءً بالوعد، وإعلانا للواجب، وقبل الشروع فيها أنبه إلى ما يلي:

تنبيه:

أولاً: لم أرد مما أثبت من الطرر العشرين السابقة استيفاء الرد على "دفاع عن كرامة وعرض سليل الأشراف الحافظ الإمام سِيدي أحمد بن الصديق رحمه الله تعالى" تأليف الفقير إلى الله تعالى عدنان بن عبد الله زُهار عفا الله عنه، قدم له المُحَدِّث الشريف أبو الفتوح عبد الله بن عبد القادر التليدي حفظه الله، وذلك لأن مجال البحث فيه واسع لكثرة أخطاء الرجل وجهله، وقد استوفى المهم من الرد قبلي الأخ الأستاذ الفاضل بدر العمراني الطنجي في كتابه "وقفات مع عدنان زهار في دفاعه عن الشيخ أحمد بن الصديق الغماري"، وهو مرقوم في ٣٥ صفحة بالحرف الصغير، ولعله يوفق لتخزينه وعرضه

(١) حياة الشيخ أحمد بن الصديق ص(٥٨).

على شبكة الإنترنيت ليعم النفع به[١].

ثانياً: إنني أنصح عدنان زُهار الذي أماط قناع الحياء عن وجهه، أن يراجع نفسه، وأن لا يثق بمن دفعوه للوقيعة برموز العلم والإيمان، والذين يقال فيهم بحق، لحوم العلماء مسمومة، وليعتبر بمن يدافع عنه، فقد عانى من المصائب والويلات طيلة حياته القصيرة، ولا أرى ذلك إلا من استطالته في أعراض الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، ووقيعته في عرض شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه وتلاميذه، وقد مات وهو بين الناس دون شهادة[٢]، كما أنصح له بقراءة كتاب "الزاوية" و"رسائل الصيام" للشيخ الزمزمي، والله يتولى هدانا أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه والتابعين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ولتمام الفائدة سألحقها بآخر هذه الصحيفة.

(٢) وانظر تفصيل ذلك في رسالة "خطاب مفتوح إلى السيد الزمزمي" أحمد محمد مرسي وإسماعيل تمام.

بوائق أبي الفيض

أحمد بن الصديق الغماري

موثقة من كتبه ورسائله

الفصل الأول

في قوله بوحدة الوجود ووجوب اعتقادها، وأنها محض الإيمان، ومن لم يؤمن بها ففي إيمانه خلل

هذه بائقة تستتبع بوائق ثلاثاً:

فالبائقة الأم (١) وحدة الوجود، يليها (٢) وجوب اعتقادها، (٣) أنها محض الإيمان، (٤) من لم يؤمن بها ففي إيمانه خلل ـ عياذاً بالله ..

وقبل استعراض أقوال أبي الفيض في هذا المجال، نقدم كلمة في معنى وحدة الوجود، وبعض أقوال أربابها، وأصلها، ونقتصر في الغالب على أقوال صوفية المغرب، وبلدنا على الخصوص، وقد سبق لي أن كتبت فصلاً مهماً في هذا الموضوع أودعته الجزء الثاني من موسوعتي "جراب السائح"[1]، وهذا نصه تحت عنوان (فائدة مهمة):

---

(١) جراب الأديب السائح (٢/ ١٢٤).

يرى القارئ أن فلسفة ابن العربي الحاتمي في كتابيه "الفتوحات المكية" و"فصوص الحكم" مبنية على وحدة الوجود وأن هذه الكلمة مع كلمتيْ (الاتحاد) و(الحلول) تشيع في كتب هذا القبيل من متصوفة الفلاسفة، وقد كثر الخوض فيها، والسؤال عن معانيها،واختلفت أقوال شارحيها، حتى أُفردتْ بالتأليف، من عبد الغني النابلسي، إلى البهاء العاملي[١]، وغيرهما، وقد انتهى المطاف بجمهورهم تهويلاً وتعمية، إلى أنها لا تُفهم بالعبارة، وإنما بالذوق، فأحالوا عباد الله على مجهول غير معين، كما ترى عند النابلسي في "بذل المجهود" والتيجاني في "جواهر المعاني" وأبي الفيض في "جؤنة العطار"[٢]، وأشار إليه أحمد ابن عجيبة في كتبه، وخصوصا "إيقاظ الهمم لشرح الحكم". وتفسيره "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد". وأكده من المعاصرين أبو الفيض أحمد بن الصديق كما أشرنا. والحق أن كلامهم تهويل، وينطوي على إرهاب فكري، يتمثل في تهديد من يحاول الرد عليهم، وتسفيه رأيهم الأجنبي عن الإسلام.

ولنبدأ بشرح هذه المصطلحات فنقول:

حصر ابن العربي في "الفتوحات"[٣] المعلومات في أربعة لا خامس لها:

---

(١) هو: محمد بن حسين بن عبدالصمد، الحارثي، العاملي، من علماء الرافضة وأدبائهم، دفنُ طوس، مات سنة: ١٠٣١هـ. انظر: ترجمته في "الأعلام" (٦/ ١٠٢).

(٢) جؤنة العطار (١/ ١٢٣).

(٣) الفتوحات المكية (١/ ١١٨).

١- الوجود المطلق، يعني: أن وجود الله، عين ذاته وليس معلولاً لشيء.

٢- الحقيقة الكلية، التي بمعرفتها يعرف سائر المعلومات كلها، فإن وَصَفْتَ بها الموجود؛ فهي القِدَم، غير المسبوق بالعدم،كوجود الله، وإن وَصَفْتَ بها الحادث وهو الموجود بعد العدم؛ فهي ما سوى الله.

٣- العالم الأكبر كله، ما عدا الإنسان.

٤- الإنسان، هو العالم الأصغر.

وأصول فكرة وحدة الوجود قديمة، تلقفها ابن العربي ومن قبله عن فلاسفة الهند، كما تراها عند أبي الريحان البيروني في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة"[١]، ومؤداه أن البراهمة الوثنيين في الهند، يعتقدون أن طريق التأمل والاعتبار تجعلهم يقربون من الله، حتى أن الله بذاته يحضر في قلوبهم وضمائرهم، فتتوق النفس إلى الاتحاد به، فيحصل الاتحاد، وتذهب الإثنينية والبينية. ويستحيل الذاكر والمذكور شيئاً واحداً. وقد أكَّد لي هذا المعنى الأخوان الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، وأخوه محمد العربي[٢]، العارفان بعقائد الهند وحضارتها. إلا أن ابن العربي انفرد بأسماء خاصة تعميةً وتلبيساً، فسمى أصل العالم هباء، أَخْذاً من كلمة تُنسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً

(١) تحقيق ما للهند... ص(٢٧). وفي طبعة قديمة ص(٤٣).

(٢) وللثاني كتاب ضخم في تاريخ مدنية الهند، طبع رُبْعُه بتطوان.

﴿مُّنۢبَثًّا﴾[الواقعة:٦]، بينما الفلاسفة القدامى يسمونها (الهَيُولَى)، ومنه تصدر جميع الصور والتعينات حسب استعدادها للتأثر بالنور الإلاهي، كالسراج في بيتٍ تُضيء زواياهُ؛ حسب قُرْبها من نوره، وكان أقرب الأشياء إلى نور الله في ذلك الهباء؛ حقيقة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، المسماة: بالحقيقة المحمدية، والعقل والنفس الكلية، فكان سيد العالم بأسْره، وأول ظاهر في الوجود كما في الفتوحات[١]، وأكمل مظاهر الحق في الخلق؛ لأن الخلق أكثر كامل للقدرة الكاملة المنزهة عن النقص، فلا يكون أكمل منه، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه:٥٠]. و«خلق آدم على صورته»[٢]، والضمير عنده يعود على الله، اعتماداً على رواية ضعيفة[٣]، وليس في الإمكان أبدع مما كان ـ كما قال الغزالي ـ لأن العالم مظهر الحق على الكمال، وقد يتوهم الواقف على كلام ابن العربي أن فيه تناقضاً، وذلك ناشئ من سوء فهمه، وتعديد أساليبه في التعبير عن رأيه؛ لأنه يصرح أحياناً، ويجمجم أكثر؛ لخطورة الحال، ولما رأى الأشاعرة يقولون أخذاً من مذهب الإغريق: إن العالم واحد بعينه، مختلف بصُوَره ونِسَبه، وهم يرونه شيئاً آخر غير الله تعالى، وهو يرى الوجود واحداً؛ قال بأن الجوهر العام المنبث في

---

(١) الفتوحات المكية (١/ ١١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٦١٢) من حديث أبي هريرة. (الناشر).

(٣) جاء في حديث مرفوع عن ابن عمر: «لا تقبحوا الوجوه فإن ابن آدم خلُقَ على صورة الرحمن»، ولا يصح من قبل إسناده. وانظر: "السنة" لابن أبي عاصم رقم(٥١٧) بتخريج الألباني. (الناشر).

العالم، والذي جعل منه الوحدة هو الذات الإلهية.

ومن المهم التنبيه على تنوع أساليب ابن العربي في التعبير عن وحدته، وتسميتها بأسماء مختلفة، فكثرة الأسماء لا تدل على تعدد المسميات؛ لأن الحقيقة الكلية واحدة وهي الوجود الأول والأخير، والإنسان الكامل، وحقيقة الحقائق، والمادة الأولى... إلى نحو عشرين اسماً تُطلق بعبارات مختلفة، والأصل واحد كما قال شاعرهم: [الطويل]

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

وكما قال الشيخ محمد الحراق التطواني: [الخفيف]

حكمة الشرع أثبتتنيَّ لما سمَّتِ الكون كله بأسامي

ونفى جملتي انفرادُك بالذا ت والأسماء والنعوت العظام

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنه لا فرق بين هذه الأفكار والنظريات الثلاث: وحدة الوجود، والاتحاد، والحلول، والحق أن بينها فرقاً واضحا؛ لأن ما عدا الوحدة يقتضي الإثنينية، فالاتحاد لا بد فيه من مُتَّحِدٍ ومُتَّحَدٌ به، والحلول لا بد فيه من حالٍّ ومَحَلٍّ، ولكنه رغم هذا، إذا تأمل الباحث أقوال أصحابها، وجدها تنتهي إلى الوحدة، وهي أن الحق هو الخلق، والعكس.

وأصحاب الحلول قالوا: إن السالك إذا وصل إلى درجة خاصة في الصفاء، حلَّ الله فيه، كالماء في العود الأخضر، دون تشابه أو تغاير، وصح أن يقول: [الرمل]

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

كما قال الحلاج، ويقول الحراق في التعبير عن هذا الاتحاد، وفيه معنى الحلول: [الوافر]

به صار التعدد ذا اتحاد بلا مزج وذا شيء أحارا

وهذا كما ترى شديد الصلة بعقيدة الحلول النصرانية، وقد أفصح عن هذا أبو منصور الحلاج، من كبار فلاسفة الصوفية، المقتول بسبب فكرته هذه فقال: [السريع]

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خَلْقُه كلحظة الحاجب بالحاجب

والناسوت طبيعة الإنسان، واللاهوت معنى الإلهية، والفرق بين الاتحاد والحلول بعد الاعتراف بالإثنينية؛ صغير، وهو أن يتنازل الله ـ تعالى عن إفك الحلوليين ـ فيحل في بعض المصطفيْن من عباده، عند بلوغ درجة خاصة في الصفاء كما سبق، بينما الاتحاديون يزعمون أنهم يرتفعون بأنفسهم، وتسمو أرواحهم إلى لقاء الله تعالى، حتى تفنى فيه، أو تتحد به، ومن أجل هذا الخلط والالتباس مع وحدة الهوى في نهاية المطاف، وتنوع أساليب دعاة الوحدة والحلول والاتحاد في شرحه، والدعوة إليه، اعتبرها شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه شيئاً واحداً، وألغى هذا الفرق النظري الطفيف في ردوده المتعددة على أهل الوحدة والاتحاد والحلول، ولا حَقَّ لمن اعترض على صنيعه، هذا مع أن الهدف ظاهر، وهو المقصود الأهم عند ابن تيمية بالرد، وبيان خطره على الدين والفطرة، وتعجبني عبارة البهاء العاملي الشيعي في

رسالته "الوحدة الوجودية"، في بيانها حيث يقول: «خلاصة المذهب، أن لا وجود إلا الوجود الواحد، ومع ذلك يتعدد بتعدد التَّعَيُّنَات تعيناً حقيقياً واقعاً في نفس الأمر، ولكن ذلك التعدد لا يوجب تعدداً في ذات الوجود، كما أن تعدد أفراد الإنسان لا يوجب تعدداً في حقيقة الإنسان».

وقد كثرت أقوال هؤلاء جداً في بيان معتقدهم هذا، والدعوة إليه بشتى الأساليب، شعراً ونثراً، وأشدهم إيغالا في هذا عمر ابن الفارض المصري، لا سيما في تائيته الكبرى المسماة "تائية السلوك". ومعظم شعره في هذا، ولرقته المتناهية، وجمال شعره، وصوره البلاغية، ومحسناته البديعية، انتشر شعره انتشار النار في الهشيم، وتغنّى به المنشدون، ورقص على إيقاعه الراقصون في الزوايا الصوفية في الشرق والغرب، ويليه أبو الحسن الشُشتَري الأندلسي في أشعاره وأزجاله، ويحاكيه من بعيد محمد الحراق التطواني، مع وضوح الفكرة وتقريبها للأذهان، وأغلب شعره الموزون والملحون ينعق بها، مع أنه في الملحون والزجل أشعر وأمكن، فلنستمع إليه يقول: [مجزوء الرمل]

كنت ما بيني وبيني ... غائبا عني بأيني
والذي أهواه حقا ... لم يزل ذاتي وعيني
فانظروني تبصروه ... إنه والله أني

وقد سُئل مرةً وهو في درس التفسير بالجامع الكبير بتطوان عن الدليل على وجود الله، فأطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال ارتجالاً: [الخفيف]

نحن في مذهب الغرام أذله إن أقمنا على الحبيب أَدِلَّهْ
كيف يظهر للعقول سواه وسناه كسا العوالم جملهْ
فتراه في كل شيء تراه فهو الكل دائما ما أَجَلّهْ
فافن فيه صبابة وهياما إنما الصب من يعيش مُوَلَّهْ

فتراه في كلمته هذه يخلط وحدة الشهود بوحدة الوجود، تلبيساً وتدليساً، وهدفه واحد، وهو قوله: «**فهو الكل دائما ما أجله**»، وقد زعم مريدوه أنه لما أنشأ هذه الأبيات وأملاها على السامعين، انشق الكرسي الخشبي الذي كان جالساً عليه، قالوا: وهو الكرسي الموجود إلى الآن بالجامع، والشق فيه ظاهر، ولكن هذه خرافة.

ومن أزجاله المعبرة[1]:

نِلْتُ ما نَوَيْتْ لمّا رأيتُ حِبِّي
وذاتي رأيتْ
مُدَّهْ لي ونَا مَهْجُورْ وأنا الحبيبْ
وَسِرِّي عَنِّي مَسْتُورْ وهو قريبْ
لله يا صاحِ وَانْظُرْ ذا الأمر العجيبْ
عنِّي قدْ خَفيتْ وشمسي مني تطْلُعْ
وَنَا ما دَرَيْتْ
هذا المحبوبْ إذا رْضا يْرضى كل شِيءْ
وْاللِّي يْهْوى وْصالُو ذاتُو يْطْوِي طَيْ

(١) انظر: ديوان الحراق، بتحقيق الدكتور جعفر ابن الحاج السلمي ص(٤٣).

وْعْلى جِهاتُو دَايِمْ ... ما يْبْقى لُو رَايْ
أَنَا مَنْ هَوِيتْ ... وخَمْري مِنِّي اشْرَبْتْ
وَعَنِّي رَوَيْتْ
يا طَالِبَ الْحَقِيقا ... اِسْمَعْ ما أَقُولْ
مِنْكَ هِيَ الطَّرِيقَا ... ولَكَ الْوُصُولْ
فَزُلْ تَرَاكَ حَقَّا ... بَعْدَ مَا تَزُولْ
إِلَيْكَ انْتَهَيْتْ ... ولَيْسَ ثَمَّ غَيْرُكْ
وَبِكَ بَقَيْتْ

ويقول في زجل آخر[1]:

مَا يْلي في غْرَامَكْ جِهَاتْ ... كُلْ شِي هُوَ عَيْنْ الذَّاتْ
غَيْرْ سِرَّكْ يْظْهَرْ في قْوَالْبْ الْمْعانِي ... مَعْرُوفْ بِعْلاَيَمْ الرَّضَا

وله من هذا الكثير، وفي شعره العربي تائية مشهورة، وهي التي يتغنى بها القوَّالون فيما يسمى حِلْق الذِّكْر، أو (العمارة)، أي: الرقص، وقد شرحها المكي ابن سودة، وشرحه مطبوع على الحجر، كما شرحها بعده ابن القاضي العباسي الفاسي في مجلدين، وهو مخطوط، وقد نحى فيها منحى ابن الفارض على قصور في المبنى والمعنى، وفي مطلعها يقول[2]: [الطويل]

أتطلب ليلى وهْي فيك تجلّتِ ... وتحسبها غيراً وغيرك لَيْسَتِ
فَذَا بَلَهٌ في مِلَّةِ الحُبِّ ظَاهِرٌ ... فَكُنْ فَطِناً فـ(الغير) عَيْنُ القَطِيعَةِ

(١) ديوان الحراق ص(٤٧-٤٨).

(٢) ديوان الحراق ص(٧).

ومن تأمل ديوانه وهو مطبوع، وجده يدور كله حول وحدة الوجود والاتحاد، وهو في شعره الموزون عالة على ابن الفارض والششتري، فتراه إذا قرأ قطعة لهما وأعجبته حاول موازنتها؛ يُعرف هذا بالمقارنة.

ومن أقران الحراق في هذا المجال، أحمد بن عجيبة التطواني، إلا أنه لم يستطع مجاراته في النظم، وأتى بأنظام كثيرة، إلا أنها ركيكة مختلة الوزن، ضعيفة النسج، وإنما له القدح المعلى في النثر، فقد ملأ كتبه كلها إلا القليل من هذا البلاء، وأبدأ وأعاد بأساليب متنوعة، يتخللها التكرار والألفاظ الاصطلاحية المملة، ولا سيما في تفسيره "البحر المديد"، الذي من قرأه ـ وهو مؤمن موحد ـ جزم بأنه تفسير باطني محض، وأنه من التفسير بالرأي حتماً، وأنه عبث بالقرآن، نسأل الله العافية، وله عبارة واحدة منظومة تطوي فكرته كلها حول هذا الموضوع، وهي قوله في كتابه "الفتوحات الإلهية، شرح المباحث الأصلية"[1]:

إيــاك أن تقــول أَنــاهْ واحْذرْ أن تكون سِواهْ

وممن أدلى من المعاصرين بدلوه، الشيخ محمد بن الصديق الغماري، فنظم قصيدة رائيةً ليس له غيرها، وخمسها نجله الأكبر أبو الفيض أحمد، وهي غاية في الركاكة والاختلال والضعف، ومع هذا فمريدوه يتغنون بها ومنها: [الطويل]

---

(١) الفتوحات الإلهية ص(٣٤٧).

شربنا مع ذِكْر الحبيب حلاوة
فهمنا بها عن كل ما يشغل الفِكْرا
ونزّهنا أفكار العقول عن (السِوَى)
وتِهْنا دلالاً عند سماعنا الذِّكْرا
ومالت منا الأطراف شوقاً إلى اللِقا
ففاضت دموع العين والقلب في البُشْرى
وَبَدا لنا سرّ جَمْعِ قلوبنا
فغبنا بها عن كل مَن يزعم النُّكْرا
ذهبت عنا الأكدارُ فلم يبق لنا
مع الذكر شيء يؤلم سرّا أَوْ جَهْرا

وبقيتها أحطُّ وأركّ، وأنزل منه درجة نظمُ أحمد بن عليوة المستغانمي، ففي ديوانه ـ وهو مطبوع ـ سخافات لا تتزن بعروض ولا ميزان، إلا النغم والغناء عندهم.

و بالجملة فإن مفاهيم هذه العقائد الضالة بيّنة، تُدرك بأدنى تأمل، ولاسيما من خالط القوم وقرأ كتبهم وأشعارهم، ومن تصفح كتابيْ ابن العربي: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، أدرك بما لا يدع مجالا للشك أن الرجل، أعني: أبا الفيض غال وغارق إلى ذقنه في وحل هذا البلاء الماحق، وأنه أفنى عمره في «**أن لا موجود إلا الله**» تعالى، وأن جميع الممكنات مظاهر له، يتجلى فيها جميعِها، لا في بعضها دون بعض، فهي ليست إلا مظاهر للحق الظاهر فيها، ولولاه لكانت عدماً، ولقد أكثر ابن العربي في الاحتجاج بآيات قرآنية، وأحاديث نبوية كثير منها لا أصل له، وإن زعم أنها صحيحة من

طريق الكشف، يتصدى لتفسيرها تفسيراً باطنياً يبرأ منه الله ورسوله واللغة العربية، ولا يكترث بِلَيِّ أعناقِ الآياتِ وَبَتْرِها عن سياقها، ليتم له الاستدلال الآثم. ويطولُ بنا القولُ لو أردنا الإتيان بأمثلة.

و قد تَرَسَّم خُطى ابن العربي، ولكن مع ضَلَعٍ ظاهر، وسخف بارد، شقيق أبي الفيض: أبو العسر جمال الطين في كتاب له مخطوط سماه "السوانح"، قرأته متعوذاً بالله من ضلالاته، وكتبتُ على هوامشه تعليقات سميتها: "تحصين الجوانح من سموم السوانح" كما أشرنا.

والمقصود: بيان ما ينطوي عليه هذا المذهب العريق في الضلال والسوء، من مخاطر وآثار تنعكس على قلب المرء وسلوكه؛ فلا يحرِّم حراماً، ولا يرعوي عن ذنب؛ لأنه يعتبر نفسه مظهراً إلهياً في الوجود كما قال الششتري:

أنـا بالله أنـطقْ ومن الله أسمعْ

وقد سمعتُ أَحَدَ غلاتهم بتطوان، وكان ممن يعرف الفتوحات، ويستحضر كثيراً مما فيها، يقول عن الصلاة ـ وقد كان لا يوقعها إلا على مرأى من الفقراء في الزاوية الحراقية ودون وضوء ـ ولما سألته عن هذا قال بالدارجة: «**حَتَّى يُوجّدْهُمْ عَادْ يْكَلْفْهُمْ**»، يعني: أنه لا وجود لسوى الله، وقد كان الملقب العفيف ـ وهو الفاجر ـ التلمساني من الغلاة في الوحدة، يلوط بابنه، ولما أنكر عليه مرةً قال له: «**يا بني أنا وأنت شيء واحد**». نسأل الله السلامة والعافية، وحسن الخاتمة.

ومن الجدير بالذكر حول التلمساني هذا، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض حديثه عن الصوفية القائلين بوحدة الوجود قال: «حدثني الثقة الذي رجع عنهم، لما انكشفت له أسرارهم، أنه (يعني التلمساني) قرأ عليه فصوص الحكم لابن العربي، قال: فقلتُ له: هذا الكلام يخالف القرآن، فقال: القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا، قال: فقلت له: فإذا كان الكل واحداً، فلماذا تحرم عليّ ابنتي وتحل لي زوجتي؟ فقال: لا فرق عندنا بين الزوجة والبنت، الجميع حلال، لكنِ المحجوبون قالوا: حرام، فقلتُ: حرام عليكم»[١].

وقد ذكر السخاوي رحمه الله في كتابه الحافل "القول المنبي، عن ترجمة ابن العربي" عن هؤلاء الاتحادية عجائب، وجلب فيه أكثر من مائة وأربعين فتوى بتضليل أو تكفير ابن العربي، والكتاب مخطوط وقد قرأته، وعندي منه صورة، وأخبرني أبو الفيض أنه قرأه، وأن أولئك المفتين كلهم لم يعرفوا التصوف، ولم يشموا له رائحة، وذكرت الساعة ـ والكتاب لا تطوله يدي الآن ـ أنه ذكر عن الحافظ ابن حجر أنه سأل شيخه البلقيني عنه فقال: هم إن كانوا يعتقدون ذلك كفار، قال: وابن الفارض؟ قال: لا أحب ذِكْره، قال ابن حجر: ولِمْ؟ والكل والهدف واحد، قال: وشرعتُ أذكر له أبياتاً من تائية ابن الفارض، فقاطعني قائلا: هذا كفر، هذا كفر[٢].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٥٠٠).

(٢) انظر: "لسان الميزان" (٤/ ٣١٨).

ومعلوم أن ابن حجر بَاهَل أحدَ طواغيتهم بالقاهرة، وبعد المباهلة بشهر، واحد هلك الاتحادي.

وهذه أقوال الشيخ أبي الفيض في الموضوع، وأنبه إلى أنني لا أورد منها ما ذكره الأخ الأستاذ الفاضل مصطفى السفياني باحو، في كتابه المستطاب "تنبيه القاري إلى فضائح أحمد ابن الصديق الغماري":

١ - قال في جؤنة العطار من منسوختي في جواب من سأله عن قولهم: «لا يكون الصِّدِّيقُ صِدِّيقاً، حتى يشهد فيه سبعون صِدِّيقاً بأنه زنديق»، بعد كلام: «والصِّدِّيقُ المشهود عليه بالزندقة هو الصّدّيق الحقيقي، وهو الصّدِّيق الكامل، العارف بالله تعالى، الغريق في بحر الوحدة، فإنه لا يَصِلُ إلى مقام الصديقيّة حتى يفنى عن الوجود، وعمَّا فيه، ولا يرى إلا الله تعالى، وتظهر عليه أنوار الوحدة، وأسرار المعرفة، ومقامات الفناء، فعند ذلك يبوح - لا محالة - بما في آنيته، أَحَبَّ أم كره؛ لغلبة حال السُّكر عليه، فإذا دام على ذلك واشتهر به، وشاع عنه، شهد عليه الفقهاء والعباد الصالحون بالزندقة؛ لبعدهم عن هذا المقام، وجهلهم به، وبالله تعالى، تمام الجهل، كما هو حالهم مع كبار العارفين، كالحلاج، وابن العربي، وابن سبعين، وابن الفارض، والششتري، وأمثالهم، فإن جل الفقهاء يشهدون عليهم بالإلحاد والزندقة، والقول بالحلول والاتحاد. وقد ألف الحافظ السخاوي مجلداً حافلا في إكفار الشيخ محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه، سماه: "القول المنبي، في ترجمة ابن العربي"، لم يورد فيه إلا فتاوى كبار العلماء، من عصر الشيخ الأكبر، كالعز ابن عبد السلام

ومعاصريه، إلى طبقة شيوخه وشيوخهم، كالبلقيني، والعراقي، والحافظ ابن حجر، وأمثالهم، وكلهم حكموا بكفره وزندقته، فهم صِدِّيقو أهل القرن السابع، والثامن، والتاسع، وهم نحو السبعين، **قلت**: ((بل هم أكثر من مائة وأربعين))، وما حصلتْ له رضي الله عنه الصديقيّة الكبرى، إلا بعد شهادة هؤلاء الصّدّيقين رحمهم الله وغفر لهم، وجعلنا من حزب المشهود عليهم، ولو كان الشاهدون ألف ألف صديق))[1].

وكتبتُ أنا على هامش نسختي تعليقاً على هذا القول ما نصه: ((لازم هذا أنهم جاهلون بالله تعالى؛ لا يفهمون عن الله، ولو بلغوا مليوناً من العلماء، والمؤلف ومن على شاكلته، عالمون بهذا، مُدْرِكُون له بالذوق، كأنَّ أولئك لا أذواق لهم، والعجب أن من أولئك أولياء حكيت لهم كرامات، وزعمت لهم "القطبانية"؛ كابن حجر وغيره، كما في الجواهر والدرر)).

٢- قال في رسالة بدون تاريخ إلى الكرفطي المدعو التليدي: ((وجوده ﷺ في كل مكان، بل هو الكون كله)).

قلت: تأمل قوله: ((بل هو الكون كله))، فإنه يعني ما يدعونه "الإنسان الكامل"، ويقصدون أنه أكبر مظهر للإله في الأرض، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

٣- وفي رسالة له إليه مؤرخة بـ(١٢ ربيع الثاني عام ١٣٧٤) قال بعد كلام: ((أما وحدة الوجود فوالله ما أوجد اللهُ عارفاً به تعالى من عهد آدم إلى

---

(١) جؤنة العطار (٣/ ٢٤١).

النفخ في الصور، إلا وهو قائل بها، ذائق لها؛ لأنها عين المعرفة، فمن لا وحدة له، لا معرفة له أصلا» ثم ذكر أن العارفين عنده قسمان: «قسم يلزم الصمت ولا يبوح بالسر، وقسم غلبهم الحال، فباحوا أو أُذِنَ لهم بالبَوْحِ فَصَرَّحوا»، إلى أن قال: «ولله در القائل: [الكامل]

أهل الـهوى قسمـان قسم منهمُ كتـموا وقسـم بالـمحبة باحـوا
فالكاتمون لسرهمْ شربوا الهـوى مـمزوجـة فحمتـهمُ الأقـداح
والبائحون بسرهم شربوا الهوى صرفـا فهـزهمُ الغـرام فبـاحوا

والعارف الششتري رضي الله عنه من أكثرهم بوحا بذلك في أشعاره وأزجاله، ومن أفصحها في ذلك قوله:

مـحبوبي قد عم الوجودْ وقد ظهر في بيض وسودْ
وفـي النصارى واليـهودْ وفـي الـخنازير والقرودْ

الخ ما لست أنا على يقين من لفظه».

قلت: تأمل قوله: «وقد ظهر في بيض وسود، إلخ» لتدرك ما فيه من معنى الحلول الذي ينكره أبو الفيض، وقوله: «وفي الخنازير والقرود» منسجم تـمـام الانسجام مع قول ابن العربي:

وما القرد والخنزير إلا إلاهنا وما الله إلا راهب في كنيسة

وقد أنكر أبو الفيض هذا البيت، وكذب من نسبه إلى ابن العربي بدون دليل[1]، وهو مذكور في كتب الصوفية منسوبا إليه.

---

(١) انظر الجواب المفيد ص(٩٤).

٤- وفي رسالة منه إليه بتاريخ (٣ ذي القعدة ١٣٧٩)، ويلاحظ أنها من أواخر ما كتب لأنه توفي بعدها ببضعة أشهر، الشيء الذي يدل على عدم توبته من فواقره، ما نصه: «و قول العارف الحراق: [الوافر]

فذا شيء دقيق ليس تدري لدقته المشيرَ ولا المُشارَا
به صار التعدد ذا اتحـــاد بلا مزج فذا شيء أحارا

ومن أحسن ما عبر به عن وحدة الوجود التي من ذاقها وتحققها فهو العارف بالله، ومن أنكرها فهو الجاهل المغرور البعيد عن حقيقة التوحيد والإيمان، ومن آمن بها وسَلَّم أمرها لأهلها، فهو المؤمن الكامل، الذي يُرجى له كل خير من الله؛ بل هو إن شاء الله من أولياء الله، وإن كان ليس عارفاً به».

قلت: تأمل هذا الكلام، لتعرف ما يلزم عليه من تجهيل بل وتكفير الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين، والجماهير الغفيرة من الأولياء والصالحين، الذين درجوا وهم لا يعرفون حرفاً واحداً من هذه الجراثيم المبيدة للدين والأخلاق؛ لأن من خصائص هذه العقيدة الخطيرة أن صاحبها لابد أن يكون إباحياً لا يعرف حلالاً ولا حراماً، وليكن منك على ذُكْرٍ، قول العفيف ـ بل الفاجر ـ التلمساني المشار إليه آنفا. فاعلم هذا واستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

٥- وفي رسالة منه إليه بتاريخ (٢٧ محرم عام ١٣٨٠) يلاحظ أنه كتبها قبل موته بنحو شهرين، قال يخاطب وارث شَرِّه: «وكذلك اقتصارك على من ذكرت في التصريح بوحدة الوجود مع أنك لو حكيت الإجماع المحقق

المقطوع به، لكان أولى من ذلك؛ لأن المعرفة هي التحقق من وحدة الوجود، ذوقاً لا علماً وإيماناً، فمن لم يقل بها، فوالله ما شم للمعرفة رائحة)).

قلت: هكذا يصرح أبو الفيض بانعقاد الإجماع على وحدة الوجود، ولا أدري إجماع مَنْ!؟ فلعله إجماع الزنادقة ومن لا دين لهم، ولعل مصدر تلقيه الشيطان، وإلا فقل لي بربك كيف يُتَصَوَّرُ إسلامٌ وإيمانٌ دون علم ولا تعليم ولا درس إلا الذوق، وهذا القرآن والسنة بين أيدينا، يدعوان الناس إلى التوحيد الظاهر من معنى لا إله إلا الله، وعليه جُرِّدت السيوف، وفُتحت الأمصار، وتفتحت الأبصار، دون أن يعرف الفاتحون من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الآن ذوقاً ولا حالاً، سبحانك هذا بهتان عظيم.

٦- وفي رسالة منه إليه بتاريخ (٦ صفر عام ١٣٧٩)، تحدث عن معية الله تعالى، وحمل على أئمة السلف، وخصوصا الإمام أحمد فقال عنه: ((هكذا فعل أحمد بن حنبل في العلو، فآمن به وكفر بالمعية، هو ومن على طريقته[١]، أما نحن فنؤمن بكل ما جاء عن الله من: يد، ويديْن، وأيدٍ، وعينٍ، وعينيْن، وأعين، ونؤمن بأنه سبحانه على عرشه بذاته كما ورد فيه النص، وكذلك نومن بأنه تعالى معنا بهوية المعية، وهي ذاته المقدسة، فهو معنا بذاته في حين كونه فوق العرش بذاته، وتحت الأرض السابعة بذاته، كما قال النبي ﷺ:

---

(١) وهم جميع أئمة السلف، وقد حكى إجماعهم ابن عبد البر وابن القيم في كثير من كتبه، ولكنْ أبو الفيض أنكر الإجماع، وكَذَّبَ من حكاه بغاية العنف وسوء الأدب، كما هو بخطه على هوامش مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم في نسختي التي أهداها إليَّ، وهي تحت اليد.

«لو دلى أحدُكم بحبل لهبط على الله» إلخ)).

قلت: والشيخ مولع بقضية المعية، وأنها بالذات لا بالعلم، كما أجمع عليه السلف الصالح، وهو مقتضى القرآن في آية العلم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[المجادلة:٧]، فافتتح سبحانه الآية بالعلم، وختمها بالعلم، وقد عمي عن هذا واحتج بالحديث الضعيف[1]، وفاته أن يقول عن الله تعالى وهو من لوازم إيمانه وفهمه: «إنه تعالى بذاته في الحشوش والمزابل» إلى آخر ما لا يليق بعظمته، ونتحرج من ذكره، وقد أعدى أبو الفيض أَشِقَّاءه بهذا البلاء الماحق، والمقصود الأهم من الإصرار على إثبات المعية بالذات أنها مَدْرَجَة لوحدة الوجود كما نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه وأصحابه. وتَهجّم الشيخ على الإمام أحمد معهودٌ منه، فقد وصفه بالجهل، وأنه لا يعرف طريق الجمع بين النصوص، وأنه كان يعتقد الجهة والعلو والانحياز فوق العرش، وهذا كله بهتان وافتراء، وحاشا الإمام المحتسب الصابر على الحق أن يكون كما وصف هذا الظالم لنفسه، وقد اتهمه بالنصب ومعاداة الصوفية، وقد قرأت في مناقبه رضي الله عنه قول ابن أعين فيه:

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٧٠)، والترمذي (٢/ ٥٢٥)، والبيهقي ص(٣٩٩-٤٠٠)، قال الذهبي في "العلو للعلي الغفار" ص(٥٠-٥١): «الحسن مدلس، والمتن منكر، ولا أعرف وجهه وقَوْلَه».

أضحى ابن حنبلَ محنةً مأمونةً وبِحُبِّ أحمدَ يُعرف المتنسكُ
وإذا رأيت لأحمدٍ متنقصاً فاعلم بأن ستوره سَتُهَتَّكُ [١]

وقال الحسين الكرابيسي: «مثل الذين يذكرون أحمد بن حنبل، مَثَلُ قوم يجيئون إلى أبي قبيس (جبل بمكة)، يريدون أن يهدموه بنعالهم»[٢].

وقال أحمد بن إبراهيم الدورقي: «من سمعتموه يذكر أحمد بن حنبل بسوء فاتهموه على الإسلام»[٣].

قال أبو الحسن الهمذاني: «أحمد بن حنبل محنة به يُعرف المسلم من الزنديق»[٤].

قال محمد بن فضيل: «تناولت مرة أحمد بن حنبل، فوجدت في لساني ألماً، لم أجد معه قراراً، فنمت ليلةً؛ فأتاني آتٍ فقال: هذا بتناولك الرجل الصالح، فانتبهت، فلم أزل أتوب إلى الله تعالى حتى سكن»[٥].

وانظر هذه الأخبار وأمثالها معها، مروية بأسانيد عدة في "مناقب أحمد" لابن الجوزي، و"تاريخ الإسلام" و"سير أعلام النبلاء" لابن الذهبي، ولم

---

(١) الخبر أسنده الخطيب في "تاريخ بغداد" (٤/ ٤٢٠) ومن طريقه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٥/ ٣٢٣). (الناشر).

(٢) أسنده عن الكرابيسي أبو نعيم في "الحلية" (٩/ ١٧٢) ومن طريقه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٥/ ٣٢٢). (الناشر).

(٣) أسنده ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٥/ ٣٢١). (الناشر).

(٤) أسنده ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٥/ ٣٢٢). (الناشر).

(٥) أسنده ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٥/ ٣٢٢). (الناشر).

أذكرها ليعتد بها أمثال المؤلف وينزجر، فإنه لا يؤمن بها ولا بمن رُويتْ له، وإنما ذكرتها للعبرة لا على طريقة المتصوفة الجهلة المتربصين بأهل العلم المصائب، للتشفي والاستغفال والابتزاز، وقد عرفتُ بالمخالطة والاطلاع التام على الأحوال، ما جرى لأبي الفيض من المحن والدواهي منذ ثورته الحمقاء على الإسبانيين إلى إن مات، فبعد الاعتقال والتغريم والإهانة، امتُحن بأمراض السكر والقلب والضغط، وقاسى منها الشدائد، ثم أزعج عن وطنه وأهله إلى مصر، فتلقى هناك رواجاً من العسكر بسبب التقلبات السياسية، ووعدوه ومَنَّوه، فركن إليهم، واغتر باستدعائه إلى مجلس الأمة، وإجلاسه بشُرفة كبار الضيوف مع بعض الأمراء، وتخصيص سيارة له مع ضابط ملازم، وكان يغيظ بإظهاره ذلك موظفي سفارة المغرب، على أن هذا كله كان بواسطة من يسميه البكباشي حسن، الذي من أجل ذلك وصفه بالولي الصالح الكامل العارف بالله، ثم لم يلبث بعد ذلك إلا قليلاً حتى أصيب بمحنة شقيقه عبد الله المعروفة، التي أتت على أحلامه من القواعد، فأصيب بذبحة صدرية قضى منها وهو يهتف باسم النبي ﷺ، على عادته، ولم يلفظ بكلمة الشهادة، وأمره إلى الله. والعجب أن شقيقه عبد الله أنكر بعد قدومه المغرب عقيدة وحدة الوجود جملةً وتفصيلاً، كما حدثني من سمعه يجادل فيها شقيقه عبد العزيز.

٧- وفي رسالة منه له بدون تاريخ قال: «ومسألة وحدة الوجود، لا ينبغي أن تخوض معه (لشخص ناظر الكرفطي فيها) في أدلتها، وعليك

بحكاية إجماع أهل الله عليها من عهد آدم!! إلى النفخ في الصور، وكبار العارفين كلهم مصرحون بها».

٨- وفي رسالة منه إليه بتاريخ (١٧ محرم ١٣٧٩)، قال: «وحديث: «إن الله خلق آدم على صورته» له معنيان: أحدهما ما ذكرته في الطباق[١] المطبوع، من أن الضمير عائد على آدم، وأنه خُلق من أول وهلة على هذه الصورة، لا كما يقوله الكفرة، من أن أصل الإنسان كان قرداً ثم حصل الارتقاء، ورواية: «على صورة الرحمن»، من تصرف الرواة على حسب فهمهم في الحديث؛ خطأ. والمعنى الثاني: على فرض عود الضمير على الله تعالى، فالله خلق آدم على صورته المعنوية، من كونه عالماً، قديراً، مريداً، حياً، سميعاً، بصيراً، متكلماً، وإن كان الأمر فيه تَجوّز، لأن هذه الصفات في الله تعالى؛ غيرها في آدم، إلا أن الله يخاطب العباد بما يفهمون. وهناك معنى ثالث: إذا ذكرتَ الله كثيراً، وصحبت العارفين، وفتح عليك؛ تعرفه[٢]، وهو الحق الذي لا مرية فيه، ولكن إذا عرفته بعد الفتح، فأنت أول من ينكر التصريح به، ويكَفِّر مَنْ يعتقده».

قلت: هذا واضح كما ترى، ووعيد أبي الفيض لتلميذه بعدم البوح بالسر، وأنه إن أدركه بـ(الذوق) يكون أول من ينكره، ويكفر من يعتقده،

---

(١) أي: "طباق الحال الحاضرة لخبر سيد الدنيا والآخرة" وهو الاسم الأول: «مطابقة الاختراعات العصرية، لما أخبر به سيد البرية».

(٢) يقصد: أن آدم هو عينُ الله.

بشرط الفتح، وهو يشير إلى أنه مفتوح عليه؛ لإعلانه بالسر، ونصرته له باللسان والقلم.

وملاحظة أخيرة في هذا الفصل، وهي أن أبا الفتوح، لم يعرج على هذه العقيدة فيما جمعه من رسائل شيخه أبي الفيض، المسمى "در الغمام الرقيق"، مع أنني نقلت أقواله فيها هنا منها! ولعل ذلك راجع إلى أن أبا الفتوح بدا له في الأمر وغيّر رأيه، كما في مسألة عدالة الصحابة، وتكفير الشيخ لجماعة منهم، وعلى رأسهم معاوية رضي الله عنه، بيْد أنه تبين لي أنه ما زال متأرجحاً بين الإيمان والكفر، فهو يجمجم ولا يُبين، فتارة يثني على دهاقنة الاتحاد كابن العربي، والششتري، وابن سبعين، وابن أضحى، والتلمساني، وحتى التجاني، وابن عجيبة، والحراق، وهلم جرا ومسخاً، ويؤذن لأنعامه بالتغني بأشعارهم في طقوس (العمارة) اليهودية، بثكنته التي سماها الآن (دار القرآن)! والقرآن بريء منها، وتارة يتظاهر بالإنكار والرد، لتحقيق المآرب، وتيسير المآدب، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[الشعراء:٢٢٧].

الفصل الثاني

تفسيره القرآن بالرأي وجزْمه بأن رأيه المختار هو مراد الله تعالى، وحَلِفُه بالله تعالى على أنه مراده. تعالى الله عن عبثه بكتابه المقدس.

من المعلوم في الدين الإسلامي أن القرآن العظيم هو أصله الأول، وأساسه الأصيل، وقد جمع الله فيه ما تفرّق في ما قبله من الكتب والصحف المنزلة؛ من أسمائه وصفاته، وأحكام دينه وشريعته الموصى بها من الرسل قبله، المشار إليها بقوله عز وجل: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٣].

وهذا الدين الأول والآخر، هو توحيد الله تعالى بمعرفة أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وقضائه وقدره الكوني والشرعي، وما يتعلق بذلك

ويترتب عليه من الإيمان وضده، وثوابه وجزائه، وما أعد الله للمؤمنين والكافرين من نعيم ونكال، وما شرع لعباده على ألسنة أنبيائه ورسله، من شرائع وأحكام، وحلال وحرام، وقواعد الإسلام والإيمان، وأنباء البعث والنشور وقصص الأنبياء، وغير ذلك من التعاليم الإلهية التي ضَمّنها كتابَه العظيم، الذي أخبر أنه جعله ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[النحل: من الآية٨٩] وأنبأنا بقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[الأنعام: من الآية٣٨]؛ ولذلك قال الإمام الشافعي رحمه الله: ((كل ما صح عن رسوله من السنة فهو مما فهمه من القرآن)).

وقد اتفقت كلمة علماء السلف الصالح أن التصدي لتفسيره من الصعوبة بمكان، وتفادياً للخطأ فيه حَدَّدوا تفسيره بمراتب ثلاث: تفسير القرآن بالقرآن؛ لأنه لا أحد أعلم بمراد الله منه، والقرآن مليء بهذا النوع من التفسير، وقد اعتمده كثير من علماء الحديث ومفسريه كابن كثير رحمه الله، وقيض الله له من المعاصرين شيخنا الإمام: محمد الأمين بن المختار الجكني الشنقيطي رحمه الله، فجمع فيه سفره العظيم "أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن" وهو مطبوع، يلي هذه المرتبة تفسير القرآن بالسنة؛ لأنه لا أحد يتقدم الرسول المخاطَب به من ربه، وهو كان المقصد الأول من جمع التفاسير المسندة، كتفسير ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وعبد الرزاق، وسنيد، وغيرهم، وقد جمع تفاسيرهم بحذف السند ـ مع الأسف ـ السيوطي رحمه الله في كتابه الجامع "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" وقد طبع مراراً، والمرتبة الثالثة: تفسير الصحابة، ي، وتفاسيرهم في الغالب يكتنفها اختلاف،

إلا أنه اختلاف تَنَوّع، لا اختلاف تضاد، ويجب اعتبار هذا التفسير؛ لأنه صَدَرَ ممن شاهد التنزيلُ، وعرف المناسبات وأسباب النزول، وخالط الرسول ﷺ، وعلم تصرفاته وأعماله، وفهم أخلاقه التي كانت مستمدة من القرآن كما قالت زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»[1].

فإذا لم يوجد تفسير في هذا المراتب، وقلما يُفْقَدُ، لجأ المفسر إلى اللغة العربية وأساليبها،ومعرفة سَنَن العرب في كلامها، فإنه واجد بإذن الله في ذلك ما يكفي ويشفي، إلا أنه قبل هذا وبعده، لابد من مراعاة أحكام وآداب يجب توافرها في المفسر، حتى لا يقع في المحظور إن هو أرخى العنان لهواه ونحلته، فيَضِلُّ ويُضِلُّ، وقد كان الأولون في عافية من هذا المأزق، لكونه غير معروف يومئذ، فلما تعددت المذاهب والنِّحل، وتكاثرتْ البدعُ والأهواء، اقتحم الضالون العقبة، فتجرأوا على تفسير القرآن بأهوائهم وعقائدهم، وكان منهم الصوفية الذين بالغوا في الافتيات على الله، وقَوَّلوه سبحانه ما لم يقل، فظهرت تفاسيرهم التي أُقسم بالله بارّاً غير حانث، أنها عَبَثٌ بالقرآن، وتلاعب بأغراضه ومعانيه،وهذه تفاسيرهم بين أيديكم، للنيسابوري، والمهايني، وإسماعيل حقي، والتستري، والسُّلَمي، والورتجيبي، والقُونوي، والقُشَيْري، وابن عجيبة، وهي بدون شك من التفسير بالرأي المذموم، والأمر في غنى عن التحذير والنهي، فإن مجرد

(١) رواه مسلم (٧٤٦).

تصوره كاف في اجتنابه، والنفور منه، وقد ورد عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: «أي سماء تظلني، وأي أرضٌ تقلني إذا قلتُ في القرآن برأي أو قلت فيه بما لا أعلم»[(١)]. وورد عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مثل هذا في تساؤله عن معنى (الأب)[(٢)]، أما في المرفوع من الحديث فلا يصح، وهو ما رواه الترمذي وأبو داود عن جندب بن عبد الله مرفوعاً: «من قال في كتاب الله عزّ وجل برأيه، فأصاب فقد أخطأ»[(٣)] وفي سنده سهيل بن أبي حازم، لا يحتج به. وعن ابن عباس مرفوعا: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»[(٤)].

وفي رواية أخرى عنه: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار،ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[(٥)]. رواه أحمد في المسند والترمذي، ومداره على عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، وهو ضعيف.

ومزاولة أبي الفيض هذا النوع من التفسير بالرأي المذموم كثير في

---

(١) رواه سعيد بن منصور (٣٩) ومن طريقه البيهقي في المدخل (٧٩٢) وابن حزم في الإحكام (٦/ ٢١٣) وقواه ابن حجر في الفتح (١٣/ ٢٧١) وصححه ابن حزم في المحلى (١/ ٦١).

(٢) انظر: "فتح الباري" (١٣/ ٢٧٠-٢٧١).

(٣) رواه أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٣)، وضعفه الألباني.

(٤) رواه أحمد (١/ ٢٣٣)، والترمذي (٢٩٥٠).

(٥) رواها أحمد (١/ ٣٢٣)، والترمذي (٢٩٥١)، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الترمذي.

كلامه، بل إنه أملى في منفاه تفسيراً من سورة البقرة إلى سورة الناس، سماه "الإقليد، في تنزيل كتاب الله على أهل التقليد" في مجلدين ما زالا مخطوطاً، ومنهجه: أنه ما مَرّ بآيةٍ في ذم المشركين والصابئين وأهل الكتاب والمنافقين إلا وأنزلها على المقلدين من المسلمين دون تمييز ولا تفصيل، في أسلوب مشعر بأنهم المراد لا غيرهم، والتقليد المبتدع ما اتصف به فريق من الفقهاء المتعصبين، لا التقليد كله؛ لأنه معلوم أنه لا مفر منه للعوام وأشباههم مِن مَن لا دراية لهم ولا فهم، ولست في حاجة إلى التمثيل، فإنه كما قلتُ تنزيلٌ للقرآن الكريم على الأبرياء من أمة محمد ﷺ، وفيهم من يعدهم أبو الفيض أولياء عارفين صالحين، وإن أنكر كونهم مقلدة، وهو بذلك يحاول ستر الشمس بالغربال.

والكتاب الآخر الذي تورط فيه في هذا الحبل هو "مطابقة الاختراعات العصرية، لما أخبر به سيد البرية" وهو مطبوع، وقد ملأه بالأحاديث الواهية والموضوعة، يوردها أحياناً بأسانيدها ويسكت، وهو يعلم أنها كذب، وهو بذلك داخل في وعيد حديث: «من حَدَّث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبَيْنِ»[1]، وحديث «إنَّ كذباً عَلَيَّ ليس ككذبٍ على أحدٍ، فمن كذب عليَّ فليرد النار»[2] والحديثان صحيحان.

وقد انفرد أبو الفيض بقاعدة أصَّلَها في مصطلح الحديث، لا علم

---

(١) رواه مسلم (١/ ٨) في مقدمة صحيحه، من حديث سمره بن جندب والمغيرة بن شعبة.

(٢) رواه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٤)، من حديث المغيرة بن شعبة.

للناس بها ـ وهو مجتهد في كل شيء، حتى في اللغة ـ والقاعدة أن الحديث إذا أورد مطابقاً للواقع؛ فهو صحيح، بقطع النظر عن سنده. وقد تبعه على هذه القاعدة الغمارية شقيقه أبو اليسر، فإنه كان مهووساً بهذا النوع من أحاديث الملاحم وأشراط الساعة.

وقد أورد أبو الفيض طائفة من الآيات، زعم أنها مطابقة لما ظهر في هذا الوقت من المخترعات، كالطائرة، والغواصات، والسيارات، والقطارات، والدراجات، والقنابل الذرية، والتلغراف، والتليفون إلخ، يصرّح في أثناء ذلك بأن المعنى الذي فسرها به، هو الصحيح الواقع، ومن زعم غيره من مفسري السلف فهو جاهل معذور، وقد استولى عليه هذا الفهم، وولع به حتى انتهى به المطاف إلى الافتيات على الله، والحلف على مراده، وقال في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٨] إلى قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: من الآية٢٠] بعد أن أورد وجوهاً عدّةً في ترجيح ما رآه وَحْدَهُ صواباً، وهو أن المراد بهذه الآيات كلِّها: العصريون الحزبيون عموماً، والاستقلاليون، والإصلاحيون بالمغرب خصوصاً؛ لِما كان بينه وبينهم من عداء مستحكم، حمله على تسمية جمال عبد الناصر وعلال الفاسي في طبعته الأولى، زاعما أن النبي ﷺ أخبر بمدح جمال، وذمِّ علَّال، وأورد في تفسير الآية عن سلمان الفارسي أثراً لا يصح[1]،

(١) انظر: تخريج تفسير ابن كثير (١/ ٩٩)، للشيخ مقبل الوادعي، نشر: دار الراية الرياض، =

أن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد، وهو مسبوق بهذا النقل، وما ترتب عليه من فهم من عدوه اللدود، يوسف النبهاني، فإنه أشار إلى ذلك في شرحه لرائيته الصغرى المطبوعة ضمن ديوانه، كما أن احتجاجه بتلك الآية لم يكن من استنباطه، بل سبقه إليه شقيقه الشيخ الزمزمي في رسالته المخطوطة "كشاف الأخدان، عما في القرآن من أمور ظهرت في هذا الزمان". وقد قرأها أبو الفيض وسطا على ما فيها من مزاعم حول تلك الآيات وكتب عليها بخطه، وقال بعد هذا كله من المطابقة[1]:

«أما منافقو زمانه ﷺ فلم يحصل منهم فساد في البقعة الصغيرة، التي كانوا بها مطلقاً، فضلاً عن أن يحصل منهم في الأرض، بل ما صدر منهم مما يسمى فساداً في الأرض، مقدار شعرة بالنسبة لِثَوْرٍ مما صدر من هؤلاء، بل لم يصدر من أولئك فساد أصلاً، إلا ما كان في نفوسهم من الكفر الحاصل عليهم، وهو النفاق، فكيف يمكن حمل الآية عليهم وهم أبرياء منها!!».

تأمل هذا الكلام الذي يتضمن تكذيباً غير مباشر لله تعالى، وتحدياً للقرآن الذي لاحق المنافقين في عشرات الآيات. ثم قال أبو الفيض:

«فأقسم بالله تعالى، أن الله تعالى ما أراد بالآيات الكريمات إلا هؤلاء المارقين، وأنه لو رآهم المفسرون من السلف، لقطعوا بذلك، ورجعوا عن تنزيلهم الآيات على منافقي عصر النبي ﷺ».

=

ط. أولى سنة: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

(١) مطابقة الاختراعات العصرية ص(٧٠).

وأذكر هنا ما اتفق لي حول هذا الموقف مع شيخنا الإمام المجدد بحق لعلوم الحديث والأثر، أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، حيث زرته للمرة الأولى بمنزله بالمدينة النبوية عام ١٣٨٢هـ، فذاكرني في موضوع أبي الفيض وتآليفه، وكتابه "المطابقات" واستنكر ما ارتكبه فيه من مصائب، منها تسمية جمال، وعلَّال، والزعم أن النبي ﷺ أشار إليهما، ومنها وهو أكبرها إقسام أبي الفيض على مراد الله تعالى، فليت شعري، هل أوحي إليه بذلك؟!

فأجبتُه وأنا مستغرب غاية: بأن ذلك كان من رد الجميل للعسكر بمصر، فقال الشيخ: «وهل يكون رد الجميل على حساب القرآن والحديث؟!» فأمسكتُ ولم أحر جواباً.

الفصل الثالث

قوله بفناء النار أو أن عذابها ينقلب عذابا ونعيما وتنويهه بكلام ابن القيم في ذلك في كتابه "حادي الأرواح وغيره"

مما اتفق عليه علماء السلف الصالح ـ في ما يرجع إلى العقيدة ـ: إيمانهم بوجود الجنة والنار الآن، وأنهما باقيتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، إعمالاً للنصوص المتواترة المتكاثرة في القرآن والسنة، بحيث أصبحت هذه المسألة من البدهيات التي يستشنع الخلاف فيها، ولم يخالف فيها إلا أبو الهذيل العلاف المعتزلي الهالك، ومن تبعه؛ مستدلين بفلسفة بائرة، مفادها: استحالة دوام حركة بلا انقطاع إلى ما لا نهاية، حتى حكي عنه من شناعته قوله بأنه لا بد أن يأتي على أهل الجنة والنار يوم تبطل فيه حركاتهم، وتتوقف نهائيا[1]، وتبعه على هذا الضلال المبين، الشيخُ الأكفر محمد بن علي بن العربي الصوفي،

---

(١) انظر: "شرح الطحاوية" ص(٤٨٠-٤٨١)، و"منهاج السنة" (١/ ٣٥١)، و"حادي الأرواح" ص(٢٤٥).

فذكر في الفتوحات أنه سيأتي على النار يوم تصفق فيه أبوابها، وينبت فيها الجرجير (اسم نبات) وذلك لخلوها. ولم يلحظ الإمامُ، المجتهدُ، الداعية: ابن القيم إجماعَ من يعتد بهم من أئمة السلف على بقاء الجنة والنار، وعدم فنائها، ووثق بفهمه واجتهاده واستقلاله، فأعلن رأيه دون مواربة بعد أن أطال في الاستدلال، ودفع الاشتباه والاحتمال، ببيانه المشرقَ، ونَفَسِهِ الفقهي العالي، حيث من قرأه وتدبره ملياً انساق معه متأثراً برأيه، مأخوذاً بقوة وَعيِهِ، وذلك في كتابه العجاب "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" وغيره.

وهذا ما وقع لأبي الفيض، فرجح مذهب ابن القيم، ثم اضطرب بسبب إعجابه بقول إمامه الأكفر ابن العربي، وقد حكي هذا القول عن شيخ الإسلام ابن تيمية فيما أورده ابن القيم في حادي الأرواح، وحكاه عن بعض الصحابة، والجدير بالذكر أن الإمام ابن القيم رحمه الله وشيخه رجعا عن ذلك، كما يستفاد من كلامهما الكثير في العقيدة السلفية التي لم تحد قيد أنملة عما أجمع عليه السلف[١].

وبعد هذا نأتي بكلام أبي الفيض في رسالة منه إليَّ، وهي مما سطا عليه أبو الفتوح فأورد بعضها في "در الغمام الرقيق" ما نصه[٢]:

---

(١) وانظر: "رفع الأستار لإبطال أدلّة القائلين بفناء النار" للصنعاني. وما قرره شيخنا الألباني بمقدمتها في هذا المقام. قال الناشر: نبهنا فيما سبق، على رسالةٍ لشيخ الإسلام ابن تيمية، رجّح فيها القول بأبديّة النار. وهي مطبوعة بتحقيق الدكتور محمد السمهري.

(٢) در الغمام الرقيق ص(٢٢٦) فقرة رقم (١٨٦).

«ومسألة فناء النار، قد ذكر ابن القيم أدلتها، فشفى وكفى، وتبعه بعض كبار العارفين (يعني ابن العربي الحاتمي والتعبير به (وتبعه) خطأ؛ لأن هذا كان قبل ابن القيم بزمان)، وصرح بأنه يأتي عليها يوم ينبت فيها الجُرجير، وإن أجاب الشعراني عن ذلك بأن المراد الطبقة العليا طبقة عصاة المؤمنين، لا درجات الكفار، والأدلة متضاربة، إلا أن أدلة القول بفناء نفسها كما يقول ابن القيم أو للألم مع بقاء صورة العذاب، كما يقوله الشيخ الأكبر أرجح (وهو خبر إلا أن أدلة...)؟؟ ويكفي صفة الرحمة مع غلبتها لصفة الغضب، وسبقيتها أيضاً؛ إذ لا معنى لهذه السبقية والغلبة، إلا ظهور أثرها وانقطاع الغضب، فالأمر دائر بين انقلاب العذاب عذوبة، وذهاب الألم به مع بقاء الصورة تحقيقاً للوعيد كما يقول الشيخ الأكبر، وبين ما يقوله غيره من الفناء. على أن هذا القول قد يرجع إلى قول الشيخ الأكبر، بأن المراد بالفناء: ذهاب الألم، وانقطاع العذاب، لا صورته التي هي في الحقيقة عين النعيم. فالقولان عندي سواء في المعنى، وإلى ذلك نميل، وبه ندين الله تعالى».

ويلاحظ أن أبا الفتوح رد على شيخه هذا بمنتهى الأدب[1]، وهذا عجيب، ولو كان أبو الفيض حيّاً ما جرؤ أبو الفتوح على مخالفته، ثم إن المتأمل في كلام أبي الفيض يدرك أنه لم يفطن لتناقض ابن العربي في كلامه، بين حكمه بفناء النار حتى ينبت فيها الجرجير، وتصفق أبوابها؛ لفراغها

(١) انظر: در الغمام الرقيق، هامش صفحة (٢٢٦).

وخلوها عن نزلائها، وبين حُكْمه ببقاء صورتها تحقيقاً للوعيد إلا أن عذابها ينقلب عذباً حلواً ونعيماً، ورغم هذا فقد وافقه أبو الفيض وصرح أنه يميل إلى القولَيْن المتناقضيْن، ويدين الله تعالى بهما. وهذا من غلبة الشقاء عليه، وإلا فهل يقول مُسْلِمٌ بأن عذاب جهنم، الذي أعده الله لأعدائه، ووصفه بأبشع الأوصاف، وأقبح النعوت في عشرات الآيات؛ ينقلب عذباً ونعيماً؛ ينعم به أهل النار، وهل هذا إلا تَحَدٍّ لله، واستهزاء بكلامه، ومعاكسة لمراده ـ نسأل الله السلامة والعافية ..

وهي في الحقيقة فاقرة ثانية، تضاف إلى فاقرة فناء النار، وبعد هذا لا يلام شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه، إذا صرح في كثير من كلامه بأن كفر هؤلاء الاتحادية أقبح من كفر اليهود والنصارى[1]. وهذا كلام ابن العربي نظماً في الموضوع في نونية له: [الطويل]

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده ... وما لوعيد الحق عين تعاين
وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم ... على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد فالأمر واحد ... وبينهما عند التجلي تباين
يُسَمَّى عذاباً من عُذوبة طعمه ... وذاك له كالقشر والقشر صاين[2]

ومآل هذا الكلام؛ أن مصير الكافرين إلى سعادة ونعيم، ونسأل الله أن يحشرهم ـ أي الشيخ الأكفر وأبا الفيض ومن يدين بدينهم ـ معهم يوم

---

(١) انظر على سبيل المثال: "مجموع الفتاوى" (٢/ ١٢٨-١٣٠)، و(٢/ ١٧٢). (الناشر).

(٢) فصوص الحكم (١/ ٩٤). (الناشر).

القيامة، ويقال لهم: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾[المطففين: من الآية١٧]. ويقال لهم: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الطور:١٦].

الفصل الرابع

قوله بجواز رؤية الله تعالى يقظةً ومناماً في الدنيا وادعاؤه ذلك

مسألة رؤية الله تعالى يقظة فاقرة من فواقر الدهر التي لا علاج لها إلا السيف؛ لأن الأنبياء والمرسلين وسيدهم وأفضلهم سيدنا محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام؛ لم تحصل لهم، وقد سُئل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ يعني في المعراج فأجاب «نور أنى أراه؟»، وهو صحيح لا غبار عليه[1]، وقد ورد تفسير قوله: «رأيت نوراً» بأنه حجاب العظمة[2]، وهذا

---

(١) رواه مسلم (٢٦١).

(٢) قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في "أضواء البيان" (٣/ ١٠): «...التحقيق الذي لا شك فيه هو: أن معنى الحديث هو ما ذكر من كونه لا يتمكن أحد من رؤيته؛ لقوة النور الذي هو حجابه؛ ومن أصرح الأدلة على ذلك أيضاً؛ حديث أبي موسى المتفق عليه: «حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» وهذا هو معنى قوله ﷺ: «نور أنى أراه» أي: كيف أراه وحجابه نور؛ من صفته: أنه لو كشفه لأحرق ما انتهى إليه بصره من خلقه». (الناشر).

كلام فصل قاطع للنزاع، وقد حرره بأسلوب علمي متين الإمام ابن أبي العز في شرح الطحاوية[١]. وهذا كليم الله موسى بن عمران عليه السلام، طلب رؤية الله عندما كلمه في الطور، فقال: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، فهذه الرؤية البصرية لم تحصل للمرسلين، حتى كليم الله، وسيد الخلق، رغم سؤال موسى لها، فكيف يجرؤ من يدعي الصلاح والولاية على ادعائها ـ سبحانك هذا بهتان عظيم ..

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «تعلَّمُوا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت»[٢]، قال البربهاري في "شرح السنة": «من زعم أنه يرى ربه في دار الدنيا فهو كافر بالله عز وجل».

ورغم آية القرآن، اقتحم سلطان العاشقين! عمر بن الفارض المصري، وصارح ربه قائلا:

وإذا سألتك أن أراك حقيقةً فاسمح، ولا تجعل جوابي لن ترى

فانظر يا أخي هداني الله وإياك، إلى هذا الاستخفاف بالربوبية، والاستهزاء بعظمة الألوهية، الذي كان من نتائجه تكاثر المدعين الدجاجلة، فيحكى عن أبي يزيد البسطامي، وأبي سعيد الخراز، والحلاج، وغيرهم، ما

---

(١) انظر: ص(٢١٣-٢١٤). (الناشر).

(٢) رواه مسلم (١٦٩)، وهذا لفظه، وبنحوه أخرجه النسائي في الكبرى (٧٧٦٣)، وأحمد (٥/ ٣٢٤)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٤٢٨-٤٣١).

إن ثبت عنهم صح الحكم بردتهم وكفرهم.

وإذا بلغتَ إلى ابن العربي في الفتوحات، رأيتَ العجائب من هذه الفضائح الكفرية فلا غرو أن يدلي بدلوه في غياب حكم الشريعة، وشيوع الفوضى والإلحاد، وإغماد سيف الحق، أبو العُسْر، فيزعم أنه رأى الله تعالى يقظةً لا مناماً، وكيف لا وتلميذه الرقيع أبو الفتوح زعم أن الله ـ سبحانه وتعالى عما يقول الأفاكون علواً كبيراً ـ تشكل في صورته، فرآه بعض مُريديه! وهذا كفرٌ ما بعده كفر، ونستغفر الله من حكايته، وحاكي الكفر ليس بكافر، وليته طوى البلاء على ما فيه، بل كتب به إلى أبي الفيض، وزعم أنه أقره، وعبَّر له الرؤيا بالموافقة، ولم يأت بكلام شيخه بنصه لحاجةٍ في نفسه، حتى نشره هو في كتابه "در الغمام" ونصه[١]: «والذي رأى الله في صورتك حق؛ لأنه لم ير الله تعالى، وإنما رأى الرب؛ بدليل قوله لك: يا رب اغفر لي، ولم يقل: يا ألله، والرب هو السيد، وهو المعلم، فأنت معلمه وسيده».

وهذا الهذيان مقبول في الجملة، بخلاف كلام أبي الفتوح الموهم مما لا يجوز. ثم إن ادعاء رؤية الله يقظة إن جرت على مذهب أهل الاتحاد والوحدة، جازت عندهم؛ لأن الله تعالى عندهم كل شيء، فكل ما تراه من حسن وقبيح هو الله، ألم تسمع غلاتهم كابن سبعين والتلمساني وابن العربي يقولون: «ليس إلا الله»، حتى سُمُّوا: (اللَّيْسِية)[٢]. وكان منهم من إذا سمع

---

(١) در الغمام الرقيق ص(١٤٩).

(٢) انظر جامع رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية: الهجر الجميل والصفح الجميل والصبر الجميل ص(٣٩).

نهيق الحمار يقول: «لبيك». وقد قال ابن العربي: [الطويل]

وما الكلب والخنزير إلا إلاهنا وما الله إلا راهب في كنيسة

كما أن كل كلام في الوجود حسناً كان أو قبيحاً، أو مجونا أو كفرا، أو ردة أو ضلالاً أو سخفاً، نظماً كان أو نثرا، فهو كلام الله تعالى، وتقدس ربنا عن هذا الكفر المبين، كما قال ابن العربي: [الطويل]

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

ولما ادعى أبو الفتوح هذا المسخ في مبشراته بالنار، استنكرته بلساني فبلغه إنكاري، كان يومئذ في أوج سُعاره بُعَيْد وفاة أبي الفيض، وهو بصدد بناء الزاوية، وجمعْ الأنعام حوله، فكتب رسالة "الإعلام بجواز رؤية الله في المنام" وطبعها، وهي عبارة عن عريضة سباب وطعون، وقذف صريح، يطالب بإثباته شرعاً، وإلا أقيم عليه حد القذف.

ولما قرأتها رددت عليه يومها برسالة سميتها "بيان إلى الدجال القرمطي، عبد الله الكرفطي" أو "نشر الإعلام بمروق الكرفطي من دين الإسلام" وبعد نحو أربعين سنة من كتابتها، وقعت بيد الأخ الأستاذ الداعية عمر الحدوشي (فك الله أسره)، فاستأذنني في طبعها فأذنت وَطَبَعَهَا، وأثنى عليها مَنْ وقف عليها؛ لأنها تضمنت حقائق واضحة، ودلائل نيرة، علاوة على حكاية إجماع الحنفية على اعتبارها ردةً وكفراً. ومعلوم أن رؤية الله في المنام صحت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: «رأيت ربي في أحسن صورة...»[1] هذا اللفظ الثابت بخلاف «رأيت ربي في صورة

(١) انظر بتوسع تخريج هذا الحديث في التعليق على كتاب "السنة" لابن أبي عاصم، للألباني، =

شاب أمرد»[١] ونحوه فإنه لا يصح. ولكن هذا ومثله كالوحي ومشاهدة الجنة والنار من شأن النبوة، لا يجوز القياس عليه.

وهذا هو السر في أن هذه الرؤيا لم تثبت؛ بل لم تجئ عن الصحابة والتابعين؛ لأنهم كانوا أعرف بالله تعالى، وأخشى لله، أن يدعوا ما لا يجوز ولا يعقل.وما يحكى عن الثوري والإمام أحمد وغيرهما من أئمة السلف لا ثقة به[٢]. ويحتاج قبل الخوض في معانيه والمراد منه إلى نقد أسانيده، ثم تكاثر

= الأرقام (٣٨٨، ٤٦٥-٤٧٠). (الناشر).

(١) انظر: "كشف الخفاء" (١/ ٥٢٧)، و"أسنى المطالب" ص(١٤٩-١٥٠). (الناشر).

(٢) هذا هو رأي الشيخ ـ حفظه الله ـ ومُختاره، لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "بيان تلبيس الجهمية" (١/ ٧٣-٧٤) ـ بعد كلام له سبق ـ: «... وإذا كان كذلك، فالإنسان قد يرى ربه في المنام ويخاطبه؛ فهذا حق في الرؤيا، ولا يجوز أن يعتقد أن الله في نفسه مثل ما رأى في المنام؛ فإن سائر ما يُرى في المنام، لا يجب أن يكون مماثلاً، ولكن لابد أن تكون الصورة التي رآه فيها مناسبة ومشابهة لاعتقاده في ربه؛ فإن كان إيمانه واعتقاده مطابقاً؛ أتى من الصور وسمع من الكلام مما يناسب ذلك، وإلا كان بالعكس. قال بعض المشايخ: إذا رأى العبد ربه في صورة؛ كانت تلك الصورة حجاباً بينه وبين الله.

وما زال الصالحون وغيرهم يرون ربهم في المنام ويخاطبهم، وما أظن عاقلاً ينكر ذلك؛ فإن وجود هذا مما لا يمكن دفعه، إذ الرؤيا تقع للإنسان بغير اختياره. وهذه المسألة معروفة وقد ذكرها العلماء من أصحابنا وغيرهم في أصول الدين، وحكوا عن طائفة من المعتزلة وغيرهم إنكار رؤية الله. والنقل بذلك متواتر عمن رأى ربه في المنام. ويكن لعلّهم قالوا: لا يجوز أن يعتقد أنه رأى ربه في المنام، فيكونون قد جعلوا مثل هذا من أضغاث الأحلام، ويكونون من فرط سلبهم ونفيهم نفوا أن تكون رؤية الله في المنام صحيحة، كسائر ما يُرى في المنام. فهذا مما يقوله المتجهمة، وهو باطل مخالف لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، بل ولما اتفق عليه عامة عقلاء بني آدم. وليس في رؤية الله في المنام نقص ولا =

ذلك حتى ادعاه من هبّ ودبّ، كأبي الفيض الذي أورد في جؤنته رؤياه لربه التي هي عبارة عن صحون من الأطعمة تأتي من ورائه وتنزل بين يديه، فعبرها هو بأن ذلك التصرف كان من الله. وأن تلك الأطعمة إكرام من الله له في مقابلة صبره على عداوة أشقائه له. هذا مفاد الرؤيا وتعبيرها، اعتمدت فيها على الذاكرة، لأن الكتاب بعيد عني.

وقريب من هذا الخور ما يحكى عن الصوفية ونحوهم، فإنهم جميعاً إذا سئلوا ماذا رأوا؟ ـ وهو سؤال طبيعي ـ أخرسوا وجمجموا ولم يفصحوا؛ لأن في الإفصاح تشبيهاً وتجسيماً، وهو كفر والعياذ بالله. ولذلك لجأوا إلى التأويل، وأن المراد بالرؤيا: الرمز والمثال. ولا أدري رمز مَنْ ولا مثال مَنْ؟ ألا يكفي هذا للزجر عن ادعاء الرؤيا؟

=

عيب يتعلق به سبحانه وتعالى، وإنما ذلك بحسب حال الرائي وصحة إيمانه، وفساده، واستقامة حاله، وانحرافه.

وقول من يقول: ما خطر بالبال، أو دار في الخيال؛ فالله بخلافه؛ ونحو ذلك، إذا حُمل على مثل هذا؛ كان محملاً صحيحاً، فلا نعتقد أن تخيّله الإنسان في منامه أو يقظته من الصّور؛ أن الله في نفسه مثل ذلك؛ فإنه ليس هو في نفسه مثل ذلك، بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان ويتخيّلها على حقيقتها ـ بل هي على خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته، وإن كان ما رآه مناسباً، مشابهاً لها، فالله تعالى أجل وأعظم».

الفصل الخامس

قوله بجواز؛ بل واستحباب الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، بله التوسل بالنبي ﷺ، وقد استغاث بالنبي ﷺ وهتف باسمه وحده، وبعده مباشرة لفظ نفسه الأخير

مسألة التوسل إلى الله بالأنبياء والأولياء والاستغاثة بهم فيما لا يدخل تحت مقدرة العباد، من المسائل التي قُتلت بحثاً ودرساً. وأُلِّفتْ فيها سلباً وإيجاباً عشراتُ الكتب والرسائل، وأول من توجه إليها بجد، وأفاض في بيان غوائلها وتفاصيلها، شيخُ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه، وألَّف فيها "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة"، كما ألف في الاستغاثة رسائل، وكتب فيها فتاوى، وجاء بعده وبعد تلاميذه إمام الدعوة ومجدد رسوم التوحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي وأبناؤه وأحفاده، فتصدى للخرافيين من الصوفية ومقلدة الفقهاء، الذين أجازوا التوسل والاستغاثة مطلقاً.

وكان منهم ـ بطبيعة الحال ـ المغاربة؛ فإن فقهاءهم وصوفيتهم كانوا غارقين في هذا الوحل إلى الأذقان، بل لم يكن استنكار ذلك يخطر على بال، إلى أن أرسل إليهم الإمام محمد بن سعود رسائل يدعوهم فيها إلى تجريد التوحيد، وتحقيق العقيدة، فأفاقوا وكأنهم كانوا في نوم أهل الكهف. واختلف فقهاؤهم في الرد عليه، فمنهم من أيد الدعوة وأثنى عليها، ومدح إمامها، كالشيخ حمدون ابن الحاج[١]، ولكنه سرعان ما نكص على عقبيه، ويظهر أن السبب بيئةُ المغرب المبنية على الجهل والخرافة، وانعدام الشجاعة الأدبية، والجهل بالحديث والآثار وفهمها على منهج السلف الصالح، لا الخلف الطالح.

ومثل هذا بالضبط وقع لفقهاء الزيتونة بتونس، فقد رَدَّ على الأمير السعودي الشيخُ سالمُ بوحاجب[٢]، والشيخ إسماعيل التميمي، وردودهما تنادي عليهما بالجهل بالتوحيد الحق، والإغراق في التقليد والتعصب. وظل الأمر كذلك إلى أن ظهر بالمغرب **الشيخ عبد الله السنوسي الفاسي**، فأعلن بالدعوة السلفية، واشتهر بذلك، وألقى دروساً بالقرويين، وطنجة وغيرهما، حمل فيها على عقيدة الأشاعرة، والطرق الصوفية، والتقليد الأعمى في الأصول والفروع، وعقدت معه مجالس للمناظرة بمحضر السلطان كان له الشفوف فيها عليهم، فقربه الملك عبد العزيز وحماه منهم، وقام بشؤونه.

---

(١) المتوفى سنة: ١٢٣٢هـ، ترجمته في الأعلام (٢/ ٢٧٥)، وسلوة الأنفاس (٣/ ٤).

(٢) المتوفى سنة: ١٣٤٢هـ، ترجمته في الأعلام (٣/ ٧١-٧٢).

وكان للرجل رحلات، وولع بالتجول، واقتنى كتباً لنفسه، وعرف قيمة آثار ابن تيمية وابن القيم والذهبي وأقرانهم من علماء السلف، فعكف عليها واستبطنها حافظاً واعياً داعياً إليها بيْد أنه مع الأسف لم يؤلف شيئاً فيما نعلم.

وهذا الرجل وحده هو الذي يستحق أن يُنعت بالسلفي الحق. ويشبهه إلى حد بعيد الشيخ الحاج عبد الرحمن النتيفي الذي كان تجانياً ثم تاب إلى الله، وأقبل على دراسة الكتاب والسنة، وأخذ العقيدة منها مستعيناً بابن تيمية وابن القيم، ودعا إلى ذلك باللسان والقلم، فألف في ذلك رسائل جيدة، ما زالت مخطوطة، ومنها مؤلفه في الرد على أشاعرة فاس الذين عبر عنهم بالجهمية، وناظرهم بمحضر الملك محمد بن يوسف رحمه الله.

وممن أدركناهم على هذا المنهج شيخنا الشيخ محمد بن العربي العلوي، وسلفيته نظرية مغربية! وتلميذه شيخنا الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، ومؤلفاته كثيرة كلها تدور حول هذا الموضوع.

وقد ألهم الله **الشيخ محمداً الزمزمي ابن الصديق الطنجي**، فأعلن انفصاله عن زاوية أبيه وإخوته، وأخذ يدعو إلى ذلك علناً بلسانه وقلمه، فألّف رسائل جيدة منها **رسالة في شرح لا إله إلا الله** بالغ فيها تحذيراً من نواقضها، ولما وقف عليها شقيقه أبو الفيض ورآها تخالف مذهبهم كتب إلى أبي الفتوح يحثه حثاً بالغاً على الرد، ويعده بطبعه على نفقته، فكتب هذا أوراقاً ملأها سباً وشتماً؛ إرضاءاً لشيخه، ولحاجةٍ في نفسه، وأرسلها إلى شيخه، فزاد

فيها فصولًا وقدَّم وأخر، واختار لها من الأسماء: "الصارم المبيد، لما زعمه المبتدع العنيد، من الضلالات في شرح كلمة التوحيد". وقد برهن الشيخ والتلميذ بصنيعهم هذا، على أنهما لا يعلمان كلمة التوحيد.

وقد عرفت عن الشيخ أبي الفيض وشقيقه عبد الله أنهما لا يفرقان بين التوسل والاستغاثة، مع وضوح الفرق بينهما، ويشبههما في هذا محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه "فقه السيرة"، وقد سبق أن ذكرت في غير هذا الموضع مناظرة وقعت بيني وبين الشيخ عبد الله، بمنزل صهري (المربيطو) بتطوان وبمحضر الفقيه التجكاني، في موضوع الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله، وأنها من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وأنها تناقض قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، فرد علي الشيخ وصهره التجكاني بقوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص:١٥]، فأخذتُ أبيّن لهما أن هذه الاستغاثة من باب الأخذ بالأسباب العادية، وليست مما نحن فيه، وأصرَّا على قولهما، وكنتُ أعلم أن عبد الله وقع في هذا الخلط في رسالته "إتحاف الأذكياء"، وقرر فيها أن من استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهو مبتدع ضال بالإجماع!![1] وهو بقوله هدم كل ما كتب في هذه الرسالة، و"الرد المحكم المتين"[2]. وقد نبهه شقيقه

---

(١) انظر: إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء ص (٣٠)، نشر عالم الكتب (الناشر).

(٢) اسمها بالكامل "الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين"، قصد بها الرد على كتاب =

الزمزمي على وجوب التفريق بين التوسل والاستغاثة، فلم يهتد.

والمقصود التنبيه على مؤامرة أبي الفيض أبي الفتوح على الشيخ الزمزمي، بدافع الحقد والكراهية، وقد فطن الزمزمي لهذه المؤامرة، وأكد في بعض رسائله[1] أن "الصارم المبيد" من وضع شقيقه، فسارع أبو الفتوح إلى التكذيب.

وبين يدي الساعة خمس عشرة رسالة بخط أبي الفيض إلا واحدة فبخط أخيه إبراهيم؛ لمرضه، كتبها لذنبه حول "الصارم المبيد" وما زاد فيه الشيخ وما نقص، وتسميته له، وطبعه على نفقته، ورأيتُ أن جَلْبَ عباراته في ذلك يطول، وإن كان في ذلك فائدة، وفيها ما يستطرف، ومنه - وإن كان خارجاً عن الموضوع - أن الكرفطي شكا إلى شيخه عدم طلوع لحيته بغزارة، وأن نباتها لا يخرج إلا نكداً، فأجابه الشيخ بما نصه بحروفه: «**وإذا رجوت أن تطلع لحيتك بالحلق، فكَرِّطْها تكْريطا لعلها تبادر بالطلوع والسلام**»!!

ومما يحسن التنبيه عليه هنا أنه لا تخلو رسالة من رسائل أبي الفتوح - وهي أكثر من مائة - غالباً من رؤيا أو اثنتين، ويبادر الشيخ إلى تعبيرها لصالح ذَنَبِه، وفيها بشريات بمقامات عالية في الولاية والمعرفة!!

ومن أطرفها: رؤيا عبَّرها له الشيخ بقرب نزول عيسى عليه السلام،

= "القول المبين في حكم دعاء ونداء الموتى من الأنبياء والأولياء والصالحين" للشيخ مخيمر رحمه الله (الناشر).

(١) وهي رسالة "إقامة الحجة على جواز الصلاة خلف أهل الفسق والبدعة".

وظهور المهدي، وتفسيره بأن الكرفطي سيكون من أعوانه!!

والملاحظ أن هذه الرؤى الكثيرة مع تعبير الشيخ، كلها بارت، وتبخرت، ولم يتحقق منها شيء. كما أن بشريات الكهان والمجاذيب لأبي الفيض بمصر والشام قبل وفاته بقرب الفرج؛ لم يتحقق منها شيء؛ إلا في خاصة نفس الشيخ، فإنه مات عام ٨٠، وبعد وفاته أشاع بعض الناس هنا بالمغرب، أنه مات منتحراً، فأصدر الشيخ أحمد مرسي - وهو أزهري نقشبندي - بياناً أنكر فيه ذلك، فرد عليه الشيخ الزمزمي ببيان مضاد مؤرخ بـ(٢٠ ربيع الأول عام ١٤٠١)، جاء فيه مما يتعلق بالتوسل والاستغاثة، وهو من باب (وشهد شاهد من أهلها) ما نصه: «**إن ما حكاه الشيخ مرسي من أن الشيخ أحمد نادى عند موته باسم الرسول، أنا أعرف سببه لا الشيخ مرسي: إن أخي السيد أحمد كان من عادته إذا أصابته شدة أن ينادي باسم الرسول، كما هي عادة المتصوفة الجاهلين، فقد كنت معه ذات ليلة وقد أصيب بمرض خطير فصار ينادي باسم الرسول. وأنا أقرأ عليه القرآن ليذهب عنه ما يجد من المرض، فهو كان يستغيث بالمخلوق!! في آخر لحظة من حياته، وذلك أقبح من الموت بالانتحار كما هو معلوم**».

الفصل السادس

قوله بأن معية الله تعالى لخلقه مطلقة وليست بالعلم بل بالذات، وتفويضه في معاني الصفات لا في التكييف

هما في الحقيقة فاقرتان: الفاقرة الأولى: دَفْعُ معيةِ الله تعالى لخلقه بالعلم، واعتقاده أنها بالذات، والفاقرة الثانية: اعتقاده وجوب التفويض في صفات الله تعالى.

ومعلوم أن عقيدة السلف الصالح رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين، وهم خير الناس كما في الحديث الصحيح: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[1]، ونصوصهم في ذلك لا تحصى. ومفادها: أن الله تعالى فوق عرشه العظيم، كما جاءت بذلك الآيات والأحاديث النبوية، وهناك كلمتان زيدتا على الأدلة ولا تعرف عن السلف وهما: (بذاته)[2]،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) قال الإمام ابن القيم في "اجتماع الجيوش الإسلامية" ص(١٧٦): «قول شيخ الإسلام =

و(بائن من خلقه)[1]. ولا داعي إليهما، وإنما زادهما من زادهما من أهل العلم

=

أبي إسماعيل عبد الله الأنصاري ـ رحمه الله تعالى ـ صاحب كتاب "منازل السائرين" و"الفاروق" و"ذم الكلام" وغيره، صرَّح في كتابه بلفظ الذات في العلو وأنه استوى بذاته على عرشه قال: ولم تزل أئمة السلف تصرح بذلك».

وانظر: فتاوى ابن تيمية (٥/ ١٩٠-١٩١) فقد نقله عن بعض السلف لكن الذهبي له اعتراضات على لفظة (بذاته) انظر كتابه العلو ص(٢٣٦، ٢٤٥، ٢٤٨).

(١) عبارة (بائن من خلقه) نسبها شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٠٨) لابن المبارك رحمه الله، وكذا نسبه إليه ابن القيم كما في حاشيته على سنن أبي داود (١٣/ ٢٥). ونقل إسناده عنه بذلك، وأيضاً فقد أقَرَّ الإمام أحمد من سأله ـ وهو يوسف بن موسى ـ فقال: «الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم الله على عرشه وعلمه لا يخلو منه مكان». انظر: المصدر السابق (١٣/ ٣٤)، بل نقل الإمام ابن القيم في الكتاب نفسه (١٣/ ٣٤): «... وقال عبد الرحمن أيضاً: سألت أبي وأبا زُرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا السلف عليه، وما يعتقدون من ذلك؟ فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازاً وعراقاً، ومصراً، وشاماً، ويمناً، فكان مذهبهم: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص... وأن الله ـ تعالى ـ على عرشه، بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله، بلا كيف...».

قال شيخ الإسلام في الفتاوى (٢/ ٢٩٧): «ولما ظهرت الجهمية المنكرة لمباينة الله وعلوه على خلقه، افترق الناس في هذا الباب على أربعة أقوال:

فالسلف والأئمة يقولون: إن الله فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه...».

ونسبه أيضا (٣/ ٤٢) إلى أئمة السنة. وفي الفتاوى أيضاً (٥/ ٥٢): «وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة ـ إمام الأئمة ـ: من لم يقل إن الله فوق سماواته على عرشه، بائن من خلقه، وجب أن يستتاب؛ فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم ألقي في مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة، ولا أهل الذمة)، ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح».

وفي كتابيْ "العلو" للذهبي، و"اجتماع الجيوش" لابن القيم، من النقول عن السلف؛ ما ذكرناه هنا، وما لم نذكره. (الناشر).

تحقيقاً لمعنى الاستواء، وردَّ فعل لمنكري علو الله على خلقه من الجهمية وأَتْباعِهم.

ثم النص منهم على أن معية الله لخلقه نوعان: عامة وهي معية العلم، وخاصة وهي للمتقين والمحسنين من عباده، وهي معية نُصرة وتأييد مع معية العلم. وفي القرآن آيات كثيرة تفيد النوعين، ومن أجمعها آية العلم، كما كان يسميها السلف الصالح، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[المجادلة:٧]، فافتتحها سبحانه بالعلم، وختمها به، فعُلم منها: أن معية الله تعالى، بالعلم لا بالذات. والآية قاضية على نظائرها في الكتاب العزيز، وهو يفسر بعضه بعضاً. ولكن الشيخ أبا الفيض وجد إمامه الأكفر: ابن العربي، ومن سار على دربه، ينعى على من يفسر المعية بالعلم، ويقول: هو تأويل مدفوع. والحق أن المعية بالذات، وتلقفها أبو الفيض منه بقوة. وقصر نظره عليها ولج في التعصب؛ لا سيما وقد وجدها مَدْرَجَة لوحدة الوجود؛ لأنه إذا اعتقدها الإنسان بالذات؛ يلزمه اعتقاد وجوده ـ تعالى وتنزه عما يقوله المبطلون ـ في كل مكان حتى فيما يُحْتَقَر كالحشوش، والمزابل، والمراحض، ونحوها، وهذا يستلزم الحلول، وأهل الوحدة كأبي الفيض لا يقولون به فيشطح بهم الخيال والضلال إلى اعتقاد أنه عين هذه الموجودات والأماكن، وهذا سر لجاج أبي الفيض وغلوه في الموضوع، ورده للإجماع على المعية

بالعلم الذي حكاه ابن عبد البر[١] وابن تيمية[٢] وابن القيم لا سيما في كتابه "مختصر الصواعق"، وقد كتب أبو الفيض على هوامش نسخته المكية الأولى يصرح بتكذيب هؤلاء الأئمة في حكايتهم الإجماع، وهو لا يستطيع أن ينقضه بنقل واحد صحيح عن أئمة السلف.

ودليله على أن المعية بالذات؛ عموم الآيات الواردة فيها، وقوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[الواقعة:٨٣-٨٥].

وقد حَرِد وتنمر من رسالة لأبي الفتوح حول هذه الآية، وسخر من عامة المفسرين، وقال كيف يفسرون (تُبصرون) بالعلم. وقد أُتي من غلبة الهوى عليه، وإلا فإن البصر يُطلق لغةً على الإدراك. وإذا كان المعنى بصر الرؤية، فالمنفي رؤية الملائكة الحاضرين لقبض الروح.كما أنه استدل بحديث رده مراراً، وفيه: «لو دليتم بحبل لهبط على الله»، وقد نص العلماء على ضعفه. هذا مجمل ما يتعلق بهذه البائقة.

وأما **مسألة التفويض**، فإن أبا الفيض يذهب إليه، إلا أنه يضطرب في التعبير، فتارةً يوهم الإثبات مع التنزيه الذي هو المذهب الصحيح، وتارة

---

(١) انظر: التمهيد (٧/ ١٣٨-١٣٩)، وقد حكى عن علماء الصحابة والتابعين في تأويل هذه الآية: أنه تعالى على العرش، وعلمه في كل مكان، ولم يخالفهم في هذا أحد يُحتج به. (الناشر).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٤٩٥) فقد نقل عن ابن عبد البر، القول بالإجماع، وذكر عبارته الآنفة. (الناشر).

يوهم بكلامه التفويض، وهو بدعة كبرى؛ لأن مآلها الإيمان بصفات لا معاني لها، إن هي إلا جُمَلٌ وكلمات وحروف مجردة، وأركسهم في هذا الضلال ما روي عن بعض السلف أنهم قالوا: «تُمَرُّ كما جاءت، وتفسيرها قراءتها»[(١)].

وهؤلاء لا يعنون التفويض المطلق، وإنما مقصودهم أن لا يخوضوا في تكييف المعاني المفهومة من الكلام العربي. والقرآن نزل بلسان عربي مبين. وقد سمى الله تعالى نفسه فيه بعشرات الأسماء الحسنى، وهي أسماء ونعوت، كما وصف نفسه سبحانه بعشرات الصفات، ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنزل عليه، والمكلف بالبيان، وأصحابه ﷺ، كانوا يعلمون بسليقتهم العربية أن معاني تلك الأسماء والصفات معلومة، وأنه يجب إثباتها لله تعالى على وجه يليق بعظمته وجلاله، مع ملاحظة التنزيه عن التشبيه والتعطيل، إعمالاً لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، وقد روي عن أم سلمة أم المؤمنين ﷺ أنها قالت: «الاستواء معلوم والكيف مجهول»[(٢)]، وقد وردتْ الكلمة نفسها مع زيادة وقصّةٍ عن الإمام مالك ﷺ[(٣)].

---

(١) انظر معارج القبول (١/ ٣٩٥). وأم البراهين ص(٢٩).

(٢) قال شيخ الإسلام في "مجموع الفتاوى" (٥/ ٣٦٥): «...وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة ﷺ موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه»، وقال الذهبي في "العلو" ص(٨١): «هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي ومالك الإمام... فأما عن أم سلمة؛ فلا يصح...». (الناشر).

(٣) صححه الذهبي عن الإمام مالك، كما في "تذكرة الحفاظ" (١/ ٢٠٩)، و"العلو" =

وللأسف، فإن أبا الفيض أعدى بهذا الجرب العقدي إخوتَه، ولا أعرف عن واحد منهم أنه رجع عن ذلك. ومن المستحيل إرشادهم أو نصحهم بمراجعة كتب العقيدة السلفية، سواء منها القديمة أو غيرها. وإن شئت تعكير دمهم وإثارتهم فَدُلَّهم على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[القصص:٥٦].

=

ص(١٣٩)، وجود الحافظ في "الفتح" (١٣/ ٤٠٧). (الناشر).

الفصل السابع

قوله بأن فرعون مات على الإيمان، ورده على من قال بخلاف ذلك، ودفعه لآيات القرآن الواردة بذلك بالصدر

هذه المسألة من أعظم فواقر أبي الفيض وبوائقه، فقد انفرد بها ـ عياذاً بالله ـ بالمغرب وبين أهله، ولم نسمع بها عن أحد قبله حتى الغلاة في التصوف الفلسفي، ولما وقفت على كلام ابن العربي فيها لم أستغربه؛ لأن له من مثل هذه الطامة الكثير في كتابيْه اللذين جمع فيهما الإلحاد من أطرافه: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، كتبتُ إلى أبي الفيض أسأله عنها، وأورد اعتراضات عليها، هي في الحقيقة مني؛ إلا أني كنت أنسبها لغيري؛ درءاً لغضبه، وحفاظاً على الصلة بيننا، وما كنت ـ علم الله ـ أنتظر منه ذلك الجواب الطافح بالمنكر العظيم، والخطأ الجسيم، والذي تنكَّر فيه لآيات الذكر الحكيم، المنادية بكفر الطاغية المتربب فرعون ـ لعنه الله وأخزاه ـ، وكان الجواب من معتقله بمدينة آزمور بتاريخ (٢٧ جمادى الأولى عام ٧٤)، وهو

جواب طويل تناول فيه مسائل منها: إيمان فرعون، وقد أورد الأخ بدر سدده الله ما يتعلق بفرعون بنصه نقلاً عن نسختي التي بخط الشيخ، وأعقبه برد غير مباشر عليه لشقيقه الشيخ عبد الله سماه: "استمداد العون لإثبات كفر فرعون"، وقد كتبه في حياة شقيقه أبي الفيض لأنه مؤرخ بـ(٢٥ صفر عام ١٣٧٥هـ)، ولا أدري هل اطلع عليه أبو الفيض أم لا؟ والغالب أنه لم يره؛ لأنه كان يومئذ بالمعتقل، وشقيقه عبد الله بمصر.

وقد أحسن الأخ بدر بإيراد الجواب والرد عليه، وما تخلله من تعليقات جد مفيدة، كما أن عبد الله أجاد وأفاد أيضا في رده، وأتى على بنيان أبي الفيض من القواعد.

ومن أهم ما فيه: إنكار ما ذكره الشعراني المتهور من أن القول بإيمان فرعون منقول عن جماعة من السلف والخلف منهم الباقلاني، وتبعه على ذلك أبو الفيض، وزاد نقله عن بعض النكرات من متصوفة العجم، وعن الصوفي الاتحادي المحترق البرزنجي المدني، ولكنه تنكب الصواب بنفيه عن ابن العربي، وهو ثابت عنه بدون شك، وإلا فما معنى تأويل الشعراني لكلامه، وقد أحسن بدر أيضا بنقله عن الفصوص وشارحها القول بإيمان فرعون.

وقد سمعت من كل من أطلعته على رسالة أبي الفيض بالحرمين الشريفين، ومصر، من العلماء استنكارهم الشديد لهذه البائقة الموبقة، وصارحني الأخ المحدّث الداعية أبو إسحاق الحويني بمنزله بكفر الشيخ، أن هذا القول يعتبر تحدياً لله تعالى ورسوله، وقبل أن أورد نص الجواب

دون الرد عليه لطوله مع الإحالة على "الجواب المفيد للسائل المستفيد"[١] للوقوف عليهما؛ أُنَبِّهُ على فوات جَدّ مُهم للشيخ عبد الله، وهو نَصٌّ قاطعٌ للخصومة، حاسم للتردد في الموضوع، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾[النازعات:٢٥-٢٦]، فهذه الآية الكريمة نص واضح لا يحتمل التأويل، ولا يقبل إلحاد أبي الفيض في كتاب الله المتجلي في تساؤله عن السر في قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[هود:٩٨]، فكأنه فهم أنه يتقدمهم إلى النار دونهم، فيوردهم إياها ويرجع سالماً إلى الزاوية، ومادام أن أبا الفيض اختار إيمان فرعون؛ فندعو الله تعالى أن يحشره معه، ويجعله من حزبه، كفاء دفاعه عنه، وهذا نص الجواب:

«ومسألة إيمان فرعون ألف فيها إثباتاً وانتصاراً للشيخ الأكبر؛ العلامةُ الجامي، وردّ عليه ذلك المغفل علي القاري الحنفي بكتاب سماه: "فر العون من مدعي إيمان فرعون" مطبوع بالأستانة هو والأصل المردود عليه، ولكن انبرى له العلامة الصوفي المطلع المتضلع من العلوم المعقولة والمنقولة محمد بن رسول البرزنجي فألف كتاباً لطيفاً سماه: "التأييد والعون لمدعي إيمان فرعون"، أتى فيه بما يبهر العقول، كما فعل في أبويْ النبي ﷺ، وقد قرأت الجميع والحمد لله، والتأييد عندي؛ عليه خطه. وقد ألف كنون الفقيه الفاسي

---

(١) الجواب المفيد ص(٩٦-١٢٢).

رسالة في الرد على ابن العربي قرأتها أيضاً، وللعلامة الجامي كتاب سماه: "الجانب الغربي في نصرة ابن العربي" ألفه بالفارسية، وترجمه ابن رسول البرزنجي، وسماه: "الجاذب الغيبي" في مجلد كبير، أجاب فيه عن جميع ما أشكل من كلام الشيخ، ولعبد الغني النابلسي "الرد المتين"[1] أيضاً وكلاهما موجود.

وللبحث مجال في أدلة الجميع. وصاحبك الذي يقول: إن الدليل على كفره قطعي، لعله لا يفهم معنى قطعي، والله تعالى يخبر عنه أنه آمن عند خروج روحه، أو عند معاينته الهلاك، وعاتبه الله على ذلك؛ إذ تأخر بإيمانه إلى ذلك الحين. ولم يقل بعد ذلك: إنه لم يقبل إيمانه، فأين الدليل القطعي الذي خرقه الشيخ رضي الله عنه ؟! ثم ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦]، ولم يقل فرعون، وما الداعي إلى ذلك التأويل الذي يذكره المفسرون، فالمسألة اجتهادية لا قطع فيها أصلاً.

وأنا قرأت رسالة البرزنجي بمصر سنة إحدى وخمسين أي منذ ثلاث وعشرين سنة، ولم يبق بذهني من أدلته شيء، إلا أنه أجاد وأفاد، على أن العارف الشعراني يقول: إن الشيخ الأكبر يتكلم على فرعون آخر غير فرعون موسى، ولكنه اعتذار ظاهر الضعف.

---

(١) اسمه كاملاً "الرد المتين على متنقص العارف محيي الدين"، وقد أشار عبد القادر عطافي كتابه "التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي" ص(١٢١) إلى نسخه الخطية. (الناشر).

والفتوحات والفصوص مشحونة بالمعارف الإلهية، التي عجز أن يأتي بمثلها كبار العارفين، لا بالطامات، نعم هي طامات على الجهلة؛ لأنها سبب في هلاكهم ووقوعهم في محاربة الله تعالى، بمحاربة أوليائه.

والشيخ الأكبر لا يوجد له حرف واحد في الحلول، ومحال عقلاً أن يدعي الحلول، وهو ينكر وجود غير الله معه مطلقاً، ففي من يحل ولا وجود لغيره معه عنده، وهذه الكائنات كلها في قوله، أوهام لا حقيقة لها.

والخوض في هذا الباب صعب على أمثاله، فإما أن يؤمن بكلام أهل الله، وإما أن يُسَلِّم، وإلا فالهلاك المحقق».

قلت: أتيت بنص كلام أبي الفيض كله، لتقف على مدى غلوه في ضلاله، وتشبعه بكلام إمامه الذي كان أمة وحده في الإلحاد في دين الله والكيد له، والتلاعب بتعاليمه، الشيء الذي حدا بالمستشرق الإسباني (آسين بلاثيوس) بعد أن ترجم كلام ابن العربي إلى تسميته: "إسلام في ثوب نصراني". وتأمل إرهاب أبي الفيض لمن يرد على أوليائه؛ بالهلاك المحقق، وما الهلاك المحقق إلا ما هم عليه، والعبث بآياته، وقد حذا أبو الفتوح حذو شيخه في التهديد والوعيد لمن ردّ عليهما، وحذّر من أفعالهما. وهنا تحركتْ القريحةُ المكلومة، فنظمتْ الساعة هذه الأبيات؛ غيرة على الحق، وذباً عن الإسلام، ورداً لكيد أعدائه، والله الموفق: [البسيط]

أبشر (أبا البيض) بالخسران والغضب
من ربك الواحدِ القهارِ، والعطب

قـد كـنت أطـريك مغترا ومنـدفـعا
بظـاهر الـحال مـخـدوعا بمنحـجب
فتُـبْتُ لـمـا رأيـت الكـفر منتـشرا
فـي كتـبك السـود مأخـوذا من العـجب
برئـت منـك ومـن أولـي الزوايـا فـهمْ
قبيـل إبلـيس مـن زور ومـن شـغب
فهـل مـن الـدين والتوحيـد معتقـد
يـوحي بـأن إلـه العـرش كالخـشب
أسـتغفر الله مـن قـول ملئـت بـه
رعبا وخفت مـصيرا بـاديَ الوصـب
والـرفض مـن فيـك يبـدو بالوقيعـة في
صحب الرسول قبيحا جالب الرهـب
أخـوك فرعـون مـسرور بـذبك عـن
إيمانـه يـا حليـف المـسخ والكـذب
والرقص والجذب والتـخريف ديدنكم
يا عـصبة الـشر والأحـلام والنـصب
والطبـل والزمـر والإنـشاد ديـنكم
أيعبـد الله بالأنغـام والطـرب؟

الفصل الثامن

قوله بتصرف الأولياء المطلق في الكون، وإيمانه بديوانهم، والقطبانية وأن القطب منهم يتصرف في ستة عشر ألف عالم، الدنيا والآخرة عالم واحد منها

هذا الفصل ينتظم أربع فواقر، بعضها أقبح من بعض، فأولها اعتقاد أبي الفيض بتصرف الأولياء في الكون، وقد تعرض لهذه الموبقة الأخ مصطفى السفياني في كتابه القنبلة العنقودية: "تنبيه القاري إلى فضائح أحمد بن الصديق الغماري"[1]، وأجاد في عرضها مع أمثلة لهذا التصرف المدَّعى. ومعلوم أن التصرف المعتاد طبيعي لبني آدم، لا بد منه لاستمرار الحياة، وتصرف الأولياء في الكون له مفهوم آخر غيبي تابع لاعتقادهم في القطبانية وديوان الأولياء، ومما لا شك فيه أن هذا الاعتقاد من البدع المدمرة للعقيدة

---

(١) تنبيه القاري ص(١٠٠).

الحق، فإنه لا يُعرف له ذِكْرٌ، ولم يكن خطر ببال أحد من المسلمين العامة، فضلاً عن أهل العلم والصلاح والولاية القرآنية؛ لأنه من الغرابة بمكان أن يكون مع الله شريك؛ يدبر أمر العالم، فيتصرف كيف شاء استقلالاً، فَيُفْقر ويُغْنِي، ويُمْرض ويُصح، ويُسعد ويُشقي، ويُولي ويَعزل، ودعك من قولهم تدليساً وتلبيساً: إن ذلك بأمره وإذنه، فبالله تَصَرُّفُهُم، لا بأنفسهم! وهذا لا مفهوم له؛ فإن كل ما يجري بقضاء الله وقدره وأمره، ثم إن هؤلاء المتصوفة غلوا في هذه المسألة غلوا بالغا، فلم يقصروا التصرف على أحيائهم؛ بل جعلوه لبعض أوليائهم الأموات، فعند المغاربة فقط أربعة أقطاب يتصرفون بعد الموت، منهم: إدريس، وأبو يعزى، وأذكر أن محمد بن جعفر الكتاني ذكر هؤلاء في كتابه الذي يُعد من مدونات الخرافة والضلال وهو "سلوة الأنفاس"، وكنت سألت الشيخ أبا الفيض عن هذه المسألة فأجاب بتاريخ (٣ شوال عام ١٣٧٢) من أزمور من كتاب ـ ومن الأصل الذي بخطه أنقل ـ ما نصه:

«أما مسألة تصرف الأولياء في الكون فيحتاج الجواب عنها إلى طول، وعجيب جداً أن تُسمِّي من يعتقد التصرف شركاً؛ حبيباً لك، مع أن **المشرك حقاً هو من لم يؤمن بالتصرف الذي هو لب الشريعة، وروحها، وبه بعث الأنبياء والمرسلون**، فدعه على شركه حتى يكون عندنا فراغ، فنملي عليك ما يفتح الله به».

وعاد الشيخ فأملى عليَّ في كتاب ثان في نفس الشهر مما فتح به عليه

الشيطان، وفيه طول مُمِلٌّ ومغالطة ظاهرة، وتعمد الغموض واللبس، فتحدث أولاً بأن التصرف كله دقيقه وجليله: بالله ومن الله، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الإنسان:٣٠]، ثم تحدث عن الملائكة والجن والروح، وما أُعطوا من النفوذ في الكون، وأن الروح إذا قويت حصل التصرف بها، لا بالجسد، ومنه المعجزات والكرامات، وأشار الشيخ إلى حديث الولي، وفهمه فهماً يوائم مذهبه في الوحدة والتصرف، وفيه قوله ﷺ: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها»؛ كما في البخاري[1] وغيره، فمن كان الله سمعه، سَمِعَ كُلَّ شيء، ومن كان الله بصره، أبصر كُلَّ شيء، ومن كان الله يده التي يبطش بها قدر على كلّ شيء؛ لأنه ليس هو السامع، ولا المبصر، ولا المتصرف، بل الله تعالى، فإن مُنْكِرَ كراماتِ الأولياء وتصرّفهم، كمنكر وجود بغداد ومكة، حَقّه أن يُربط مع الدواب، ولابن بنت الميلق في قصيدته المعروفة: [البسيط]

به تصرفهم في الكائنات فما ... يشاء شاؤوا وما شاؤوه يقضيه

وهكذا لبّس الشيخ ودلّس، وأوهم ما ليس بمراد، وهو يعرف ما يقصده المتصوفة بالتصرف، ولكنه خلطه بوحدة الوجود والمعجزات والكرامات إلخ؛ مِمَّا لا معنى له هنا، والزج بالكرامات هنا مقصود للمغالطة، وإلا فنحن بحمد الله من أهل السنة والجماعة نؤمن بمبدأ

---

(١) صحيح البخاري (٦٠٢١).

الكرامات إيماناً جازما، ونعتقد أنه لا يسع مسلماً إنكارها؛ وقد أثبتها الله في كتابه، وتواترت بها الأحاديث والآثار، إلا أننا غير ملزمين بالخرافات التي تمتلئ بها كتب الصوفية، وتروج أكثر ما تروج في بيئتهم الموبوءة، وزواياهم التي هي مراكز البدعة والضلال، فلا نؤمن، بل نكفر ونحذر بقوة مما تضمنه "طبقات الشعراني"، و"جامع كرامات الأولياء" للنبهاني، و"روض الرياحين" لليافعي وأمثالها، فمعظمها أكاذيب وترهات، وأساطير وخزعبلات، لا يسلم منها على النقد إلا القليل، وقد تصدى الأخ الفاضل عبد الرقيب الإبي اليمني فجمع مجلدا مباركا سماه: "كرامات الأولياء" اقتصر فيه على ما صح سنده مما يحكى ويروى عن الصحابة فمَنْ بعدهم، من أهل العصور المشهود لها بالخير، وهو يورد الأخبار بأسانيدها ويعقبها بالنقد العلمي النزيه، فيقرأها المؤمن مطمئناً، ويزداد بها إيماناً بما يرى من إكرام الله لعباده الصالحين المتقين، بنحو إجابة الدعاء، أو شفاء عاجل، أو دفع صائل، أو بركة في متجر، أو تسهيل عسر، أو تيسير مطلوب بعيد المنال، أو تدمير ظالم معتد، هذه الكرامات لا تخرج عن هذا الشكل، فلم نر فيها لا طيراناً في الهواء، ولا مشياً على الماء، ولا طيّ طريق، ونحو هذا من الغرائب التي لم ترو عن سيد الخلق في هجرته، وما لقي من أذى قومه، ولا عن الخلفاء الراشدين، والصحابة المهتدين، وإنما يحكى عمن هب ودب من المجانين والحمقى والجهلة، وفيها ما يستحيى من سرده، مما لا حاجة إلى ذكره.

وأما ديوان الأولياء أو (برلمانهم) الذي يُعقد بغار حراء بمكة كل سنة،

يحضره الأولياء ويجلسون على مراتبهم تحت رئاسة القطب، ويتداولون في شؤون العالم وينقضون ويبرمون، وأحسب أن هذا التخريف إنما صدر أولاً من المغرب ومن فاس بالخصوص، وعلى يد عبد العزيز الدباغ الذي حكى عنه تلميذه أحمد بن مبارك اللمطي تفاصيل ذلك ـ المثيرة ـ في كتابه ذائع الصيت "الإبريز"[١]، علاوةً على غرائب وعجائب، جعلتْ بعض معاصريه يشككون في ذلك، لانفراده بصحبة ذلك الأبله، وحكاية تلك الخرافات عنه. والمقصود التنبيه على أن مثل هذه البدع الضارة بالدين والدنيا لا علاقة لها بالولاية الحق، ولا بالإسلام الصحيح، والشيخ أبو الفيض حكى ذلك في بعض رسائله بصيغة المسلم الواثق الجازم.

والقطبانية درجة في ترتيب الجندية الصوفية، وهي نهاية الترتيب، وربما سُمّيت الغوثانية، ولم أعرف منشأ هذا النظام العسكري الباطني، إلا أني قرأت لبعض الباحثين، أنه مأخوذ من الباطنية الإسماعيلية، وهذا غير بعيد؛ لأنه لا يعرف في الإسلام مثله أبداً، وقد ألف السيوطي رحمه الله ـ وهو مخرِّف كبير، وجاهل بالتصوف، كما نعته أبو الفيض في "الجؤنة"[٢] ـ رسالةً طُبعت قديماً بمصر بتحقيق شقيق أبي الفيض عبد الله سماها: "الخبر الدال، على وجود القطب والأوتاد والأبدال" قرأتها منذ أربعين سنة، فلم أجد بها حديثاً أو أثراً عن القطب والأوتاد، إنما ذكر أحاديث عن الأبدال، معلوم

---

(١) انظر: الإبريز: الباب الرابع في ذكر ديوان الصالحين ص(٣٢٦).

(٢) جؤنة العطار (٣/ ١٧٥).

عند نقاد الحديث أنها مُعَلَّة لا يصح منها شيء[١]، وعلى فرض صحتها استئناساً باستعمال العلماء قديماً للقب الأبدال، إلا أن مفهومهم له مختلف، فهم يقولون بأنه إذا توفي أحد الأبدال، أَظهَرَ الله مكانه خَلَفَه، **والصوفية يقولون بأن البدل له أربعون صورةً حسية، يوجد في مكان ووقت واحد بتلك الصور كلها.** ويسمى هذا تَطوّر الولي، وقد ألف السيوطي كذلك رسالتين[٢] في تأييد هذه الأفكوهة التي لا توجد إلا في مخيلة الصوفية.

وللشيخ أبي الفيض عناية بهذا التطور بل التمثيل السينمائي، وقد ذكر في رسالة منه إلى أبي الفتوح بتاريخ (١١ جمادى ٢ عام ١٣٧٧) اشتملت على غرائب، منها أنه كان بالمدينة المنورة، وزار القبر الشريف، ورأى في منامٍ القبرِ مكشوفاً، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم راقد فيه ووجهه مغطى، قال: فلما وقفتُ كشف الغطاء عن وجهه الشريف، ونظر إليّ ومد يده الشريفة، فصرت أقبلها وأبكي وأقول: يا رسول الله أدع الله أن يغفر لي، فقال لي: أنت مغفور لك، قل: «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أُغلق، والخاتم لما سبق»، فعلمت أن شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم قد حصلت، ففتح الله به ما كان أغلق، وختم به ما كان سبق من الجلال والامتحان إن شاء الله تعالى، ولما كان في تلك الليلة، زارنا شريف صالح مجذوب فلما جلس قال لي:

---

(١) انظر: السلسلة الضعيفة للألباني (٩٣٥)، (٩٣٦)، (٢٤٩٨)، (٢٦٨١)، (٣٩٩٣).

(٢) هما: "المعتلي في تعدد صور الولي"، و"المنجلي في تطور الولي"، والثانية مطبوعة ضمن الحاوي للفتاوي.

هذه مدة وأنا أحب زيارتك، اِعلم أن القطب هو مثل قطب الرحى عليه تدور الرحى، ولا بد أن يحصل له أولاً المحنة والجلال، ثم بعد ذلك يسجد له الجميع سجوداً معنوياً، كما حصل ليوسف عليه السلام، حيث سجد له إخوته سجوداً حسياً، ولكنه نُسخ في شريعتنا السجودُ الحسيُّ وبقي المعنويُّ، ثم قال لنا: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاضر معنا في البيت، وكان ذلك بعد العشاء بكثير، فلما نمنا رأيناه صلى الله عليه وآله وسلم، وفي اليوم الثاني وجدته جالساً بقهوة مع الأخ سيدي عبد الله، فذكرت له الرؤيا فقال: ألم أقل لك إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان حاضراً معنا!

قلت: ولا يخفى ما تشير إليه هذه الرؤيا والحكاية من أن أبا الفيض أدرك القطبانية التي فخم شأنها جداً، وذكر من أحوال القطب ونفوذه، أنه يتصرف في ستة عشر ألف عالم: الدنيا والآخرة واحد منها، وقد أثبتها لجده ونفاها عن الحراق[1]، ونشير إلى أن ما تضمنته الرؤيا السابقة من نهاية التجلي؛ لم يحصل، وإنما حصل العكس من ترادف الفتن والمصائب.

---

(١) انظر: الجواب المفيد ص(٦١).

الفصل التاسع

قوله بإحياء الأولياء للموتى، وتصرفه في ذلك بالهوى، فآمن ببعض وكفر ببعض، والدعوى واحدة

هذه الفاقرة قديمةٌ، حُكيت عن عدد من أولياء العجم بدون إسناد، ومعلوم أن هذا لا يتفق وتعاليم الإسلام وتاريخه الصحيح، ولا يعرف في سير الأنبياء والمرسلين حتى سيدهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إلا عن عيسى روح الله وكلمته، فإن الله أعطاه هذه المعجزة وخصَّه بها فقال تعالى على لسانه عليه السلام: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٤٩]، وقد ذُكر هذا في الإنجيل مرة أو مرتين، وما ورد أن الله تعالى أحيى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أبويه فآمنا به، موضوع[1].

---

(١) انظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص(١٥١).

والمسلمون مطبقون منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن إحياء الموتى خاص بالله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾[يس:١٢]، ﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾[يونس:٥٦]، ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[الملك:٢]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، ولما انتشر التصوف الفلسفي في العالم الإسلامي، ودخلت فيه العناصر الوثنية، وتعلق الناس بالكرامات، وغلوا فيها حتى ألف عبد الله بن أبي الدنيا جزء "من عاش بعد الموت"، وهو مطبوع، وتلقف من جاء بعده ممن لهم مزيد عناية بالخرافات كالسيوطي والشعراني، والنبهاني، وأبي الفيض وغيرهم، وزادوا في ذلك ما شاء لهم هواهم، وإذا صح شيء من هذه الحكايات فتعليله واضح، وهو إما أن يكون من تلبيس الشيطان عليهم، أو من باب السيميا، وهو من فروع علم السحر، وغايته: أن يخيل للرائي أن الباطل حقاً؛ فيرى الميت يتحرك، ويتكلم، ونحو ذلك، وكان الفقيه عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الفهري[1] صاحب (العمل الفاسي) ممن يتقن ذلك، كما ذُكر في ترجمته، وربما يتفق في بعض الناس أن يصاب بسكتة أو غيبوبة، قد تدوم أياماً وشهوراً ولا يعرف حاله، ولم يكن يومئذ ظهر من الوسائل العلمية ما يعرف الواقع، فيحسب أن المرء مات، وهو حي، وقد قيل عن بديع الزمان الهمذاني أنه أصيب بغيبوبة طالت فدفن وهو حي، ثم أفاق وهو في القبر، فأخذ يصيح فسمعه بعض المارة وأبلغ عنه فكشف عنه فوجد قد مات، وقد خرق

(١) المتوفى سنة ١٠٩٦هـ، وترجمته في "الأعلام" (٣/ ٣١٠)، وغيرها.

كفنه وهو قابض على لحيته.

وموقف أبي الفيض من هذه الفاقرة أنه تبناها بعنف، وغلا فيها غلواً مضحكا، فلنستمع إليه يقول في جؤنة العطار[١] من مخطوطتي بخطي: فائدة:

«جوز علماء الكلام كل ما كان معجزة لنبي أن يكون كرامةً لولي، ثم استثنوا من ذلك إحياء الميت، فزعموا أنه لا يجوز أن يُوجَد من ولي، والعجيب أن القشيري ـ وهو من الصوفية ـ وافقهم على ذلك في رسالته، وهو باطل لوجهين، أحدهما: أنه لا دليل عليه، وثانيهما: أنه ثبت عن جماعة من الأولياء ثبوتاً لا شك فيه، أنهم أحيوا الأموات، منهم القطب الجيلاني، والقطب أبو بكر العيدروس دفين عدن رضي الله عنهما، وذلك معروف في ترجمتيهما[٢]، وقد كان للثاني هرة يحبها كثيراً، وأظن اسمها مرجانة، فضربها خادمه يوما ضربة قتلتها، ثم رماها على مزبلة، فبعد ثلاثة أيام سأله الشيخ عن الهرة، فقال له: ماتت يا سيدي، فقال له الشيخ: ماتت؟ كالمُنكر، ثم دعاها (يا مرجانة) فأقبلت تسعى إليه، ورجعت إلى ما كانت عليه. ومات ابن لامرأة فأقسمت هي أو غيرها عليه في إحيائها، فدعا الله فعاش مدة بعد ذلك، وقال للمقسم: لا تعد. والقصة أطول من هذا، فلتراجع في ترجمته، وكم لهذا من نظير، فلا تلتفت إلى ما يذكره المتكلمون، فهي غلطة تصدر من

---

(١) جؤنة العطار (١/ ٢١).

(٢) وهذا وجه ثبوتها عند أبي الفيض.

أولهم فيتابعه عليها باقيهم، بدون تأمل في القول، ولا نظر في الدليل، فإن صدور الخارق على يد العبد ليس هو من فعله، إنما هو خلق الله تعالى وقدرته وإيجاده عند تعلق همة الولي بوجود الشيء، وقدرة الله تعالى تتعلق بكل ممكن، فلا فرق بين أن يقلب له التراب ذهباً، أو يحمله على الهواء، فيطير، أو على الماء؛ فيمشي عليه، أو يشفى له مريض، أو يحي له الميت، فكل ذلك بالنظر إلى ذات العبد، خارج عن قدرته وكسبه في العادة، وداخل تحت قدرة الله تعالى، فما الذي يجيز الأول على الله تعالى أن يجريه على يد ولي من أوليائه، ويمنعه أن لا يجري على يديه الثاني؟! بل جائز عقلاً وشرعاً وعادةً أن يدعو مطلق المؤمنين اللهَ تعالى بإحياء ميت، فيصادف منه تعالى قبولاً وإجابةً؛ فيحييه له. وما صدور ذلك من الولي إلا من قبيل إجابة الدعاء)).

وقال أبو الفيض في "البرهان الجلي" نقلا عن السيوطي ـ وهو مصدر الخرافات في هذا الباب ـ قال: ((روينا من وجوه حسنة كثيرة!! أن الولي السيد الشهير كفاية الله الحسني الحبشي، مات ودفن بحيدر آباد ـ قاعدة مملكة الدكن ـ ثم ظهر حياً بلكنو قاعدة مملكة (أوده)، فبينا هو يقرأ القرآن يوماً، إذ مَرَّ عليه رجل من التجار كان قد شهد دفنه بالدّكن، فوقف متعجباً من أمره، فلما فرغ الشيخ من قراءته، قال له: ما ترى؟ قال: شهدتُك بالدكن إذْ مت ودُفنت. قال: نعم، ولكنني أحببت أن أكون أياماً في الدنيا، فظهرتُ هنا؟! قال: فأنا أموت هنا بعد زمان، ثم أظهر بالصين إن شاء الله تعالى، ولا تكون لي حينئذ أنملة الخنصر من يدي؟ فمات ثمّة بعد زمان، ولقيه الرجل بعد مدة

بالصين، فكان كما قال، وهذه القصة مشهورة ببلاده»[١].

ثم ذكر أبو الفيض خرافة أخرى في نفس الكتاب[٢]، أغرب من هذه وأعرق في الكذب والخيال، عن المسمى (الحليق التركي)، ولم أذكرها لطولها، ووجدتُ على طرة النسخة بخطي: «رحم الله الإمام الشافعي الذي قال عن الصوفية: من خالطهم من الصباح إلى الظهر أنكر عقله».

ووجدت أيضا بخطي على هامش القصة السابقة في "الجؤنة" على قول أبي الفيض: "وما صدر ذلك من الولي إلا من قبيل إجابة الدعاء" ما نصه: هذه شبهة داحضة، والأحكام والحقائق لا تؤخذ هكذا، وقدرة الله صالحة لكل شيء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١] ولكنه أَخبَرَنَا أنه وحده الذي يحيي ويميت، وأنه المنفرد بإنفاذ كل ما لا يدخل تحت قدرة العبد واستطاعته التي منحه الله إياها، فمن زعم أنه يستطيع هذا، وأحال على القدرة: فهو دجال ملبس، وأذكر أنني سألت الشيخ عما يحكى عن الجيلاني أنه أحيى الموتى، وعن عم جده لأمه عبد القادر ابن عجيبة: أنه أحيى زوجته، وهذا يحكيه الناس كثيراً، وسمعته أنا من أحفاد الشيخ وأقاربه، فاستنكره أبو الفيض واستهزأ بمعتقِدِهِ وقال في عبد القادر ابن عجيبة قولاً شديداً[٣]، وعندي جوابه بخطه.

---

(١) البرهان الجلي ص(١٦٦).

(٢) البرهان الجلي ص(١٦٧).

(٣) انظر الجواب المفيد ص(٦٢).

وقد ذكر في كتابه "البرهان الجلي" نحو ثلاث حكايات في إحياء الأولياء للموتى، فاعجب كيف تفعل الزاوية بعقول أهلها، نسأل الله السلامة والعافية.

قلت: وما الذي جعل العيدروسي، وكفاية الله الحبشي، ومحمد حليق التركي، يحيون الموتى، وعبد القادر ابن عجيبة لا يفعل؟ إنه الهوى والعنصرية كما يقال. والدعوى واحدة والكذب متشابه، ثم السؤال الذي يطرح نفسه الآن على حد تعبير الناس اليوم: إن هذا لو كان ممكناً، لأعطاه اللهُ تعالى خيرَ خلقه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، وقد مات أبواه واختاره الله نبياً ورسولاً فلماذا لم يحييهما حتى يؤمنا به، وماتا على الشرك، وقد استأذن ﷺ ربه أن يستغفر لأمه فلم يأذن له، وأذن له بالزيارة فبكى وأبكى رحمةً لها[1]، وكذلك حصل مع عمه أبي طالب الذي كان يحبه وينصره، وهكذا وهلم جراً إلى إدريس الأول، الذي مات مسموماً، ولم يستطع دفع الشماخ عن نفسه، وهذا الشيخ عبد السلام بن مشيش، وهو وجده الأعلى إدريس قطبان بالإجماع، والقطب يتصرف في الدنيا والآخرة!! وهو ممن أُعطوا التصرف في الحياة بعد الممات، ولم يستطع هذا دفع ابن أبي الطواجين عن نفسه حتى ذبحه، بل هذا جد أبي الفيض الحاج أحمد بن عبد المؤمن الذي شهد له أبو الفيض بالقطبانية، ومنعها عن

---

(١) رواه مسلم (٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي الباب عن غيره أيضاً، وانظر: "الدر المنثور" (٤/ ٣٠٢)، و"تفسير ابن كثير" (٢/ ٣٩٤-٣٩٥).

الحراق، والأقطاب يعرف بعضهم بعضا! وقد أشار أبو الفيض إلى إدراكه درجة القطبانية، وأكثر في ذلك من الرؤى والمنامات التي لم يتحقق له منها شيء، إلا ما كان من المحن والأمراض، والعجب أنه كان شديد التعلق بهذه المنامات والمبشرات التي كان يتلقاها من البهاليل، ثم اعتمد حساب الكهان، وسرّ سروراً بالغاً بالفرج، خصوصاً بعد أن قلب له العسكر ظهر المجن، وعلم أنه كان يعيش معهم في سراب خادع، وبعد أن قبض على شقيقه عبد الله، فكتب إلى أبي الفتوح يقول: «إنه يعيش في ضيق عظيم، وأنه يتمنى أن تتاح له فرصة الرجوع إلى المغرب، فإذا وجدها؛ لم يمكث بمصر لحظة، وقد حدد له بعض الكهنة أن موعد الفرج العام، يكون سنة ٧٩ إلى ٨٠، جزماً».

والغريب أنه توفي سنة ١٣٨٠، فقامت قيامته، وانتهى أمره، وتوالت البلايا والمحن على الإسلام وأهله بعد ذلك،ولا تزال تتوالي إلى ساعتنا هذه ـ نسأل الله كشفها ـ.

والمقصود: التنبيه على هذه العقائد الصوفية المدمرة الغرارة، ومنها إحياء الموتى التي آمن بها أبو الفيض، ورد على المتكلمين الذين أخرجوها من كليتهم العوجاء: «**كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي**»، وفات أن موسى عليه السلام شق له الله في البحر طريقاً يبساً بضربه بعصاه، وسليمان جيء له بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين، وصالح أخرج الله له ناقة من الصخر، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم عُرج به إلى

السماوات في لحظات، وغير ذلك من المعجزات، فهل لأولياء أبي الفيض مثل هذه المعجزات، إذا كانت، فلماذا لم تُنْقَلْ؟ وأرددُ هنا كلمةَ الشافعي رحمه الله: «**إذا صاحب المرء الصوفيةَ من الصباح للظهر؛ أنكر عقله**».

الفصل العاشر

اعتقاده حضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذاته في كل زمان ومكان، وادعاؤه أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم الغيب كله حتى الخمس التي لا يعلمهن إلا الله

هذا الفصل يتضمن مصيبتين: اعتقاد حضوره صلى الله عليه وآله وسلم بذاته ونفسه في كل زمان ومكان، وادعاؤه أنه صلى الله عليه وآله وسلم يعلم الغيب كله.

وهاتان الفاقرتان تخالفان الإسلام؛ دينَ المسلمين، وتصادمان عقيدته وتعاليمه، وتزيد الأولى: أنها تنافي العقل والعادة، وأبو الفيض كان يعتقد هذا من شبابه واستمر عليه إلى وفاته، نسأل الله السلامة.

وقد حدثني صهري ـ وهو ابن عمة أبي الفيض ـ محمد بن عبد الصمد التجكاني، أنه كان معه في الحج، وحضر معه مذاكرة مع لفيف من الطلبة

والصوفية، فأفضى الكلام إلى فضائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخصائصه، فصرح لهم أبو الفيض، وهم في المسجد النبوي، أنه عليه الصلاة والسلام موجود بذاته ونفسه في كل زمان ومكان، وأنهما لا يخلوان منه، قال التجكاني: فناقشته طويلاً وأنا أشير إلى القبر المقدس، قائلاً: من هناك، أليس ذاك قبره عليه الصلاة والسلام؟! فأجاب أبو الفيض: نعم، وهو نفسه هنا بذاته؛ وفي كل مكان وزمان، ومن هنا كان أبو العباس المرسي يقول: لو حُجب عني رسول الله طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين[1]، ولا يعني أبو العباس ذكره وحضوره القلبي، ولكنه الحضور الذاتي، ومن هناك جاءت رؤية الأولياء له عليه الصلاة والسلام يقظةً ومناماً، وكل وقت، واستمر في هذا الكلام وأبى أن يرجع عنه، وأراد أن يوضحه دون جدوى؛ لأنه يصعب تصوره وفهمه.

وقد سبق أن أشرتُ إلى أن أبا الفيض نسخ بخطه رسالةً في الموضوع، لنور الدين الحلبي، ما زالت موجودة بين كتبه المخطوطة بخزانة تطوان العمومية، ثم رأيتُها مطبوعةً في كراسة صغيرة بمصر، بعنوان "محمد" صلى الله عليه وآله وسلم، واسمها الأصلي: "تعريف أهل الإيمان، بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم موجود في كل زمان ومكان"، فهذه الرسالة المشؤومة عليه، هي المسؤولة عن تضليله، وجعله يعتقد ما يصادم معتقد المسلمين،

---

(١) انظر: "روح المعاني" للألوسي (١٢/ ٣٦)، وعزاه إلى كتاب "لطائف المنن" لابن عطاء الله السكندري. (الناشر).

وقد كان في حِلٍّ من هذا لو أراد الله به خيراً، واستقام على الطريقة الحق.

وقد قال في رسالة لأبي الفتوح دون تاريخ ولكنها مما كتبه قبيل وفاته، وصورتها تحت يدي بخطه: ((وجوده صلى الله عليه وآله وسلم في كل مكان، بل هو الكون كله))، وقد سبق نقله في فصل نقد وحدة الوجود.

وقال في رسالة أخرى له: ((وقولي لك في الرؤيا: كل ما ترى فهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو حق، وهو قولي في اليقظة ولا بد، فهي رؤيا حق صادقة)).

وواضح من كلمته العوراء هذه أن الهدف من وجوده صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه في كل مكان، التدرج إلى أنه هو الله؛ والكون كله هو الله تعالى ربنا عن هوس المجرمين الملاحدة علواً كبيراً.

وأما **المصيبة الثانية**، وهي أعظم من الأولى وأعرق في الكفر والضلال، فهي اعتقاد أبي الفيض وقبيله: أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعلم الغيب كله، حتى الخمس التي لا يعلمها إلا الله، كما ورد عنه في الصحيح[1]: «...في خمس لا يعلمهن إلا الله: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث...».

ولم يكتف أبو الفيض بهذا، بل زعم أن الأولياء كذلك يعلمون الغيب! وهذا من لوازم عقيدة وحدة الوجود جزماً، فمن اعتقد أنه الله، بل وَأَقْسَمَ على ذلك، كما قال الحراق: [مجزوء الرمل]

فانظروني تبصروه إنـــه والله أنـــي

---

(١) صحيح البخاري (٤٤٠٤).

لم يشذ عن علمه شيء، وتلقف هذا البلاء جميعه شقيقه أبو العسر فقرره بمنتهى الجرأة والوقاحة في مُقَدِّمَةِ ما سَمَّاه "الأربعون العزيزية" في الطبعة الأولى، وحذف تلك المقدمة في الطبعة التالية. وفي رسالة له إلى أبي الفتوح رقم(٨٥)، يقول: «والأحاديث التي وقفت عليها في نفي علم الغيب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، معناها: نفي ذلك عنه صلى الله عليه وآله وسلم بذاته، بخلاف إطلاع الله تعالى إياه على ما شاء من غيبه ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[الجن:٢٧]، وهو أفضل مرتضى على الإطلاق صلى الله عليه وآله وسلم، فإن كانت هناك جزئية بعينها، فالجواب: أنه صلى الله عليه وآله وسلم نفى اطْلاَعَه عليها، قبل أن يُطْلِعَه اللهُ تعالى في آخر عمره، [أطلعهم الله] على كل شيء، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «والله إني لا أعلم الغيب إلا ما علمني ربي»، وكيف تقبل تلك الأحاديث - إن صحت - على ظاهرها، ونحن نشاهد آلاف المسائل من المغيبات التي أخبر بها في حياته، أو ما ظهر بعد انتقاله، من عهد الصحابة إلى اليوم، وإلى قيام الساعة، وفي "طباق الحال الحاضرة" - وهي قطرة من بحر - كفاية، فكيف بما سبق من المغيبات التي أخبر بها صلى الله عليه وآله وسلم..»[1].

قلت: "طباق الحال الحاضرة" هو الاسم الأول لكتابه "مطابقة الاختراعات العصرية" الذي طبع بعد تعديله، ولا أدري كيف يفعل

---

(١) إما أن يكون ما بين المعكوفين جملة مقحم، أو أن يكون في الكلام سقط! والرسالة في "در العمام الرقيق" ص(١١١-١١٢) ببعض اختلاف، والظاهر أنه من قِبَل التليدي.

أبو الفيض ـ بعد أن حط من شأن الأحاديث الواردة في نفي علم الغيب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي في الصحيح ـ بالآيات العديدة الواردة في كتاب الله تعالى في الموضوع، وهي في منتهى البيان والصراحة كقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[النمل:٦٥]، وأبو الفيض يعلم ما قال علماء البلاغة والأصول في الاستثناء المسبوق بالنفي، وأنه يفيد الحصر، وقوله عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾[الأنعام:٥٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾[الأعراف:١٨٨]، وقوله عز وجل: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[الجن:٢٦-٢٧]، إلى غير ذلك من الآيات البينات، ومثلها من عشرات الأحاديث النبويات، ومن أقربها وأصحها قوله صلى الله عليه وآله وسلم للجارية التي تغني بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتقول: وفينا نبي يعلم ما في غد، فنهرها صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: «دعي هذا وقولي ما كنت تقولين»[(١)].

ولا يخفى ما في قول أبي الفيض: «..ونحن نشاهد آلاف المسائل من المغيبات»، من المبالغة أو الكذب، ولعل ما صح من ذلك لا يبلغ المائة، ثم إن احتجاج أبي الفيض بآية ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[الجن:٢٧]، لا يفيد اختصاص النبي بذلك، وتمسك أبي الفيض بأن علم الغيب المدَّعَى ليس

(١) رواه البخاري ص(٣٧٠٠).

استقلالاً ذاتياً، بل باطلاع الله نبيه عليه؛ مغالطة، ثم هو ليس خاصاً به عليه السلام؛ بل هو في كل رسول؛ بالقيد المذكور في الآية، وقد سبق أن نبهتُ في فصل (تصرف الأولياء في الكون)، على أن صنيع أبي الفيض وأمثاله من غلاة المبتدعة أن يتملصوا من فظاعة الأمر بادعاء أنه بإذن الله وأمره، متناسين بأن علم الله وقضائه وقدره عام في كل شيء، وهذا من قواعد الإيمان، والتوفيق بيد الله، فسبحان من أعمى بصائر هؤلاء القوم، وحال بينهم وبين قلوبهم، حتى تركوا المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ووقعوا في بُنَيّات الطرق، نسأل الله العافية؛ أن يختم لنا بالحسنى.

الفصل الحادي عشر

قوله بالتصوف الباطني الفلسفي، واعتقاده أنه التصوف الحق، وأن معظم الصوفية لم يشموا له رائحة؛ لأنه لا يُدْرَكُ إلا بالذوق، وغايته: وحدة الوجود، مع جزمه بأن من لا يعتقدها؛ فلا إيمان له

كتب أبو الفيض إليَّ مراراً يقول بأن التصوف نوعان: تصوف سُنِّيٌّ أخلاقي، وهو ما عليه معظم الصوفية، ولكن التصوف الحق هو التصوف الباطني الذي لا تعلق له بالعمل والسلوك؛ بل هو عناية ربانية، وجذب إلهي، وأصحابه لا يكونون مقلدين أبداً؛ لأنهم يأخذون عن الله مباشرة، ولا يكون القطب إلا منهم، والقطبانية درجة في غاية السمو، وأشار إليها قائلهم، وهو ابن العربي الحاتمي المرسي: [المتقارب]

مقام النبوة في برزخ فُوَيْقَ الرسول ودون الولي[1]

---

(١) لطائف الأسرار لابن العربي ص(٤٩).

وسمعت أبا الفيض يقول وقد كتب به إليَّ: أن الإمام شمس الدين السخاوي، تلميذ الحافظ ابن حجر ألَّف كتاباً في مجلد ضخم سماه: "القول المنبي، بترجمة ابن العربي"، [والكتاب مخطوط، وتحت اليد صورة منه، وهو قيد التحقيق، فقد أنجزه الأخ الباحث المغربي خالد مدرك البيضاوي منذ سنوات] أورد فيه تراجم مختصرةً لنحو مائة وأربعين عالماً وإماماً وشيخاً صوفياً؛ يورد في كل ترجمةٍ فتوى في تكفير ابن العربي، أو تفسيقه، مع ذكر الدليل على ذلك من كلامه، وفيهم كثير من شيوخ الزوايا، ورؤساء الصوفية، بمصر، والشام، واليمن، والمغرب، قال الشيخ أبو الفيض: هؤلاء كلهم لم يعرفوا التصوف، وما شموا له رائحة على حد تعبيره[١]، وأذكر أنه نقل في كتابه "المؤذن، بأخبار الشيخ أحمد بن عبد المؤمن" ـ وهو مخطوط وأصله بخط المؤلف بالخزانة العامة بالرباط[٢] ـ كلاماً عن ابن عبد السلام الناصري في كتابه "المزايا، فيما أُحدث من البدع بأم الزوايا" ـ وقد طبع الكتاب بالرباط مؤخراً ـ كلاماً قبيحاً حول علي العمراني، الملقب بالجمل، وهو شيخ العربي الدرقاوي، وما كان يقوم به هو وأصحابه من أمور مستنكرة، وأحوال مستقذرة، بمدينة فاس، حتى كان بعض شيوخه ـ أعني الناصري ـ يستعيذ بالله من رؤيته[٣]، وبعد أن ذكر أبو الفيض هذا تعقَّبه بِرَدٍّ قاسٍ، صَرَّح فيه بأن تلك الأحوال التي لم يستسيغها ذوق الناصري، هي

---

(١) وانظر ما قاله في جؤنة العطار (٣/ ٢٤١).

(٢) تحت رقم (١٧٨٦).

(٣) انظر المزايا ص(١٣٧).

أحوال أهل الله حقاً، وأن الجمل وأصحابه هم الأولياء، أما الناصري وقبيله؛ فبعيدون عن الولاية، في كلام من هذا القبيل[١]، وأبو الفيض يعني ما يقول ويؤكده، ويتبنى كل ما ذكره إمامه الأكفر ابن العربي، في فتوحاته وفصوصه، اللذيْن جمعا من ألوان الكفر والإلحاد ما تَفَرَّقَ في غيرهما، ولله در الإمام جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري المصري صاحب المؤلفات السائرة في النحو، كالمغني، وأوضح المسالك، وقطر الندى، وشذور الذهب، الذي كتب على نسخة من "الفصوص" بعد قراءته: [مجزوء الكامل]

هـذا الـذي بضلالـهِ ضلّتْ أوائل مَعْ أواخرْ
مـن ظـنّ فـيه غيـر ذا فَلْيَـنْأَ عَنِّي فَهْـوَ كـافِرْ

وابن العربي يصرح بأن الأديان كلها صحيحة مقبولة، وأنه يدين بها، وأن أصحابها لا يعبدون إلا الله، وهو بهذا سبق دعاة توحيد الأديان، أو وحدة الأديان بمئات السنين. ومن غريب المفارقات أن أبا الفيض ينقم على عدد من المعاصرين دعوتهم إلى توحيد الأديان الثلاثة: اليهودية، والنصرانية، والإسلام، في وضعها الحالي، باعتبارها أديان توحيد في الأصل، وإلى هذا ينحو الآن معظم الدعاة الإسلاميين، الداعين إلى التعايش السلمي، وكان من الواجب على أبي الفيض أن يؤيدهم ويدعو إلى ما يميلون إليه، وكيف لا وإمامه ابن العربي يرفع عقيرته بالأبيات السائرة كما في ديوانه[٢]: [الطويل]

---

(١) انظر المؤذن ص(٦٠-٦١).

(٢) ذخائر الأعلاق ص (٣٩).

لَقَد كُنتُ قَبلَ اليَومِ أنكِرُ صاحِبِي إذا لَم يَكُن ديني إلى دينِهِ داني
وَقَد صارَ قَلبي قابِلاً كُلَّ صورَةٍ فَمَرعًى لِغِزلانٍ وَدَيرٌ لِرُهبان
وَبَيتٌ لِأَوثانٍ وَكَعبَةُ طائِفٍ وَأَلواحُ تَوراةٍ وَمُصحَفُ قُرآنِ
أَدينُ بِدَينِ الحَقِّ أَنّى تَوَجَّهَتْ رَكائِبُهُ، فَالدِّينُ دِيني وَإيماني

وفي رواية:

أَدينُ بِدَينِ الحُبِّ أَنّى تَوَجَّهَتْ رَكائِبُهُ فَالحُبُّ دِيني وَإيماني

وقد ذكر السخاوي في "القول المنبي" أن الإجماع كاد ينعقد على تضليل ابن العربي والحكم بقتله، وأن الأمر كان على وشك التنفيذ لولا تدخل المجرمين من شيوخ الصوفية بمصر والشام ذوي المكانة عند أمراء الممالك الجهلة. وفي بعض الأحيان يتغلب الرشد والحق على الهوى فيقام حكم الردة على المرتدين، فينقبعون ويتواصون بالكتمان، وينسبون إلى الإمام علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم[1]، ولا يصح عنه، وإنما هو من قول كلثوم بن عمرو العتابي المتوفى سنة ٢٢٠هـ: [البسيط]

يا رُبَّ جَوهَرِ عِلمٍ لَو أَبوحُ بِهِ لِقيلَ لي أَنتَ مِمَّن يَعبدُ الوَثَنا
ولاسْتَحَلَّ رِجالٌ مُسلِمونَ دَمي يَرَونَ أَقبَحَ ما يَأتونَهُ حَسَنا

(١) انظر الكشكول للعاملي ص(٢٧٠).

الفصل الثاني عشر

شتمه لعدد (٦) من الصحابة على رأسهم معاوية، وقوله بردتهم، وردّه القول بعدالتهم رضي الله عنهم، ولعن مبغضهم

هذا الفصل أيضاً ينتظم ثلاث فواقر: ردّ القول بعدالتهم، وشتم عدد منهم، والحكم بردتهم ونفاقهم.

أما القول برد عدالتهم التي أجمع عليها المسلمون إلاّ الروافض، والخوارج، والغماريون، وهم صميم الروافض، وقد ذكر أبو الفيض في جؤنته: حديث «يلحد رجل بمكة يقال له عبد الله عليه نصف عذاب العالم»، وفي رواية لأحمد «يحلها بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله عليه نصف أوزار الناس»، وفي رواية لأحمد أيضا «يحلها بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله عليه نصف أوزار الناس»، وفي رواية لأحمد أيضا «يحلها ـ أي مكة ـ رجل من قريش لو وُزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها»، وقال: روي

من طرق متعددة صحيحة وحسنة[١]. والحق أنه لم يصح منها شيء، وهي بين ضعيف، ومنكر، ومنقطع[٢]. ثم أنزلها على أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وقال: لما قام بالفتنة في مكة، وأحلَّها، جاء إليه عبد الله بن عمرو، فأنذره بهذا الحديث، وذكّره به لعله يرجع، فما زاده ذلك إلا لجاجاً فيما هو فيه، وهذا مما يسد على القوم مسالكهم ـ يعني أهل السنة والجماعة القائلين بعدالة الصحابة ـ، ويُفسد عليهم ما أسسوه من عدالة كل من سموه صحابياً باصطلاحهم وعُرفهم، ولو لم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا مرةً في عمره، أو رآه وهو صغير دون بلوغٍ كعبد الله بن الزبير، وبنوا على ذلك ما بنوه من تصويب ما فعله أمثال هؤلاء، ولو كان مخالفاً لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله، مناقضاً للدين من أصله، مخالفين بذلك جميع النصوص والأدلة؛ ضاربين بكل ما عارضه عُرْضَ الحائط، مجابهين للواقع، مكابرين للمحسوس، فهذا عبد الله بن الزبير قد قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما سبق، وأيده الواقع؟ فإنه استحل حرم الله تعالى، وفتك به، وقتل وسفك الدماء، وفتن أهله حتى أهين المسجد والكعبة المشرفة، وضُربت بالمنجنيق حتى احترقت وتهدمت، وكان مع هذا شديد العداوة لعلي عليه السلام وآل بيته الكرام، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح المجمع على صحته لعلي: «لا يحبك إلا مومن ولا يبغضك إلا منافق».

---

(١) جؤنة العطار (٢/ ٢٧٥).

(٢) انظر: التعليق على "سير أعلام النبلاء" (٣/ ٣٧٥) حاشية(٢)، و(٣/ ٣٧٦) حاشية(١).

واندفع أبو الفيض الأفاك يسرد مثالب ابن الزبير معتمداً في ذلك روايات الأخباريين الشيعة، إلى أن شفى غيظ قلبه، وقد قال مالك رحمه الله: من سب الصحابة لا يُعطى من الفيء، وهو كافر، لأن الله تعالى قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[الفتح:٢٩]، وابن الزبير رضي الله عنهما بايعه الجمهور من الصحابة، وتمت له الإمارة بعد يزيد بن معاوية، ونازعه مروان بن الحكم - وهو[1] أرشد منه وأولى بالإمارة - ولما لم يتنازل له، زحف إليه الحجاج بن يوسف الطاغية، وحاصره، ورمى الكعبة، وأحرقها، وهذا معروف في التاريخ، فابن الزبير مظلوم تحصن بالحرم، ودافع عن نفسه الدفاع المشروع، إلى أن قُتل وصُلب ظلماً وعدواناً، وأبو الفيض يتكلم بلسان غيره (الروافض)، وذَنْبُهُ الأولُ عنده؛ عداؤه لعليٍّ وأهل بيته وبغضه، ولذلك حكم أبو الفيض بنفاقه إعمالا لحديث «لا يحبك إلا مؤمن..»، وهو يعلم أن الحب والبغض من أعمال القلوب، وأن تصرف الإنسان المخالف، قد يكون لسبب مقبول، كالاجتهاد كما وقع قَبْلُ بَيْنَ عليٍّ ومعاوية وعائشة رضي الله عنهم، وأبو الفيض يعميه الهوى حتى يتورط فيما لا طاقة له به، فقد كتب بخطه في رسالة إلى تلميذه الكرفطي - كما ذكر غير ما مرة -: «إن علياً كان يبغضه أغلب الصحابة»، وبناءً عليه فهم منافقون لزوماً؛ لهذا الحديث - والعياذ بالله - ورواية مالك المشار إليها، رواها البغوي في شرح السنة، ونصها الكامل: قال مالك: من يبغض أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

---

(١) أي ابن الزبير.

وكان في قلبه عليه غلّ؛ فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[الحشر:٧-١٠]، وذكر بين يديه رجل ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ مالك هذه الآية: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:٢٩]، ثم قال ـ مالك ـ: من أصبح من الناس في قلبه غل على أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد أصابته هذه الآية[1].

وفي فتح القدير للشوكاني، من رواية عبد بن حُميد ومن معه، عن

---

(١) شرح السنة (١/ ٢٢٩).

عائشة رضي الله عنها قالت: أُمِرُوا أن يستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسبوهم، ثم قرأت: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[الحشر:١٠][(١)].

ويكفينا من المرفوع مما ورد في مدح الصحب ووعيد من تنقصهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[(٢)]" وهو صحيح، وقوله عليه الصلاة والسلام «لعن الله من سبّ أصحابي»"، وقد حسنه الألباني في صحيح الجامع[(٣)]، وقد أفرد عدد من العلماء فضائل الصحابة بالتأليف، من أقدمهم الإمام أحمد، وكتابه "فضائل الصحابة" رائد في بابه، وهو مطبوع، وقد استقرئ من صنيع أئمة السلف ما صيغ منه تعريف الصحابي بأنه: من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد لُقيه واستمر على ذلك إلى أن مات.

وذلك: ليدخل في هذا التعريف: العميان، والصبيان المميزون ممن لم يبلغ الحنث، كالحسنين، وابن عباس، وابن الزبير، وغيرهم من صغار

---

(١) فتح القدير (٥/ ١٩٧).

(٢) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، من حديث أبي سعيد الخدري، وأخرجه مسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة.

(٣) رقم (٥٩١١).

الصحابة، ولكنْ أبو الفيض لم يرض هذا، وأشار إلى قيودٍ وشروطٍ في الصُّحْبة؛ حتى يتأتى له الطعن في عدد من الصحابة، وإخراجهم من الإسلام ـ عياذا بالله ـ وقد قال الإمام أحمد رضي الله عنه في كتاب السنة[1]: "من السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم أجمعين، والكف عن الذي جرى بينهم، **فمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو واحداً منهم فهو مبتدع رافضي**، فحبهم سُنَّة، والدعاء لهم قُربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة، وقال: لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه؛ بل يعاقبه ثم يستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة، وخلده في الحبس حتى يتوب ويراجع".

ولأمر ما تواصى علماء السلف بالكفّ عما شجر بينهم، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم، أو نقصاً فيهم، وَيَرَوْن التَّرحم على جميعهم، والموالاة لكافتهم، وأقوالهم في التواصي بذلك لا تحصى، ويرون التعرض إلى جانب الصحابة علامة على خذلان فاعله؛ بل هو بدعة وضلالة، قال الميموني، قال لي أحمد بن حنبل: يا أبا الحسن، إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء؛ فاتهمه على الإسلام. وروى الخطيب في الكفاية بسنده إلى أبي زُرعة الرازي قال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من

---

(١) انظر: "طبقات الحنابلة" (١/ ٣٠).

أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآنَ والسننَ؛ أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة[١]». وفي فتح الباري لابن حجر ـ وهو ممن يعتمدهم أبو الفيض ويغلو في مدحهم ـ ما نصه: "اتَّفَقَ أَهْل السُّنَّة عَلَى وُجُوب مَنْع الطَّعْن عَلَى أَحَد مِنْ الصَّحَابَة بِسَبَبِ مَا وَقَعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَلَوْ عَرَفَ الْمُحِقّ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي تِلْكَ الْحُرُوب إِلَّا عَنْ اِجْتِهَاد وَقَدْ عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ الْمُخْطِئ فِي الِاجْتِهَاد، بَلْ ثَبَتَ أَنَّهُ يُؤْجَر أَجْرًا وَاحِدًا وَأَنَّ الْمُصِيب يُؤْجَر أَجْرَيْنِ"[٢].

قلت: هذا دستور أهل السنة من المسلمين، لم يخالفه إلا الروافض والخوارج. وكأني بأبي الفيض وقد سمع هذه الأقوال النيرة، تعكر دمه، وانتفخت أوداجه، وأفلت الزمام من يده، فوقع في هؤلاء الأئمة، ورماهم بالنصب، وسوء الفهم، واندفع يملي عن ظهر قلب أحاديثَ المثالب التي كان يُلَقِّنها من هبّ ودبّ من مريديه، من أنعام البشر فيثقون به، ويَلَغون في أعراض الصفوة من خلق الله، فيلعنون أبا سفيان، وابنه معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وسمرة بن جندب، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم ممن نَسِيتُ، مقتدين في ذلك بإمامهم الضال المضل وقد سمعوه مراراً يذكر:

---

(١) الكفاية ص (٤٩).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٣٤).

«إذا رأيتم معاوية فوق منبري فاقتلوه»[١]، وسمع النبي معاوية وعمرو بن العاص يتغنيان فقال: «اللهم أركسهما في الفتنة ركساً ودعّهما في النار دعّا»[٢]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت يوم يموت على غير ملتي، قيل: فطلع معاوية»[٣]، وحديث «معاوية في تابوت مقفل عليه؛ في النار، ينادي: يا حنان، يا منان»[٤]، وقوله عن سمرة: «آخركم موتاً في النار»[٥]، فكان سمرة.

وهذه الأحاديث المفتعلة يصرح أبو الفيض بأنها أصح من الصحيح وإنما تحاماها أهل السنة؛ لبغضهم في آل البيت، وما يعانونه من النصب في زعمه، ولم يشفع لأولئك الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم وأرضاهم، ولعن عدوهم ومبغضهم ـ، ما شهد الله لهم به من فضل الصحبة والوعد بالحسنى،

---

(١) انظر: ملاحق وضمائم ص(١٣٠-١٣٢)، مطبوع بذيل "الجواب المفيد" بقلم الدكتور: بدر العمراني، فقد استوفى فيها الكلام على طرق هذا الحديث، وأثبت أنه موضوع. (الناشر).

(٢) انظر: وقفات مع عدنان زهار، للدكتور بدر العمراني، الملحق بذيل هذه الصحيفة ص(٣٠١-٣٠٤)، فقد استوفى الكلام على هذا الحديث. (الناشر).

(٣) هذا حديث كذب، بل مقطوع بكذبه. انظر: منهاج السنة (٤/ ٤٤٤) على أنه قد جاء بإسناد فيه مقال عن ابن عمر مرفوعاً: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلع معاوية»، الحديث. لكنه لا يصح. انظر: "الكامل" (٢/ ٣٣٠)، و"ميزان الاعتدال (٢/ ٢٤٣)، و(٤/ ٣٥٩). (الناشر).

(٤) في لسان الميزان (١/ ١٨٩): «وهذا باطل موضوع، ظاهر الوضع...». (الناشر).

(٥) استوفى الدكتور بدر العمراني في وقفاته، ص (٢٩٠-٢٩٩) الكلام على هذا الحديث، وبيان علله، بما لا مزيد عليه، جزاه الله خيراً. (الناشر).

ولا سيما صهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكاتب وحيه، وخال المومنين، سيدنا معاوية بن أبي سفيان، وأول الملوك العادلين في الإسلام، والفاتح الظافر، والأسد القاهر، فإنه كان إذا ذُكِرَ؛ فقد صوابه، وأعلن بقاموس من السب والشتم، فاق شتائم الروافض والخوارج، ويا ويحه! فقد استجلب بذلك غضب الله ولعنته، وقد تقدم حديث «لعن الله من سب أصحابي»، ولم أقف على من أطلق لسانه بالسب واللعن في عدو له كما فعل هذا الأفاك، هذا في الصحابة، أما فيمن بعدهم: فشيخ الإسلام ابن تيمية أكل قلبه، واستباح لبّه، فتفنن في الوقيعة فيه، وفي تلاميذه ابتداءً من التكفير إلى التفسيق والتبديع والتجهيل كما سيأتي، وسئل ابن المبارك عن معاوية فقال: «ماذا أقول في رجل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سمع الله لمن حمده، فقال معاوية خلفه وهو يصلي وراءه: ربنا ولك الحمد»[(١)]، وقيل له ـ أي ابن المبارك ـ: أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: «لتراب في منخري معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز»[(٢)]. وسئل المعافى بن عمران ـ ياقوتة العلماء ـ أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فغضب، وقال للسائل: «أتجعل رجلا من الصحابة مثل رجل من التابعين؟ معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله»[(٣)]. وقال الفضل بن زياد: «سمعت أبا عبد الله ـ يعني:

(١) أسنده ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/ ٢٠٧). (الناشر).

(٢) أسنده ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/ ٢٠٧-٢٠٨) (الناشر).

(٣) أسنده ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/ ٢٠٨). (الناشر).

أحمد بن حنبل ـ وقد سئل عن رجل تنقص معاوية وعمرو بن العاص، أيقال له: رافضي؟ فقال: إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما انتقص أحدٌ أحداً من الصحابة إلا وله داخلةٍ سوء»[١]. وقال إبراهيم بن ميسرة: «ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنساناً قط إلا إنساناً شتم معاوية، فإنه ضربه أسواطاً»[٢]. هذه نقول بينة ولها نظائر أوردها وغيرها ابن كثير في ترجمة معاوية من البداية والنهاية[٣]، وانظر ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي وسير أعلام النبلاء له، أحيلك على هذه المصادر، وأنا أعلم أبا الفيض لا يعتمدها ويلعن أصحابها ويكذبهم ـ والله حسيبه ـ، وقد حدثني الفقيه محمد التطواني الكتبي بمدينة (سلا) أنه اشترى كتباً من أبي الفيض منها البداية والنهاية قال: فنظرتُ فيها فوجدته كتب على هامشها سباً ولعناً فاحشاً لابن كثير وشيخه ابن تيمية، ومعاوية، ومن معه، فأخرجتها من بيتي حالاً. وقد ظل على هذا المنهج الأثيم إلى وفاته، والمسئول عن إضلاله روافض الزيدية كآل السقاف، وباعلوي، وابن عقيل الحضرمي، وطواغيت الشيعة من شيوخه كمحسن الأمين العاملي، وآل كاشف الغطاء، وعبد الحسين شرف الدين الموسوي، وغيرهم الذين أخذ عنهم واستجازهم، فلقنوه هذا الضلال وهو غض الإيهاب، في عنفوان الشباب، وقد أعدى مع الأسف بهذا الداء الوبيل إخوته كلهم، ومن مراجعه الأثيرة كتاب "النصائح الكافية

---

(١) انظر: السنة للخلال (٢/ ٤٤٧).

(٢) أسنده ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥/ ٢١١). (الناشر).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٨/ ١٣٩).

لمن يتولى معاوية"، ذلك الكتاب الخبيث الذي كان يبشر به وينحى باللائمة على شيخه جمال الدين القاسمي لرده عليه[١]، وينعت ذلك الرد بالفشل والضعف، وقد ظهر هذه الأيام كتاب جيد لمؤلف معاصر، سماه "إسكات الكلاب العاوية" يُعد بحق ردّاً مفحماً على نصائح ابن عقيل الرافضي، وقد أشرت سابقاً إلى أن مطاعن أبي الفيض في معاوية تجاوزت الحد في السفه والوقاحة وقلة الدين، وقد اخترت منها هذه (الباقة)! نقلاً من خطه، ليقف القارئ على هذا الضلال المبين، وإليكها مرقمة:

١- في جؤنة العطار: نقل من مسند أحمد بسنده الصحيح عن عبد الله ابن بريدة قال: دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفرش ثم أتينا بالطعام فأكلنا، ثم أتينا بالشراب فشرب معاوية، ثم ناول أبي ثم قال: ما شربته منذ حَرَّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قلت (أبو الفيض): في هذا دليل على أن معاوية كان يشرب الخمر؛ لأنه من بيت كان يشربه في الجاهلية، فقد كان والده أبو سفيان شِرِّيباً للخمر، وأخباره في ذلك كثيرة، وقوله: ما شربته منذ حرَّمَه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ تَعَلَّلٌ مكشوف، فإنه إذا لم يستطع الصبر عنه حتى بمحضر الناس الذين يستتر منهم خوف الفضيحة والعار وإشاعته بين الناس، فكيف يتركه قبل ذلك، ولا يخفى ما في قوله: منذ حَرَّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من

---

(١) قال عنها في رسالة إليَّ [تحت رقم (٢٩)]: «كلها خطأ وضلال، دفعه إليها حبه لبني أمية وموت قلبه في حب أهل البيت على عادة الشوام؛ بل والأشعرية كلها!!».

النكتة التي يُعَرِّضُ بها؛ إذ لم يقل منذ حرمه الله تعالى[١]. قال أبو أويس: تأمل كلام هذا الرجل لتعلم أنه يتلقى وحيه من الشيطان، وغاية ما في الأثر ـ إن صح[٢] ـ أن معاوية ترخص في النبيذ لا الخمر، وقد شربه معه بريدة، ومعلوم أن عرب الجاهلية كان معظمهم يشرب الخمر الخالص لا النبيذ، وفيهم من أعمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقاربه، وكان تحريمها تدريجياً؛ لِـمَا كان عليه القوم من الإدمان. ولم يكتف أبو الفيض بهذا، حتى أشار إلى أن معاوية كان يستحل شرب الخمر الصرف، وهذا يقتضي كفره، وهو المقصود، وقد صرح بلعنه وتفسيقه ونفاقه كما سيأتي في موبقاته.

٢- في "الجؤنة" أيضاً: وهذا الشام الذي امتلأت كتب الحديث من الأحاديث بفضله، مع تصحيحهم لكثير منها، وورودها بالأسانيد النظيفة، لم يصح عندنا في فضله حديث، وكل ما صححه الحفاظ فيه فباطل، وعذرهم في ذلك بيّن؛ لأن أسانيد ما صححوه، على شرط الصحيح، ولكن البلية فيه ممن اشتهر بينهم بالثقة، وهم رووها ائتماراً بأمر معاوية الذي كان

---

(١) جؤنة العطار (١/ ٣).

(٢) رواه أحمد في المسند [رقم (٢٣٣٢٩) ط، بيت الأفكار الدولية] قال: حدثنا زيد بن الحباب، حدثني حسين، حدثنا عبد الله بن بريدة، نحوه.

قلت: وهذا الإسناد وإن كان ظاهره الصحة لكنه منكر، والآفة فيه من: حسين بن واقد الخراساني، استنكر الحفَّاظُ أحاديثه عن عبد الله بن بريدة، جاء في العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد: «(١٤٢٠) سمعت أبي يقول: قال وكيع: يقولون إن سليمان أصحهما حديثاً، يعني: ابن بريدة. قال أبي: عبد الله بن بريدة الذي روى عنه حسين بن واقد ما أنكرها، وأبو المنيب أيضاً، يقولون: كأنها من قِبَلِ هؤلاء».

يجبر الناس على وضع الحديث في فضل الشام، وأن أهله على الحق، وأن الهجرة إليه واجبة، وأن به الطائفة المنصورة، وأن به الأبدال، ونحو ذلك مما كان يجمع به الطغام والجهلة، ويتألف بهم على علي وأهل العراق، إلخ[1].

قال أبو أويس: هذا كما ترى كلام ملغوم يترتب عليه سوء الظن برواة الحديث من الصحابة فمن بعدهم، ومعاذ الله أن يفعلوا، وهم ممن شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخيريّة، فكيف يُجمعون على الكذب على الرسول عمداً؛ وهو كفر؟ نعم كان هناك سباب وتلاعن وتقاتل نشأ عن اجتهاد في الرأي، ونحن مأمورون بالإمساك عما شجر بينهم. ويعجبني قول أبي الفيض: «لم يصح عندنا». وهنا يُنْشَدُ قولُ القائل:

يقولون: هذا عندنا غير جائز فمن أنتم حتى يكون لكم (عِنْدُ)؟

ومن الطرائف العجيبة الدالة على تلاعب الهوى بأهله، أن أبا الفيض لما هاجر إلى مصر في آخر حياته، وحج واعتمر وزار السودان وسورية، كتب إلى الكرفطي وإلى أخيه الحسن، يقول بأنه رجعَ عمَّا كان يعتقده في الشام وأهله من الشؤم والنصب، وأنه يعتقد ما صح في فضله، وأنه لو أقام هناك أياماً لأحدث انقلاباً في الأفكار والناس، ومثل هذا قاله في السودان! وهو دلالة واضحة على عقلية الرجل الخرافية، ورقاعته.

٣- وفيها أيضا بعد حكايةٍ عن مجنونٍ بالعراق، وكيف كان يخطب في الصبيان والعوام، في تمثيلية عجيبة، قال أبو الفيض: كأنه كان يعلم الصبيان

---

(١) جؤنة العطار (١/ ٥).

والعوام ما يجب عليهم أن يعتقدوه فيهم (بني أمية) حتى ينزلوهم منازلهم، ولا يغتروا بالمبتدعة النواصب الذين يرفعون من قدر معاوية، ويدافعون عن ابنه اللعين[١].

٤- وفيها أيضاً نقلاً عن تاريخ الإسلام للذهبي أن الإمام مالكاً قال: إن معاوية نتف الشيب كذا وكذا سنة، وكان يخرج إلى الصلاة ورداؤه يحمل، فإذا دخل مصلاه جعل عليه، وذلك من الكبر[٢]. قال أبو الفيض: وهذا يكذّب ما نُقل عنه من قوله: غبار حافر فرس معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز، وربما نقل بعضهم هذا عن ابن المبارك، وكله كذب، وإذا وصف مالكٌ معاويةَ بالكبر وهو يعلم الحديث الصحيح «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر» المخرج في صحيح مسلم[٣]، فلا يجوز أن يقول ذلك في عمر بن عبد العزيز[٤]. قال أبو أويس: الأثر معضل ومُعَلَّق، ولكنْ أبو الفيض أتى به، ليستنبط منه: أن معاوية لا يدخل الجنة؛ لما به من الكبر، فافهم شيطنة الرفض، كيف تدفع صاحبها إلى الفجور والبهت.

٥- في "الجؤنة" أثناء الرد على ابن العربي المعافري في قوله من "سراج المريدين": «إنه لهما ـ علي ومعاوية ـ محب ومعظم، ولعلي مقدم؛

---

(١) جؤنة العطار (١/ ١٣).

(٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٤٨).

(٣) برقم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) جؤنة العطار (١/ ٥٧).

لعظيم منزلته وعلو درجته، وأن أحداً من الخلفاء الثلاثة لا يدرك شأوه ولا يلحق منزلته ولا خلافته بعده. قلت (أبو الفيض): وهذا منه كما قال علي عليه السلام للخوارج: «كلمةُ حقٍّ أُريد بها باطل». فإن ابن العربي ما أراد بها إلا أن يلقي الغبار في العيون، حتى لا يُتهم إذا أطلق لسانه في علي وآل بيته في مكان آخر. ومن قرأ كتبه ولا سيما (العواصم) عرف أنه كذَّاب في مقاله هذا، على أنه دسّ السم في العسل بقوله: «الطائفتين اللّتين تنازعتا تطلب الحق»، ومعلوم أن معاوية كان يطلب الباطل؛ بالنص والإجماع، على أنه باغٍ؛ كما حكى الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ، منهم: النووي في شرح مسلم، ويكفينا عن الإجماع: تسميته صلى الله عليه وآله وسلم باغياً في الحديث المتواتر المقطوع به! وكذلك في قوله (ابن العربي): «وأنا لهما معظم»، وفي الحقيقة ما هو محب معظم إلا لمعاوية، وكيف يحب من أمر الله ببغضه، ويعظم من أمر الله بإهانته[1]!! قال أبو أويس: هكذا يحكم أبو الفيض على النيات والضمائر، ويكذب على الله ورسوله؛ فيزعم أن الله تعالى أمر ببغض معاوية وإهانته؛ ووالله ما البغيض المهان إلا من افترى على الله ورسوله، وكان الأولى به أن يرد على ابن العربي فكرته الغريبة منه، وهي تقديم عليٍّ على الخلفاء الثلاثة، وهو يعلم أنه كان يصرح بأنهم أفضل منه[2]، وَمَنْ فَضَّلَهُ عليهم، أقام عليه

---

(١) جؤنة العطار (٢/ ٣٦).

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣٣٩٥) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ». قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ. قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ».

حد المفتري»[(١)].

٦- وفيه رد الحافظ ابن حجر حكاية تتعلق بلعن علي رضي الله عنه بأمر معاوية رضي الله عنه، وتعقبه أبو الفيض بقوله: إن أمر معاوية ومن اتبعه من بني أمية بلعن علي عليه السلام في المدن والقرى وعلى المنابر؛ متواتر مقطوع به، مذكور في صحيح مسلم أيضاً، وكشف علي عليه السلام وإخباره بالمغيبات أمر يفوق العد والحصر بحيث لو جمع لجاء منه مجلد[(٢)]. قال أبو أويس: ومبالغة أبي الفيض معهودة منه ولا سيما في مثل هذا الموضوع، وسب عليٍّ على المنابر كان مقابلاً بمثله من الشيعة[(٣)]، وهذه من آثار السياسة ـ قبحها الله ـ وَكَشْفُ عَلِيٍّ كان أبو الفيض كلفاً به، وما صَحَّ منه تسعه صفحة، ولكن مصادر أبي الفيض في هذا كتب الروافض، وهي مُدَوَّنَاتُ أكاذيب.

٧- وفيه نقل أبو الفيض من تاريخ الطبري، في ترجمة المعتضد العباسي، كتابه المشهور في مساوئ بني أمية ولعنهم، وقد نشط أبو الفيض فتجشم نقل الكتاب كله رغم طوله؛ لما تضمنه من مصائب وفضائح، ولّدتها السياسة المعوجة، ومن أخطرها تفسير آية ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٦٠] بقوله: ولا اختلاف بين

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٢١٩)، وابن الإمام أحمد في السنة (١٣١٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٢٨٢-٣٨٣)، و(٤٤/ ٣٦٥). (الناشر).

(٢) جؤنة العطار (٢/ ١١٧).

(٣) وفي تاريخ الطبري (٦/ ١٥): «وفي هذه السنة (٢٨٣هـ) عزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يقرأ على الناس».

أحد أنه أراد بها بني أمية!! وكان أبو الفيض معجباً بهذا الكتاب الملفق، وقد أرشدني إليه مرة وقال: إنه من أفضل ما كتب في موضوعه[١]، ومنه عَرَفَ تلك الأحاديث الموضوعة في لعن معاوية وأبيه وآل بيته. فاعجب لرجل عاش يزعم أنه إمام المحدثين والسّلفيين، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر به وبدعوته كما في أواخر كتابه "مطابقة الاختراعات العصرية" يؤمن بتُرَّهات السياسة، وهو يعلم أن ذلك مما عملت أيديهم، علاوة على أن ذلك مروي وجادةً، لا سند لها.

٨- وفيه ما نصه: فائدة جليلة، أورد فيها من "أنساب الأشراف" للبلاذري حديث: «يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت يوم يموت على غير ملتي، قال عبد الله بن عمرو بن العاص: وتركت أبي يلبس ثيابه فخشيت أن يطلع، فطلع معاوية» أورده بسندين، وقال أبو الفيض: وهذا حديث صحيح على شرط مسلم، وهو يرفع كل غمة عن المؤمن المتحير في شأن هذا الطاغية - قبحه الله - ويقضي على كل ما يموه به المموهون في حقه، ومن أعجب ما تسمعه أن هذا الحديث خَرَّجَهُ كثير من الحُفّاظ في مصنفاتهم ومعاجمهم المشهورة، ولكنهم يقولون: (فطلع رجل) ولا يصرحون باسم اللعين معاوية، ستراً عليه وعلى مذاهبهم الضلالية في النصب، وهضم حقوق آل البيت، ولو برفع منار أعدائهم، فالحمد لله الذي حفظ الشريعة رغماً على دس الدسّاسين، وتحريف

---

(١) انظر الجواب المفيد ص(٥٨).

المبطلين[١]. قال أبو أويس: كتبت أنا بخطي على هامش نسختي ما نصه: هذا الحديث باطل مكذوب، والبلاذري نفسه متكلم فيه، وإذا كانت هذه الأحاديث بهذه الأسانيد المركبة والتي هي عند المؤلف الهالك على شرط مسلم، فلماذا اتفق الحفاظ الثقات ـ إلا من طعن فيه ـ على الإضراب عنها وتركها، وإلا لزم الحكم عليهم بالنفاق والنصب، وهو ما يرمي إليه المؤلف ـ وقد صرح به كما ترى ـ والسبب في إبهام الرجل بعد ثبوت الحديث!! ونحوه: خوف أن يسبق إلى فهم القارئ ظاهره، فيسوء ظنه بصحابي جليل، لا كما فَهِمَ الرافضيُّ أبو الفيض. وتراه يحمد الله على حفظ الشريعة، كأنه متوقف على لعن معاوية ومن معه؛ ويلاحظ أن جزء "أنساب الأشراف" للبلاذري الذي ينقل عنه أبو الفيض طبعه يهودي بالقدس قديماً، ولم يكن طبع كله أو معظمه، فافهم نكتة سبق يهودي إلى طبع هذا البلاء!

٩- وفيه حَمْلَةُ أبي الفيض على الشام وأهله النواصب في زعمه، وذكر السبب في ذلك، فقال: والذي جرأهم على ذلك؛ معاوية ـ قبحه الله ـ، فإنه كان يأمر الرجل أن يقوم في الناس فيخطب، ويروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً في فضل الشام وأهله، وأن الإيمان والحق مع أهل الشام إذا وقعت الفتن، وأن الشيطان مع أهل العراق يريد أنصار علي عليه السلام، فاعرف هذا ينحل لك به إشكالٌ عظيم يستشكله كثير من الناس في تلك الأحاديث الواردة في فضل الشام، التي صححها كثير من الحفاظ،

(١) جؤنة العطار (٢/ ١٥٩).

اغتراراً بظاهر الإسناد، وبحال أهل الشام الأقدمين في العصبية لبني أمية - لعنهم الله -، مع أنها مخالفة للواقع، غير مطابقة للحال المشاهد اليوم من الشام وأهله، فإن فيها: إن الإيمان في آخر الزمان عند وقوع الفتن يكون بالشام، وهذا هو آخر الزمان، وليس بالشام إيمان زائد على غيره من الأقطار، بل الإلحاد بدأ يفشو في أكثر من غيره، وكذلك لا يوجد شيء به مما هو مذكور في تلك الأحاديث التي افتراها معاوية اللعين وأنصاره[1]. قال أبو أويس: كتبتُ على طرة الأصل ما نصه: تأمل صنيع المؤلف واعترافه بتصحيح كثير من الحفاظ لهذه الأحاديث؛ لنظافة أسانيدها، وهو الذي يؤمن بما اختلقوه من مثالب أهل الشام، وبني أمية، ولو بدون إسناد، ومعاذ الله أن يتواطأ أولئك الأئمة - رحمهم الله ورضي عنهم - على الكذب واختلاق الفضائل، وهم كانوا أشحاء على دينهم؛ لا يتساهلون فيه، ولكن المثل يقول: (السفيه ما كَيْنْوَى غِيرْ لِّي فِيهْ)[2] وأبو الفيض ببسمةٍ ولقاءٍ مصطنع ظفر به من بعض الساسة؛ باع دينه، وزعم في كتابه "مطابقة الاختراعات العصرية" أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر به وأنه سينصر الإسلام إلخ، فعجباً ممن يبصر القذى في عين أخيه، وينسى الجذع في عينه! ثم إن اللعين حقاً من يطلق لسانه في أعراض فضلاء الأمة من الصحابة وغيرهم، بدون خوف ولا حياء، وإذا كانت أحاديث فضائل

---

(١) جؤنة العطار (٢/ ١٦٠).

(٢) أي: السفيه لا يظن في غيره إلا ما هو فيه!.

الشام ـ وقد صح منها الكثير ـ كما في كتاب "فضائل الشام" للرَّبعي وهو مطبوع بتخريج شيخنا الألباني ـ: لا تصح لعدم انطباقها على الحال، فما القول فيما ورد في الحرمين الشريفين، وهي أكثر وأصح، ولـمَّا كان يحكمها الروافضُ؛ ومن يُسمّون الأشراف حيث ارتكبوا فيها من الجرائم ما يندى له جبين الإنسانية؟! وليس معنى هذا أننا نشكك في الأخبار النبوية، ومعاذ الله، ولكننا نقول بأن ما ورد واقع، ولكن لم يحن وقته بعد. ثم إن أبا الفيض رجع عما كان يعتقده في الشام وأهله، كما أشرنا سابقاً، ونوى اللجوء إليه وسكناه! وهكذا يفعل الهوى بأهله.

١٠- وفيه حمل أبو الفيض حملة شعواء على الحافظ ابن حجر؛ لقوله بعدالة الصحابة، وأن ما صدر منهم من قتالٍ كان عن اجتهاد، رغم ما ثبت من أحاديث عن عليٍّ وأنه على الحق، وعن معاوية وأنه كان مبطلاً باغياً، وما ورد في أبي الغادية قاتل عمار في النار، قال أبو الفيض: وهو أصح من الصحيح، مع أنه مُعَل، وهو يعرف ذلك. وأنهى أبو الفيض حملته على ابن حجر بقوله يعظه: «فاتق الله يا حافظ، وتب إليه من هذا الورع الكلبي الذي يؤول بصاحبه إلى الكفر وتكذيب خبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم. والصحابةُ ليسوا بأنبياء معصومين، ولا ملائكة مقربين، حتى يضطر إلى تكذيب خبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ دفاعاً عنهم، ولا سيما من ليس له قدم في صحبة رسول الله، ولا فضيلة ملازمته وخدمته، فإن هذا الضرب منهم قد ثبت فيهم المنافقون

ومن ارتدوا عن دينهم في حياته صلى الله عليه وآله وسلم وبعده» إلخ[١].

قال أبو أويس: والصحابة رضي الله عنهم بَشَرٌ غيرُ معصومين، ولكنّ الله أكرمهم برؤية رسوله والإيمان به، والاستمرار على ذلك إلى الوفاة، ومن ثبت عنه انحراف ومعصية فنحن نعتقد أن الله وفّقه إلى التوبة وغفرها له، وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أن من دعا عليه وهو غير مستحق أن يجعلها الله سبباً لغفران ذنوبه[٢]، وأبو الغادية، يسار الجهني، قيل بأن له صحبة، وأنه قتل عمار بن ياسر رضي الله عنه متأولاً مجتهداً، فقد ثبت في روايتين أنه سمعه يقع في عثمان رضي الله عنه بمسجد قباء فغاظه ذلك، وأقسم إن ظفر به قتله، ففعل، وما ورد من حكايته مع الحجاج، وقد أوردها أبو الفيض هنا، نقلاً عن الإصابة، دون الإشارة إلى ذلك، وحذف نقد الحافظ للرواية بالانقطاع، وضعف راو شيعي[٣]. وقد كتبت بخطي على هذا الموضع من "الجؤنة" ما نصه بعد أن اتهم الحافظ بأن صنيعه في تأويل حديث «قاتل عمار في النار» يفضي إلى تكذيب النبي. قلتُ: يعني وينتج عن ذلك كفر الحافظ ابن حجر،

---

(١) جؤنة العطار (٢/ ٢٠٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤٧٠٥)، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلَانِ فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ، فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَصَابَ مِنْ الْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ هَذَانِ، قَالَ: وَمَا ذَاكِ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنْتَهُمَا وَسَبَبْتَهُمَا، قَالَ: «أَوَ مَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا».

(٣) انظر: الإصابة (٣/ ٣٨١).

وهذا ما يزعم الروافض سلف المؤلف الطالح، ولا ذنب له إلا أنه قال ما اتفقت عليه جماهير السنة، ولكنْ المؤلف أبو الفيض ومن معه، يحكمون على ضمائر الناس وقلوبهم، ويعتبرونهم - وفيهم الأئمة الأربعة وكبار أصحابهم - مقلدين، مغفلين، منساقين وراء النواصب، الذين أسسوا لهم هذا، ولا أدري من هم إن لم يكونوا الصحابة والتابعين؟! فتأمل كيف يتمكن الضلال والابتداع من المرء فيطوّح به في مهاوي الهلاك وهو لا يشعر.

١١- وفيه نقلاً عن عمر بن شبة في أخبار المدينة بسند فيه مجهول: أن علياً عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لأمامة بنت أبي العاص: إني لا آمن أن يخطبك هذا الطاغية - يعني: معاوية - فإن كان لك في الرجال حاجة، فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيراً، فلما انقضت عدتها كتب معاوية إلى مروان يأمره أن يخطبها عليه، وبذل لها مائة ألف دينار، فأرسلتْ إلى المغيرة بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب: إن هذا قد أرسل يخطبني، فإن كان لك بنا حاجة فأقبل، فخطبها إلى الحسن فزوجها منه. قال أبو الفيض: في هذا دليل على كشف علي عليه السلام، وعلى تسمية علي معاوية بالطاغية، والطاغية رئيس الكفار[1]. قال أبو أويس: والمقصود من هذا النقل الباطل، تكفير معاوية من قِبَلِ علي رضي الله عنه، ولم يصل ما كان بينهما إلى هذا الحد، فإن معاوية رضي الله عنه ثبت عنه أنه قال مراراً وتكراراً بأنه لم يقاتل علياً على الإمارة لأنه لا يستحقها، وقد كان خصمه يعرف منه هذا، ورحم الله أبا زُرعة الرازي فقد

(١) جؤنة العطار (٢/ ٢٠٨).

روى ابن عساكر في ترجمته من تاريخ ابن عساكر: أن رجلاً قال له: يا أبا زرعة، أنا أبغض معاوية، قال: لم؟ قال: لأنه قاتَلَ عليَّ بن أبي طالب، قال: فقال له أبو زرعة: "إن رب معاوية رب رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فإيشٍ دخولك أنت بينهما رضي الله عنهم أجمعين[١]"، وأبو الفيض نجم بطنجة، وانتصب لرواية أخبار مثالب الصحابة وترويجها، وملأ بها كتبه ورسائله، حتى امتلأت قلوب الشباب بغضاً وكراهيةً للصحابة، وأخذ يتناولهم بالنقد والتجريح عُمَّالُ الميناء، والمتسولون البطلة من رواد الزاوية، ورجال البوليس، وسمعتُ من بعض طلابهم من يتناول أبا بكر الصديق رضي الله عنه أفضل الناس بعد الرسول معتقداً أنه حرم فاطمة رضي الله عنها من إرثها في أبيها ومنعها أرض (فدك)، وهنا ينشد قول حكيم المعرة: [الطويل]

فيا موتُ زُرْ، إن الحياة ذميمة ويا نفسُ جِدّي، إنّ دهرك هازِلُ

١٢- وفيه أورد أبو الفيض حكاية طويلة مفتعلة بدون شك، ولم يذكر مصدره فيها على عادته، في حوار جرى بين شعبة[٢] بن غريض، وكان يهودياً فأسلم، وبين معاوية، أنشده فيه شعبة شعراً لأبيه يرثي نفسه، فقال معاوية: أنا كنت أولى بهذا الشعر من أبيك. قال: كذبت ولؤمت. قال: أما كذبت فنعم، وأما (لَؤُمْتَ) فلم؟ قال: لأنك كنت ميت الحق في الجاهلية،

---

(١) تاريخ دمشق (٥٩/ ١٤١).

(٢) كذا ورد عند أبي الفيض في الجؤنة والصواب: سعية (بالسين المهملة، ومثناة تحتية) كذا ضبطه الحافظ ابن حجر في الإصابة (١/ ٤٨٩). وقد نسب الخبر لأبي الفرج الأصبهاني. وأبو الفرج حاله معروف، وكذلك حال رواياته!!

وميته في الإسلام، أما الجاهلية فقاتلت النبي صلى الله عليه وآله وسلم والوصيّ حتى جعل الله كيدك المردود، وأما في الإسلام: فمنعت ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخلافة، وما أنت وهي؟ وأنت طليق بن طليق، فقال معاوية: قد خرف الشيخ فأقيموه، فأخذ بيده فأقيم. قال أبو الفيض مباشرةً: «رضي الله عنه ـ يعني شعبة ـ، ولعن معاوية وأخزاه»[1]. قال أبو أويس: «وأنا أقول كما قال رسول الله ﷺ: «لعن الله من سب أصحابي»».

١٣- وفي رسالة من أبي الفيض إلى أبي الفتوح مؤرخة بـ(٦ صفر ١٣٧٩هـ) ما نصه: «وأنصار أهل البيت من الصحابة، وأعداؤهم، لم يُؤَلَّف فيه فيما رأينا، وإنما يعرف ذلك من كتب التاريخ والرجال، فمن قرأ حروب أهل بيت علي عليه السلام وذريته، مع الطاغية معاوية وحزبه، عَلِمَ الأنصارَ من الأعداء، فعليك بقراءة "الاستيعاب" لابن عبد البر، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (الرافضي المعتزلي)».

١٤- وفي رسالة منه إليه بتاريخ ٢٩ حجة ١٣٧٩هـ وقد امتدحه في طالعتها بقوله: «الأخ الأجل العلامة الواعية، الداعية إلى الحق، التقي النقي الصوفي!!»، ثم قال: «واليوم أرسلت إليك (باكيتاً) به "النصائح الكافية" الكتاب العزيز الغالي النادر الوجود، فشُدّ يدك عليه، وقم بواجب حقه وهو الدعاية لله ورسوله وآل بيته الأطهار، وبُثَّ مساوي عدو الله معاوية بين

(١) جؤنة العطار (٢/ ٢٢٢).

المسلمين، حتى تنقلهم من بدعةِ تحسين الظن به والترضي عنه وتعظيمه، فإن في ذلك نكاية لله ورسوله وآل بيته، أعانك الله على الخير آمين... وأثر عمرو بن العاص الذي خرجه أحمد من جهة ابن لهيعة، ولكن ابن لهيعة لا ذنب له فيه، فهو من أصله فاسد، ودعوى من عمرو لا تقبل منه، ولا يصدقه فيها الواقع، فإنه لو حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف مثل، لنقل عنه، ولو مائة، بل وخمسون كما وقع لغيره من الصحابة الذين اعتنوا بنواح مخصوصة فحفظوها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فنقلت عنهم بتمامها.. وأما قول ابن كثير: إن في ذلك فضيلة لعمرو لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ فمن كذب النواصب، ومغالطتهم والتماسهم الفضائل بالباطل والافتراء، كقولهم في الطاغية (معاوية) خال المؤمنين، ولو عقل ابن كثير لاستحيى أن يذكر هذا الباطل، لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ ولم يقل وما يحفظها، وعمرو زعم أنه حفظها لا عَقِلَها؛ لأن العقل هو الفهم والعمل بها، وعمرو لم يكن عاملاً بواحد منها فضلاً عن جميعها، أما الحفظ فقد يحفظها الكفرة والمنافقون، فهذه كقولهم في الطاغية (معاوية) إنه كاتب الوحي، مع أنه لم يكتب من الوحي إلا آيات معدودات، فإنه بعد إسلامه لم ينزل من القرآن الكريم إلا أقل من القليل، لأن ثلثي القرآن تقريباً نزل بمكة، والباقي نزل قبل الفتح الذي أسلم فيه الطاغية، ومع هذا فما من مسلم يحفظ القرآن وهم المليارات إلا وقد كتب الوحي من أوله إلى آخره خمس مرات أو ستة وهو يحفظه، فلا تَرُجْ عليك

دسائس أعداء آل البيت، أعداء الله ورسوله)). ثم ذكّر ابن كثير بالحديث الموضوع، الوارد في معاوية وعمرو، ودعاء النبي صلى الله عليهما، وقد سبق ذكره. **قلت**: هذه الرسالة مصورتها تحت اليد من أخبث ما كتب أبو الفيض، وقد رأيت وصيته لوارث (شَرِّهِ) أبي الفتوح، بالعناية[1] بكتاب "النصائح الكافية، لمن يتولى معاوية" للرافضي المحترق الضال المُضِل محمد بن عقيل الحضرمي، وهو أحد شيوخ أبي الفيض، وكتابه المذكور هو المسئول عن ضلاله في هذا الباب، ومنه يستقي المثالب المزعومة التي جمعها الرافضي، من مروج الذهب للمسعودي الشيعي، وتاريخ اليعقوبي الشيعي، ووقعة صفين، وتاريخ الطبري من رواية سيف بن عمر، ونحوه من الهلكى، وأبو الفيض يأمر أبا الفتوح بنشر الكتاب، ودعوة الناس إلى ما فيه من ضلالات، وقد قام أبو الفتوح بذلك خير قيام؛ فسمعتُ من عدد من الطلبة والفقراء، وقيعتَهم في معاوية خال المؤمنين، وكاتبِ وحي ربِّ العالمين، كما وصفه بذلك كثير من أئمة السلف، الذين لا نسبة بينهم وبين أبي الفيض، ولكنه يفوقهم جميعاً في الوقاحة والرقاعة، وليُعلم أن هذه الرسالة كتبها أبو الفيض

---

(١) ومع ذلك تجد محدث البيضاء والبريجة!! عدنان زهار ينكر هذا، فيقول في دفاعه ص(٥٣): ((ومن كذبه المفضوح أيضاً قوله عن كتاب "النصائح الكافية لمن يتولى معاوية" المنسوب إلى ابن عقيل الحضرمي: وهذا الكتاب كان أحمد يوزعه وينصح بقراءته)). **قلت ـ القائل هو عدنان ـ**: ((لم يذكر الفاري من أين له هذا ولا مَنْ أَعْلَمَهُ به، وهكذا يكون التحقيق والتوثيق، وكذلك يكون التبين والتثبت من المتعالمين، وقد قال: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾))، فتأمل، وقبح الله من لا يستحي.

قبل موته بسنة، ومنها يُعرف ما أكدته لبعض الناس أنه مات وهو يعتقد هذه المصائب التي أنا بصدد بيانها والرد عليها؛ حمية لله ورسوله، وغيرةً على دينه، وحرمة النبي وأصحابه. ثم إن أبا الفتوح نكص على عقبيه، وألقى وصية شيخه، فأحرق كتاب "النصائح"، ولأمرٍ مَا أخلى "در الغمام الرقيق" من هذه المصائب كلها، وهو مجانبة للصواب والأمانة العلمية، والنصيحة الواجبة، وهو يعلم أن الأمر دين، وبدلاً من أن يُسلم لله تعالى، ويُعلن توبته، ويكتب كتابا يبين فيه الحق الذي تنكبه في سبيل الحصول على المشيخة، وازدحام الأنعام على تقبيل يديه ورجليه، ودسّ (الزيارة) في يده، وقد حصل هذا كله، فلعله يُقلع عنه ويُسلم لله رب العالمين، وكتاب "النصائح" طبع مراراً على الحجر والحروف، وفي إحدى طبعاته صورة مؤلفه، والجدير بالذكر أنه ظهر هذه الأيام كتاب مبارك يسمى "إسكات الكلاب العاوية، بفضائل خال المؤمنين معاوية" لأبي معاذ محمود بن إمام بن منصور، وهو يعتبر أوفى وأجلّ رد غير مباشر للنصائح، وقد تقدم ذكره، فأوصي إخواني بقراءته ونشره بين الناس لإنقاذهم من بلاء الرفض ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

١٥- وفي رسالة منه إليه مؤرخة بـ(٤ ربيع الأول ١٣٧٩هـ) يقول: «ومعاوية كتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات أو أربعة؛ لأنه ما أسلم إلاّ زمن الفتح، وقد نزل أكثر القرآن، وكان له صلى الله عليه وآله وسلم عدة كُتَّابٍ، وهبْ أنه كتب القرآن كله، فما في الدنيا أحد حفظ القرآن الكريم إلا وقد كتبه بيده سبع مرات أو أكثر، وقد كان رجل يكتب القرآن

للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما مات وَقُبِرَ لفظه قَبْرُهُ، وذلك في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ذهب عني اسمه الآن مع اشتهاره، وللعجلة المفرطة لم يمكني البحث عنه، ويمكنك أن تعرف ذلك من الإتقان وغيره[١]، وإنما النواصب يخلقون المناقب لصاحبهم، كما يسمونه خال المؤمنين كذباً وزوراً، مع أن الفقهاء نصوا على كراهة ذلك في كتب الخصائص، وإلا لكان والد صفية بنت حيي جدّ المؤمنين، وكذلك اللعين أبو سفيان فإنه والد أم حبيبة رضي الله عنها أم المؤمنين، ولهذا قال المحدثون والأئمة: إنه لا يؤخذ الاسم بالقياس في هذا الباب؛ بل منعوا، وأولهم السيدة عائشة رضي الله عنها أن يقال أم المؤمنات أيضاً؛ لأن الله جعلهن أمهات المؤمنين الذكور لا الإناث، مع إمكان دخولهن في الميم من قوله ﴿وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[الأحزاب:٦]، فكيف يقاس الخال على الأم، والمقصود أن النصب غلق (كذا) لهم ما يقولون ـ قبحهم الله ـ)).

قال أبو أويس: ((هكذا يهوّن أبو الفيض من شأن خال المومنين ـ رُغم أنفه ـ معاوية رضي الله عنه، ويغالط في ذلك ويماري، ولا يحصى من علماء السلف والسنة من وصفه بذلك، وهذا البربهاري والموفق ابن قدامة[٢] وصفاه بذلك في عقيدتيهما، والمسألة لا تحتاج إلى تهويل، والخطب فيها سهل ولا

---

(١) قال الحافظ في "الفتح" (٦/ ٦٢٥): ((لم أقف على اسمه، لكن في رواية مسلم من طريق ثابت عن أنس: ﴿كان منّا رجل من بني النجار﴾...))، والحديث أخرجه البخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٢٧٨١).

(٢) انظر: "لمعة الاعتقاد" ص(٣٣).

مانع منها، وانظر إلى اعتداد أبي الفيض بكراهة الفقهاء لذلك، ولا أدري من هم، وعهدي به لا يقيم وزناً للأئمة الكبار، والتنظير بحيي بن أخطب والد صفية أم المؤمنين، مما أوحاه إليه إبليس، فإن معاوية صحابي مؤمن - وإن كره الكافرون -، وحُيَي يهودي، فهل تستوي الظلمات والنور، واختلاق النواصب المناقب لصاحبهم، مقابل بمثله من الروافض، على أن هؤلاء كذبوا، وما زالوا يكذبون إلى الآن في اختلاق المناقب والخصائص، ونقاد الحديث يعرفون أن ما وُضع في فضائل آل البيت عموماً، وعليٍّ وولديْه خصوصاً؛ أضعاف أضعاف عشر مرات مما وُضع في فضائل معاوية، فانظر كيف يتلاعب الهوى بأصحابه، ويتجارى بهم كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه - نسأل الله العافية -)).

الفصل الثالث عشر

جزمه بأن أغلب الصحابة كانوا يبغضون علياً، وأنهم لذلك منافقون لحديث «لا يحبك إلا مؤمن»، وغلوه في عليٍّ، وإشارته إلى أنه كان يوحى إليه

معلوم أن مذهب أهل السنة والجماعة من السلف الصالح؛ تعديل الصحابة كلهم بدون فرق، ومن ثبت أنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم سواء رآه أو لم يره كالعُميان، وآمن به، واستمر على إيمانه إلى الوفاة: فهو صحابي؛ طالت صحبته أو قصرت، غزا معه أو لا، ولم تتخلل إيمانه ردّة، كما أن مذهبهم فيهم أنهم غير معصومين، وقد تصدر منهم أخطاء ومعاصي، إلاّ أنهم لم يموتوا حتى وفقهم الله تعالى للتوبة، وذلك لِمَا ورد في فضلهم في كتاب الله تعالى كقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ

ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[الفتح:٢٩]. وقوله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[الحشر:٨-١٠]. وقوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[التوبة:١٠٠]. وقوله عز من قائل ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[الحديد:١٠]. وقوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح:١٨-١٩]. إلى غيرها من الآيات؛ بل كل ما ورد في القرآن العظيم من صفات المؤمنين وأخلاقهم وشمائلهم، ينطبق عليهم بالدرجة الأولى؛ لأنهم شاهدوا التنزيل، وفيهم نزل، أما ما ورد في فضلهم عن الرسول صلى الله

عليه وآله وسلم، فقد أُفرد بالتصنيف لكثرته، ويكفي فيه ما رواه مسلم[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه». وقوله: «لعن الله من سب أصحابي»" وقد حَسَنَه شيخنا الألباني في صحيح الجامع.

وقد تخطى أبو الفيض هذه الآيات والأحاديث، وجعلها دَبْرَ أذنه، وتورط في بلاء التشيع والرفض، فأعلن تكفير وتفسيق جماعة منهم، يتراوح عددهم بين الستة والعشرة، وتصيّد أحاديثَ وآثاراً يروجها الروافض، وبذل جهده في إقامتها وإحيائها، وهي ميتة مهجورة لما يكتنفها من علل ومطاعن، وأخذ يشنف بها مسامع البهائم من مَريديه الأُميين كلما سنحت الفرصةُ حتى أوغر صدورهم، وملأ قلوبهم بغضاً وعداءً لأفضل جيل شرف الله به أرضه، من عهد آدم إلى الآن، وعرفته الإنسانية، كما يشهد بذلك التاريخ الصادق، ولم يكفه الولوغ في أعراض هذه الثلة من أولياء الله، حتى وقع في الفاقرة العظمى، والموبقة الكبرى، وهي الحكم على أغلب وأكثر الصحابة بالنفاق، فلنستمع إليه يقول في رسالة إلى الكرفطي، مؤرخة بـ(٤ ربيع الأول ١٣٧٩هـ)، **يجيب عن سؤال أورده مَريده المذكور** حول آية ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[مريم:٩٦]: «ولنضرب مثلا بعلي عليه السلام، فقد كان أكثر الصحابة يعادونه، ويحسدونه ويبغضونه، ولكن الودّ كان موجوداً في

(١) صحيح مسلم، رقم (١٩٦٧).

قلوب طائفة قليلة من الصحابة، كسلمان، وأبي ذر، وزيد بن أرقم، وعمار، والمقداد، وبهم وبأمثالهم تحقق الود الذي أخبر الله به.. إلخ)).

قلت: وهذا والله قول عامة الروافض حَذْوَ القُذّة بالقذة[١]، ومثل قوله هذا أكده في رسالة أخرى لم أجدها الساعة، وتأمل تعبيره بـ(أكثر). ثم إن أبا الفيض الظالم نفسه، لم يكترث لما يترتب على قوله هذا، من الحكم بنفاق الآلاف المؤلفة من الصحابة - ﷺ ولعن مبغضهم - بطريق اللزوم، وهو الذي حكم بنفاق عبد الله بن الزبير ﷺ، لبغضه لعليٍّ في زعمه لحديث «لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»"، وحكم به على شيح الإسلام بالنفاق لنفس التهمة؛ بل صب عليه وعلى ابن خلدون جام غضبه، وألّف في الرد عليهما كتاباً من أخبث ما كتب، سَمَّاه "البرهان الجلي، في انتساب الصوفية إلى علي، والرد على ابن خلدون وابن تيمية الحنبلي"، وهو مطبوع، أبدى فيه من أنواع الغلو المقيت ألواناً سوداء استشهد لها بأقوال الغلاة من أوليائه، ولم يستحي أن يحتج بما يعلم أنه موضوع مفترى، كحديث "خُلقت أنا وعليٌّ من نور واحد[٢]"، وقرر أنه ﷺ أفضل الصحابة كلهم، وإن اعترف أنه رابع الخلفاء الراشدين، ولكن هذه عنده الخلافة الصورية، وأما الخلافة الباطنية العرفانية، والخصوصية اللدنية!! فهي له

---

(١) جاء في أصول الكافي للكليني (٣/ ٨٥): قال جعفر الصادق: «كان الناس أهل ردّة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا ثلاثة. فقيل له: من الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي».

(٢) انظر الفوائد المجموعة للشوكاني رقم (٤٠).

وحده، لا يشاركه فيها أحد[١]، وقد سبق في الرد عليه في موبقة (وحدة الوجود) أنها عقيدة الأنبياء والمرسلين من آدم عليه السلام إلى النفخ في الصور، وأنها ما كانت عليه بواطنهم. وهكذا أباح لنفسه أن يحكم على قلوب الناس وضمائرهم، وهو الذي نقم على التاج السبكي تصريحه بأن عقيدة الأشعرية كانت عقيدة الصحابة وما انطوت عليه قلوبهم، وسماه من أجل ذلك (مجنون الأشاعرة)[٢]، ونقل عن ابن العربي في "الفتوحات" أن النبوة نوعان: «نبوة تكليف وهذه انقطعت، ونبوة تعريف وهذه ما زالت مستمرة»، وإليها أشار ابن العربي فيما أنشده: [المتقارب]

مقـــام النبـــوة في بـــرزخ فُوَيْقَ الرسول ودون الولي

وهو ما كان يعتقده أبو الفيض ولقّنه شقيقَه أبا العسر، وقرره هذا وانتصر له في كتابه "السوانح"، ونقل في البرهان الجلي رواية للطبراني في المعجم الصغير بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كنا نتحدث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عهد إلى عليٍّ رضي الله عنه سبعين عهداً لم يعهدها إلى غيره". قال أبو الفيض: وبالنظر إلى رجاله؛ يُعلم أنه حسن إن لم يكن صحيحاً[٣]. هكذا قال، وَمَرَّ عليه محقق كتابه "أحمد محمد مرسي النقشبندي" وسلَّمه بسكوته، كما فعلا في الحديث الموضوع «خُلقت أنا

---

(١) انظر البرهان الجلي ص(٦٣).

(٢) جاء هذا في رسالة أرسلها إلى محمد الفلاح في ١٤ ربيع الثاني، عام ١٣٧٢هـ، لدينا مصوّرتها. (الناشر).

(٣) البرهان الجلي ص(١٠٨).

وعليٌّ من نور واحد»، وهما يعلمان أن نور الدين الهيثمي قال في مجمع الزوائد في كتاب المناقب، باب فضائل علي: «رواه الطبراني في الصغير[١]، وفيه من لم أعرفهم»[٢]. فهلا عرفهم وعرّفهم المؤلف الحافظ، والمعلق المحقق!؟

---

(١) المعجم الصغير (٩٥٣)، قال الطبراني: حدثنا محمد بن سهل بن الصباح الصفار الأصبهاني، حدثنا أحمد بن الفرات الرازي، حدثنا سهل بن عبدويه السندي الرازي، حدثنا عمرو بن أبي قيس، عن مطرف بن طريف، عن المنهال بن عمرو عن التميمي، عن ابن عباس قال: كنا نتحدث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «عهد إلى عليٍّ سبعين عهداً لم يعهدها إلى غيره»، لم يروه عن مطرف إلا عمرو بن قيس، ولا عن عمرو إلا سهل، تفرد به أحمد بن الفرات، واسم التميمي: أربدة. وذكره الذهبي في الميزان (١/ ١٧٠) وقال: «هذا حديث منكر».

(٢) مجمع الزوائد (٤/ ١٢٦). قلت: كل رجاله معروفين مترجمين، وسأذكر المضعّف منهم: سهل ين عبدويه المَعروف بالسندي، قال أبو حاتم: شيخ، رأيته ولم أكتب عنه. الجرح والتعديل (٤/ ٢٠١-٣١٨). وقال ابن حبان في الثقات: يُغْرِب (٨/ ٣٠٤)، عمرو بن أبي قيس، قال الذهبي في الميزان (٣/ ٢٨٥): صدوق، له أوهام.وقال أبو داود: لا بأس به، في حديثه خطأ. وانظر تهذيب التهذيب (٨/ ٨٢). وأربدة التميمي وثقه العجلي وابن حبان، وذكره أبو العرب الصقلي القيرواني في الضعفاء. تهذيب التهذيب (١/ ١٧٣).

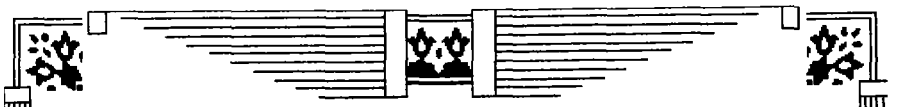

الفصل الرابع عشر

ميله القوي إلى التشيع والرفض، وتنويهه بالرافضة، وروايته عنهم، وإشادته بكتبهم

كان هذا قبل أن أطّلع على معظم تآليفه، وكنت قلت للشيخ حمدي عبد المجيد السّلفي لما سألني عن ترجمة مُوجزة لأبي الفيض، بأنه يتشيع ويقف على عتبة الرفض، وقد تأكدت اليوم بأنه غارق في التشيع إلى النخاع، وفي الرفض إلى الذقن، ومعلوم لغة واصطلاحاً أن التشيع: الانتصار والمتابعة والموافقة بالرأي، وشيعةُ الرجل أعوانُه وخاصته، وقد كان علي رضي الله عنه محل تجلّة واحترام من الصحابة رضي الله عنهم، على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لما يعلمون من علمه، وفضله، وسابقته، وقرابته، ومصاهرته للنبي، ولكن هذا كله لم يكن ليحول بينهم وبين اختيارِ الصحابة أبا بكر للخلافة، ودخول عليٍّ رضي الله عنه فيما دخلوا فيه مختاراً، خصوصاً بعدما

سمعوه يتوعد من يقدمه على من قبله من الخلفاء الثلاثة، بَحَدِّهِ حدَّ المفتري، ويعلن مراراً وتكراراً على منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، في مختلف المشاهد: أن أفضل الناس بعد النبي؛ أبو بكر وعمر.

ومن عجائب المقدور، وغرائب المسطور، أن يوجد هذا التفضيل وهذا الثناء في مصحف الشيعة المزيف "نهج البلاغة" لأمر أراده الله، ولتقوم الحجة على الروافض من كلام معبودهم، والجدير بالذكر أنني سألت أبا الفيض عن هذا الكتاب "نهج البلاغة"، فأخبرني مشافهة أنه صحيح، فقلت له بأن جمهور العلماء يطعنون فيه، فقال: إن روحانية لغته تدل على صدقه!!

ثم تطورت الأحوال، وتراكمت الأهوال، بعد مقتل الشهيد المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ونجمت الفتنة بذرور قرنها عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني، المعروف بابن السوداء، الذي أظهر الإسلام واندسّ في المسلمين؛ للكيد والفرقة، وبذر بذور الكفر والإلحاد، فأظهر أولاً التشيع الغالي، ثم ادعى عصمة علي، ثم اختلق فرية الوصية، ثم ادعى في علي الألوهية، وبلغ ذلك علياً فنفاه إلى المدائن، وليته قتله، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ولم يكف المجرم الضليل عن كيده المدروس المبيَّت، فلبث يدعو إلى أفكاره الهدامة، ومزاعمه الكفرية، وتبعه فئام من الناس ممن غلبت شقوتهم، وفسدت فطرتهم، وانتشر هذا البلاء حتى صارحوا بذلك علياً، فاستعظم الأمر جدًا، وأمر بإحراقهم أحياءً، فقالوا له: الآن علمنا أنك ربنا،

لأنه لا يعذب بالنار إلا ربها، وأمر عليٌّ مولاه قَنْبُر بإشعال النيران، وقذفهم فيها وأنشد: [رجز]

لما رأيت الأمر أمرا منكرا أجّجتُ ناري ودعوت قنبُرا[١]

وأنكر ابن عباس رضي الله عنهما على عليٍّ إحراقَهم بالنار أحياءً؛ لنهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٢]، ولكن الأمر كان نفذ، وانتشرت من يومئذ الأفكار السبئية المنحرفة وتبنّاها الروافض، وتفننوا في الانتصار لها، والدعوة إليها، ووضْع الأحاديث والآثار في تأييدها، حتى أصبحت الوصية، والعصمة، والتقية، والبداء، والرَّجعة، واعتقاد تحريف القرآن من ضروريات دينهم، وسكتوا عن دعوى الألوهية واعتاضوا عنها بالغلو البليغ، والإطراء المحرم، وقد اختلف العلماء في تعريف جامع مانع للشيعة، فقالوا أقوالاً لا تثبت على النقد، وأحسنها وأجمعها قول أبي محمد ابن حزم رحمه الله كما في الفِصَل: "من وافق الشيعة في أن علياً رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالإمامة وولده من بعده؛ فهو شيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً"[٣]. وهذا كما ترى منطبق على أبي الفيض؛ بل زاد غلواً وإفساداً في

---

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٥/ ٣١٧-٣١٨)، وتهذيب الآثار للطبري (٣/ ٨٢- مسند علي)، والقصة حسّنها الحافظ في الفتح (١٢/ ٢٧٠). (الناشر).

(٢) إنكار ابن عباس هذا، رواه البخاري (٣٠١٧).

(٣) الفصل في الملل والنحل (٢/ ١١٣).

عقيدته نحوه: فهو عنده يعلم الغيب كله، وأنه إمام الأولياء والعارفين كلهم، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اختصه بالمعارف الإلهية، وعهد إليه سبعين عهداً لم يعهدها إلى غيره، وأنه باب مدينة العلم، اعتماداً على حديث موضوع ألف أبو الفيض جزءا في تصحيحه عبثاً، وأنه رضي الله عنه خُلق والنبي من نور واحد، إلى غير ذلك من أمارات الغلو التي تنادي على صاحبها بالتشيع والرفض، ويرى القارئ أضعاف هذا في "البرهان الجلي"، فقد نقل فيه عن غلاة الصوفية المتأخرين، ما يوازي فضائح الروافض، ورحم الله الإمام أبا زرعة الرازي، فقد نقل عنه الخطيب البغدادي في "الكفاية في علم الرواية" قوله: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن، أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة[1]». ولا أدري ما يقول أبو زُرعة لو علم أن أبا الفيض كان يكفّر ويسب ويلعن علناً ستةً من الصحابة بأعيانهم وأسمائهم؛ بل وصرح - كما ذكرنا في الفصل السابق - بأن أكثر الصحابة كانوا يبغضون عليّاً، ويحسدونه ، ويعادونه؛ فهم لذلك منافقون لحديث «لا يحبك إلا مؤمن، ولا

(١) الكفاية ص(٤٩). وقد صدر أبو الفتوح كتابه "فضائل الصحابة والدفاع عن كرامتهم وبيان خطر مبغضيهم والطاعنين فيهم" بهذه القولة، وهذا الحكم العام، فاعجب من هذا الصنيع إذا قارنته بما قال في تقديمه لكتاب عدنان زهار!؟

يبغضك إلا منافق»، وهذا قول الروافض بنصه وفصه ، إلا نحو أربعة أو ستة الذين سماهم أبو الفيض في الفصل السابق ، فهل بعد هذا يساورك الشك أيها القارئ في انغماس أبي الفيض في حمأة التشيع والرفض، ولن يعدم مطعناً إذا أوردت عليه شهادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعاوية بالجنة في حديث أم حرام، وهو في الصحيح، ودعاء النبي له، وشهادة النبي لعمرو ابن العاص بالإيمان، ورضا الله على المؤمنين المبايعين لنبيه تحت الشجرة، كما جاء في القرآن، ومنهم المغيرة بن شعبة، كل هذا لا يساوي شيئاً بالنظر إلى عقيدته فيهم، نعم! إذا جاءت الموضوعات الملفقة، والأكاذيب المختلقة في فضائل علي وآل بيته، وذم أعدائهم؛ فعلى الرأس والعين، وناهيك من رجل أساء الظن بآلاف الرواة من الصحابة والتابعين؛ لأنهم من أهل الشام الذي كان شؤماً على الإسلام والمسلمين (في زعمه)، وقد ائتمروا بأوامر معاوية الطاغية فوضعوا الأحاديث في فضل الشام وأهله، وقد فضحه الله وعرّاه، فرجع عن رأيه لإكرام صوفية سورية له واحتفالهم به!! وقد سبقت كلمته في تصحيح "نهج البلاغة" لروحانية أسلوبه؟! وحثني مرةً على اقتناء شرح ابن أبي الحديد الرافضي المعتزلي على النهج، قال: إنه مصدر جدّ مُهم لمعرفة فضائل آل البيت ومناقب علي والحسْنين، ولما اشتريت الكتاب ـ وكان يومئذ نادراً ـ بثمن غال، وعكفت عليه؛ وجدت فيه ما أدهشني من مثالب الصحابة، والخوض بالباطل فيما شجر بينهم، وسبّ ابن عباس، وعمر بن عبد العزيز، إلى نصرة الاعتزال

والدعوة إليه، فراجعت أبا الفيض في هذه المصائب، فأجابني بأنه لا يصح إلا كتاب الله[١]، وقد مر بك إطراؤه كتاب "النصائح الكافية، لمن يتولى معاوية" ووصيته للكرافطي أن يبثه في الناس، ويدعو إليه بجد، وأشاد مرة في رسالة إليَّ بكتابٍ لابن مطهر الحلي، الرافضي، المعتزلي، الخبيث، صاحب "منهاج الكرامة" الذي أقبره شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه بـ"منهاج السنة"، يسمى: "الأَلْفَيْن، الفارقة بين الشك والـمَيْن"، قال والعهدة عليه: إنه ذكر فيه ألفَ دليلٍ لإثبات إمامة عليٍّ، وألفَ دليل لإبطال مذهب الأشاعرة[٢]. وأشهد لله ثم للتاريخ: إنني ما سمعت أبا الفيض وما رأيت في كتبه رداً صريحاً، أو حملةً علمية على الشيعة والروافض، مع أن كفرهم وإلحادهم فاق إلحاد اليهود والنصارى والمجوس؛ بل بالعكس إنه روى عن نحو خمسة أو ستةٍ من طواغيتهم ترى تراجمهم وثناءه عليهم في فهرسته الكبرى، المسماة "البحر العميق". نسأل الله العافية، وأن يقينا شر أنفسنا، ويطهر قلوبنا من غل المؤمنين من عباده.

وهذا نص مهم جامع مانع لأحد أئمتهم ومجتهديهم الملقب عندهم بالثقة الأوحد، نعمة الله الجزائري، أورده في كتابه المعتمد عندهم "الأنوار النعمانية"، ونصه: "إنهم ـ أي: أهل السنة ـ يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول

---

(١) انظر: الجواب المفيد ص(٨٣).

(٢) انظر: جؤنة العطار (٢/ ١٠١).

بهذا الرب، ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر، ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا"[1]؟!! وهذا نَصٌّ غني عن التعليق ـ نسأل الله العافية ..

(١) الأنوار النعمانية (٢/ ٢٧٨).

الفصل الخامس عشر

قوله بوصية علي رضي الله عنه بالمفهوم الشيعي، وتقديمه على إخوانه الخلفاء الراشدين الثلاثة

لم أكن - عَلِمَ اللهُ - أتوقع من أبي الفيض أن يُفضي به الضلال والغلو، إلى الاعتقاد بالوصية بالمفهوم الشيعي، إلى أن وقفت على تصريحه بها في مواضع من جؤنته وغيرها، ووَصْفِ علي رضي الله عنه بناءً عليها بالوصي؛ لأنها من خصائص مذهب الشيعة الروافض، التي بنوا عليها القول بالإمامة، وأنها الركن الأول في الإسلام، بعد كلمة الإخلاص، وأبو الفيض يغض الطرف عمداً عما يترتب على القول بالوصية من رمي الخلفاء الراشدين الثلاثة بالغصب، والتعدّي، والظلم، ومن ورائهم سائر الصحابة رضي الله عنهم الذين بايعوا الثلاثة وأجمعوا على خلافتهم، وقد قال سفيان الثوري رحمه الله كلمته العجيبة في الموضوع، وقد أشرت إليها قبل، وهي: "من قدَّم علياً على

إخوته الخلفاء فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار". وأي زراية أسوأ من اتهام أفضل الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعدوان والظلم.

والقول بالوصية هو منطلق الروافض قديماً وحديثاً، لسب الشيخين وسائر الصحابة؛ لاغتصابهم الخلافة من عليٍّ، وإظهار البراءة منهم، وتكفيرهم، واعتقاد أن علياً سيرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة، هو وآل بيته؛ للانتقام من أبي بكر وعمر وسائر الصحابة في تمثيليةٍ مزرية بالعقول، وليس الشأن في اعتقادهم هذا، فقد اعتقدوا ما هو أفحش وأعرق في الضلال والخبال من أمر مهديهم القائم!! ودخوله السرداب منذ ألف ومائتي عام تقريباً، ومناداتهم له بالخروج، وهتافهم بالدعاء له بكرةً وعشياً بالفَرَج! وإنما الشأن في أمر أبي الفيض وإخوته في اعتقادهم الوصية وهم يعلمون تاريخها، ويعلمون أن علياً رضي الله عنه بايع الخلفاء قبله، وأعلن أن أفضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ أبو بكر، وعمر، وقد ذكر مؤرخو الملل والنحل أن أول من أتى بفكرة الوصية، هو عبد الله بن سبأ اليهودي، اليمني، المكنى بابن السوداء، وإليك نصين مهمين في الموضوع من عالمَيْن جليلين في علم الفِرَق، لا يحوم حولهما الشك:

قال الشهرستاني في "الملل والنحل": "السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ؛ الذي قال لعليَ كرَّم الله وجهَه: أنت أنت يعني: أنت الإله؛ فنفاه إلى المدائن. زعموا: أنه كان يهودياً فأسلم؛ وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون؛ وصي موسى عليه السلام، مثل ما قال في علي رضي الله عنه. وهو أول من أظهر القول

بالنص بإمامة علي رضي الله عنه. ومنه انشعبت أصناف الغلاة"[١].

وقال عبد القاهر البغدادي عن ابن سبأ في كتابه "الفَرْق بين الفِرَق": "كان ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحيرة، فأظهر الإسلام، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة، فذكر لهم أنه وجد في التوراة: إن لكل نبي وصياً، وإن علياً وصي محمد، وإنه خير الأوصياء، كما أن محمداً خير الأنبياء"[٢].

قلت: ونصوص مؤرخي الفِرَق والنِحَل حول ابن سبأ وفرقته (السبئية) وما تفرق عنها من فِرَق وأفكار، كثيرة جداً، حتى مِنْ كُتب الروافض، وقد جمع الأخ الشيخ سلمان العودة جزءًا جد مفيد في الموضوع وهو مطبوع[٣]، وكان رداً غير مباشر على مرتضى العسكري، من غلاة الروافض المعاصرين، الذي أنكر الوجود التاريخي لابن سبأ وجماعة معه، في كتاب مطبوع، وقبله أنكر بعضهم وجود الوزير ابن العلقمي الرافضي، الذي تسبب مع النصير الطوسي في أفجع كارثة حلت بالمسلمين السُّنَّة ببغداد، على يد المغول المتوحشين، في القرن السابع، وقد تجددت المأساة اليوم على يد الروافض معززين بالصليبية العالمية، في مؤامرة مكشوفة لاستئصال الوجود العربي السني من العراق عموماً، وبغداد وما حولها خصوصاً، ومنذ أربع

---

(١) الملل والنحل ص(١٧٤).

(٢) الفرق بين الفرق (٢٣٥).

(٣) تحت عنوان: عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام. صدر عن دار طيبة بالرياض.

سنوات والمجازر ترتكب ليلاً ونهاراً، والمساجد تحرق وتدمّر، والعلماء والأئمة يقتلون علناً نهاراً، والعامة يُهجَّرون ليحل محلّهم روافض آخرون من غير دولتهم، والعرب السُّنة لا ناصر لهم إلاّ الله ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٤٠].

الفصل السادس عشر

قوله باستحباب اتخاذ القبور مساجد، وغُلُوُّه في ذلك حتى زعم أن الصلاة في الزاوية المقبورة أفضل من غيرها

هذه موبقةٌ ظاهرةٌ؛ مِنْ تواتر لَعْنِ فاعِلها، ووَصْفِه بالتشبه باليهود والنصارى في ذلك، وأنه من شرار الخلق، وقد وفقني الله تعالى ـ وله الحمد والمنة ـ منذ سنوات إلى جمع واحدٍ وأربعين حديثاً في النهي عن البناء على القبور، واتخاذها مساجد، وبطلان الصلاة فيها، وآثار أربعة عن الصحابة رضي الله عنهم مع مقدمة وخاتمة واعيِيْن في الرد على أبي الفيض وشقيقه عبد الله، لجرأتهما على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ومحاولتهما رد هذه الأحاديث المتواترة تواتراً معنوياً، بمحض الهوى والجهل، وليتهما سكتا وَكَعًّا عن العبث والتلاعب بالشرع والدين في سبيل نصرة الزاوية، وبيع القبور فيها، ولكنهما أبيا إلا الإلحاد والجحود، فألف الأول ـ "أبو الفيض" ـ منذ

عقود من السنين جزءًا طُبع بمصر بعنوان: "إحياء المقبور، بأدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور"، فلم يكتف بالجواز؛ بل حكم باستحباب وسائل الوثنية وعبادة غير الله، وقد ذكر في أثناء الكتاب ما يدل على أنه لم يكن يعرف توحيد العبادة والتوجه والقصد والدعاء، كسائر أهل بيته، الذين يكتفون بتوحيد الربوبية، وبه يفسرون كلمة الإخلاص، ولا يرون بأساً من دعاء الأموات، والتمسح بالأضرحة، والذبح لها، ومناداة أهلها، والاستغاثة بهم في الشدائد والأهوال، وأن هذا كله لا ينافي التوحيد ما دام صاحبه يعتقد أن الله تعالى واحد، وأنه الخالق، الرازق، المدبر، وهذا توحيد سلفهم المشركين، كما قصه الله عنهم في غير ما آية من كتابه العزيز، ولم يستح أبو الفيض أن يعد من كرامات جده أحمد بن عبد المؤمن كما في كتابه "المؤْذن" أنه أمر مَريداً فاسياً استدعاه للدخول في طريقته، فأجاب بشروط منها: أن يُغيثه إذا نزلت به شدة، فوعده الشيخ بذلك؛ طمعاً في جيبه، وأمره إذا حلت به نائبةٌ أن يتوجه نحو قرية (تجكان) بقبيلة بني منصور، وينادیه: (أسيدي أحمد، أسبع الأصفر، أمول اللحية الطويلة: غيثني)، أو نحو ذلك، وليراجع الكتاب[1] ففيه من مصائب القوم أكثر من هذا، وقد ذكر أبو الفيض في أول رسالته "إحياء المقبور" أن حديث أبي الهياج الأسدي أنه قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه خليلي صلى الله عليه وآله وسلم، اذهب فلا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفا إلا سويته، رواه

(١) المؤذن ص(٣٩).

مسلم في الجنائز[١]، قال عن هذا الحديث الصحيح: إنه متروك الظاهر ومؤول، وأخذ في تأويله، ومحاولة طمس معالمه بما حسبه دلائل، وهي في الواقع لا ترقى إلى الشبه[٢]، ونظرة واحدة من مؤمن منصف كافية بإقناعه بأن الحق واحد لا يتعدد، وأن ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا يمكن دفعه إلا بالإلحاد والجحود، ولما كان أبو الفيض يحاول دائما أن يأتي بجديد، وأن لا يقتصر على المعروف عند الناس، فقد أوحى إليه الشيطان أن يأتي بفاقرة حالقة للدين والإيمان الحق، وهي زعمه أن الصلاة بالمساجد الخالية من القبور ليست كالصلاة في الزوايا والمقابر؛ لفقدانها التأسي بالمسجد النبوي في الصورة، وهو يعلم ـ عامله الله بما يستحق ـ أن إدخال القبر النبوي في المسجد، كان لسبب سياسي، وعلى يد بني أمية الذين يتقرب أبو الفيض إلى الله تعالى ببغضهم ولعنهم، ولكنهم لما وافقوا هواه؛ أقر فعلهم، وجعله قربةً وعبادةً؛ يقتدى بها، فانظر كيف يفعل الهوى والضلال بأهله، عياذاً بالله، وقد رأيته يختار في رسالة إلى أبي الفتوح مذهب الإمام مالك رحمه الله في تأويل النهي عن الجلوس على القبور[٣]، بأنه الجلوس للتغوط لا غير، ولا أدري ما يفعل بحديث الوَطْء "لأن يطأ الرجل على جمرة.."[٤] والوطء يكون بالأقدام، فهل جعل الأقدام تتغوط كالأدبار!!.

---

(١) صحيح مسلم رقم (١٦٠٩).

(٢) انظر إحياء المقبور ص(٥٧). ط. دار لوران - الإسكندرية.

(٣) رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رقم (١٦١٢).

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٥٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٢٠).

وكنت سألتُه مباشرةً عن تناقضه في رسالته "الاستنفار للتشبه بالكفار" حيث عقد باباً في تحريم اتخاذ المساجد على القبور؛ لعلّة التشبه بالكفار[١]، فتردد واضطرب، وأشار إلى أن المدار على القصد والنية، فكان عذراً أقبح من الزلة كما يقال، ولعل ظهور البطلان فيما ذهب إليه هو الذي حدا بأبي الفتوح إلى مخالفته في هذه المسألة، وليته نهج هذا المنهج السليم في سائر موبقاته، وفيها ما هو أبشع وأفظع، ولكنها الزاوية والطريقة، والحِفاظ على طقوسها الوثنية، وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[القصص:٥٦].

(١) وأورد فيه حديث أبي الهياج الأسدي. انظر: "الاستنفار"، بتهذيب عبد الله التليدي ص(٤٠-٤١).

الفصل السابع عشر

استحبابه الرقص اليهودي أثناء ما يسمونه : الذكر والحضرة والعمارة، والتي تنشد أثناءها أشعار الاتحاد والحلول والوحدة على نغمات المزامير ونقر الطبول، وبأصوات المُردان، واستحبابه لسجود المريدين له، لتقبيل قدميه، وهي فاقرة موروثة عن مشايخ الطرق، مع حمل السبحة الوثنية في الأعناق

استحباب أبي الفيض للرقص المسمى بالمغرب (العمارة)، وهو عام في الطرق الصوفية بالمغرب وغيره، إلا الطريقة الناصرية، فإني لا أعرفهم يرقصون، وأبلغهم في باب الرقص، وهم أهل طريقة (دَرْقاوة) أتباع العربي الدرقاوي، وهم شُعَبٌ وطرائق، وقد اتفقت كلمة المؤرخين المحققين أن هذا الرقص من طقوس اليهودية إلى الآن، فقد ألف دكتور عراقي كتاباً كبيراً في اليهود (الحَسِديمْ) وذكر من أعمالهم الدينية الرقص والسماع، وأتى بنصوص

من التوراة وغيرها على ذلك، والطريف أنه نشر صوراً لأحبار اليهود (الحَسِيديمْ) وهم يرقصون متحلقين بلحاهم، وضفائرهم؛ آخذين بيد بعضهم، وفيهم من يغني لهم بأشعارهم، وهذا يؤكد ما ذهب إليه الإمام القرطبي في تفسير سورة طه من كتابه "الجامع لأحكام القرآن"[1] في قصة السامري، وأنه اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار، قاموا يرقصون حوله؛ تعبداً وشكراً، ونقل هناك تصريحاً لأبي بكر الطرطوشي، أن الرقص من دين اليهود، وقد ألف كثير من العلماء رسائل في الرد على الصوفية الرَّقَصَة، وأن الرقص غريب عن الإسلام، وبالتالي: فإنه حرام لا يجوز بحال؛ لأنه تشبه باليهود فيما هو خاص بدينهم، منهم صاحب "الرهص والوقص لمستحل الرقص" لبرهان الدين الحلبي، ومحمد المنبجي في رسالته، وهما مطبوعان.

وكذلك السبحة ثبت في البحث التاريخي أن أصلها وثني، وما زالت إلى الآن من شعار البوذيين والبراهمة والنصارى، ونحن نراهم متقلدينها، وفي أيديهم في الفضائيات، وقد أجاد العلامة المحقق بكر عبد الله أبو زيد القضاعي في رسالته الماتعة "السبحة" فذكر تاريخها، وأشكالها، وكيف دخلت على المسلمين، وغلا فيها الصوفية المتأخرون حتى جعلوها شعار الذكر، وألف فتح الله بناني الرباطي (شيخ أبي الفيض) كتابا فيها سماه "تحفة أهل الفتوحات والأذواق، في اتخاذ السبحة وجعلها في الأعناق" أتى فيه من أنواع الخرافات والدجل، ما يشي بأن الرجل يكيد للإسلام، ويحارب السنة،

---

(١) (١١/ ٢٣٧-٢٣٨).

وقد شاهدتُ مراراً أبا الفيض يرقص في زاويتهم بطنجة على نغمات المزامير، وأناشيد المسمعين، وهي كلها تدور على أشعار عمر بن الفارض، وأبي الحسن الششتَري، ومحمد الحراق، ونحوهم، وهي السمّ الزّعاف؛ لحمتها وسداها: وحدة الوجود، والاتحاد، والحلول، والدعوة إلى ذلك، كما شاهدتُ مثل ذلك في زاوية الحراق بتطوان، وبين الفينة والأخرى يتهافت أحدهم على رِجْلَيْ الشيخ؛ يقبلها ويُمَرِّغ خديْه عليهما، وقد يمكث ساجداً عليهما مدة؛ بل رأيت بعضهم يُقبل مجلس الشيخ ويبكي بحُرقة في غيبته، ومن الجدير بالذكر أن إمام العارفين الكبريت الأحمر، والشيخ الأكبر، قدوة أبي الفيض وإخوته وقبيله: محمد بن علي بن العربي الحاتمي المرسي، ذكر في كتابه "رسالة القدس" ـ وهي مطبوعة بدمشق قديماً ـ قصة مُفادها باختصار: أنه حضر حفلاً للصوفية في دار أحدهم بإشبيلية بالأندلس، وكان جالساً بجنبه رجل أعمى ـ من الأولياء ـ عنده، وأن الفقراء جلسوا في حلقة يذكرون ويتناشدون الأشعار، فقال له الأعمى: ها! الشيطان الساعة دخل من الباب في صورة عنز، وأنه أخذ يدنو من الفقراء ويشمهم وينتقل، ويصف الوليُّ الأعمى الفقيرَ وشكله ولباسه، وابن العربي يعجب من قوله لصدقه، إلى أن وصل إلى فقير وصفه الأعمى، وأطال الشيطان الوقوف عنده وشمّه، ثم قال: ها هو نطحه، فبمجرد ما قال ذلك، صاح الفقير وتواجد وقام يرقص. وقد أشار إلى ذلك أبو العباس أحمد زروق في كتابه "عدة المريد الصادق" وهو مطبوع، وكنت أحتج على الصوفية بهذه القصة، وردّ الشيخ

زروق لبدعة الرقص[١]، وهما من أقطاب الصوفية وكبارهم، فلم أجد عندهم ما يردون إلا قولهم: «إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون». وسمعت صوفياً يروي بسنده إلى الشيخ محمد الحراق أنه سُئل عن الرقص؟ وكان شديد الولع به، فقال: هذا شيء أوصانا عليه أشياخنا، لا نتركه ولو طارت عليه أمخاخنا. وقد سبق النقل عن الشيخ الزمزمي في كتابه "الزاوية" روايته عن شقيقه أبي الفيض أنه رقص وتواجد بالزاوية حتى خلع جلابته ـ وهي لا تساوي بصلة على حد تعبير الشيخ محمد الزمزمي ـ، فبيعت بالدلالة بخمسمائة ريال فضي، اشترى بها أبو الفيض دُويرتين.

وهذا البلاء قديم، فقد رأيت الضياء المقدسي صاحب "الأحاديث المختارة" وهو من أهل القرن السادس والسابع، عقد في رسالته النافعة "اتِّباع السنن واجتناب البدع" ـ وهي مطبوعة باباً ـ لما يُكره من الرقص ونحوه، أورد فيه آثاراً وأخباراً، منها ما هو مشهور كقول الشافعي رحمه الله: «تركتُ بالعراق شيئا يسمونه: التغبير، وَضَعَتْهُ الزنادقةُ؛ يُشْغِلُون به الناس عن القرآن». والتغبير: تهليلٌ وترجيعُ صوتٍ؛ وهو: السماع. وقد سئل

---

(١) قال زروق رحمه الله: فصل في السماع والاجتماع: وهو ما تسرع إليه نفوس الجاهلين، وتولع به قلوب الغافلين، وتؤثره توجهات البطالين، وينتفع به ضعفاء المشرفين، وتقف معه حقائق المجانين، وترتاح إليه أكباد المفتونين.... ونقل عن أبي الحسن الشاذلي أنه قال: "سألت أستاذي رحمه الله عن السماع، فأجابني بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾[الصافات:٦٩-٧٠]. الشيخ أحمد زروق وآراؤه الإصلاحية. تحقيق ودراسة لكتابه "عدة المريد الصادق". إدريس العزوزي (٥٣٦-٥٣٩).

الإمام أحمد عنه وقيل له: إنه يرق عليه القلب؟ فقال: هو بدعة. وروى الضياء عن أبي الحارث الأولاسي أنه قال: رأيت إبليس في النوم بأولاس، وهو جالس، وعن يمينه جماعة، فقال إبليس لطائفة منهم: قولوا شيئا - وكانوا على شيء من السماع - فأخذوا في القول، قال أبو الحارث: فاستغرقتني الغيبة حتى لعلي كدت أطوّح نفسي من السطح، ثم التفت إلى طائفة أخرى فقال لهم: ارقصوا، فرأيتهم يرقصون ويشيرون في الرقص إلي إشارات حسنة، ويزعقون، ويصيحون حتى تحيّرتُ، ثم قال لي إبليس: يا أبا الحارث، أليس هذا حَسَناً؟ قلت: بلى، قال: ما أصبت شيئاً أدخل عليكم به؛ ليكون لي عليكم سلطان؛ إلا هذا. فخرجتْ شهوةُ السماع من قلبي، فما سمعتُ بعدها. ثم أورد الضياء رحمه الله أشعاراً في ذم الصوفية ورقصهم، ومنها قصيدتان رأيت إثباتهما لما فيهما من صادق الوصف، حتى كأنه يصف صوفية العصر، وهما للرجل الصالح أبي العباس أحمد ابن الجاجة رحمه الله. قال في الأولى، وهي بائية من [البسيط]:

يا سائلي عن طريق الفضل والأدب
عن معشر فعلهم أدى إلى العطب
قوم إلى راحة استأنسوا ونأوا
عن التكسب بين الناس والتعب
قالوا بلا سبب: الله رازقنا
والله رازقنا بالسعي والسبب
أليس مريم رب العرش قال لها:

هُزي إليك بجذع يانع الرطب
ولو يشاء أتاها رزقها رغداً
من غير ما تعب منها ولا نصب
وكان رزق رسول الله جاعله
رب البرية تحت القعص والقُضُب
وباكروا اللهو واللذات، واتخذوا
لهو الحديث لهم دينا مع الطرب
إذا ما أتوا منزلا قالوا لصاحبه:
قَبِّلْ يد الشيخ ذي الإكرام والأدب
هذا له نظرٌ، هذا له هممٌ
له الكرامات بين العجم والعرب
يمشي على الماء يطوي الأرض قاطبة
وفاتح كل باب معلق أَشِبِ
اطلب رضا الشيخ وانظر أين مذهبه
وليس مذهبه إلا إلى الذهب
هذا وقد جاء بالمعلوم فابتدروا
مُحسِّرين عن الأيدي على الركب
كل امرئ منهم في الأكل معضلة
ومرجف الأرض يوم الروع بالهرب
إذا تغنى مغنيهمْ سمعت لهمْ
صراخ قوم رُموا بالويل والحَرَبِ

مـا زال ليلـهمُ رقـصاً فـإن تعـبوا
تطـارحوا فـي زوايا البيت كالخُشُبِ
ضرب القضـيب مدى الأيـام شغلهم
والرقص دأبـهم والضرب في القرب
قالوا: لنا مذهب، وهْو الـحقيقة لا
نقول بالشـرع ثم الدرس في الكتب
ولا نريـد مـن الرحـمن جنـته
ولا نخاف لظى جاءت على غضب
فهل بـهـذا كتـاب الله أخـبـرنا؟
وجاءت الرسل بالترغيب والرهب؟
زاروا النساء وواخَوْهُنّ هل عُصِموا
منـهن أم أمـنوا مـن طـارق النُّوَبِ
نسـوا قضـية هـاروت وصـاحبه
ماروت إذ شربـا كـأسا من العطب
وهـمّ يوسـف لولا أن رأى عجـبا
بُرهان خالـقه فاعجب من العـجب
ونظـرة تركـت داود ذا حُـرقٍ
علـى خطيـئته باكٍ أخـا كُرَبِ
أبْـرا إلـى الله من قوم فعالـهمُ
هذا وعن ذمهم ـ ما عشـتُ ـ لم أَتُبِ

وله أيضا رحمه الله:

يا سالكي سبل العدوان والتُّهَمِ
وتابعي نِعم الرحمن بالنِّقَمِ
وتاركي سبل المعروف عافية
وآخذي طرق الخذلان والندم
ألبستمُ الدين عاراً من فعالكمُ
ما ليس يحسن من عُرْب ومن عجم
سميتم الدين من لهو ومن لعب
ديناً وقُرْبى إلى الرحمن ذي الكَرَمِ
يا مشبهي حُمُر الصحراء رامحة
لما تملت من الخضراء والدِّيَمِ
هل كان فيما مضى من فعل سيدكم
ضرب القضيب ورفس الأرض بالقدم
كلا ومن نظر الأشياء مقتدرا
إلا الصيام وحجّ البيت ذي الحرم
ثم الصلاة وإيتاء الزكاة معا
ثم القيام لرب العرش في الظُّلَمِ
ثم الجهاد وتعليم الفروض وما
يحتاجه الناس من فعل ومن كلم
أجعلتمُ قصة الحُبْشان حُجتكمْ[1]

---

(١) والمقصود بـ(قصة الحُبْشان)؛ ما رواه البخاري (٤٥٤)، ومسلم (٦/ ١٨٤-١٨٧ ـ =

ولـم تَعُوجوا على الأحكام والحِكَمِ
هــلا اعتبـرتم بمـا سَمـتْه أمـكمُ
إن كنـتم من بنيها يا أولـي التـهم
ولم يكـنْ فعلهم شبْـهاً لِفِعْـلِكُمُ
لكنـكم زدتـمُ بالأكـل والبــشم
جعلتـموه لأكل الـخبز مصــيدة
وللفـسـاد مـع الأشـرار والـخــدم
جعلـتمُ الشيـخ هاديـكمْ فقـادكمُ
إلـى الضلال وكنتمْ من أولـي البكم

=

نووي) من لعب الحبشة في المسجد بالحِراب: وكانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تنظر إليهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم، يسترها بردائه، فقد استدل به الغزالي في "الإحياء" (٢/ ٢٥٤-٢٥٥)، على جواز (التواجد) أثناء السماع، وانظر أيضاً: "عوارف المعارف" للسهروردي (٥/ ١١١ ـ المطبوع مع الإحياء). (الناشر).

الفصل الثامن عشر

احتجاجه بالأحاديث الموضوعة والواهية مع معرفته بها، وقد استكثر من ذلك في كثير من مؤلفاته

ذلك أن الرجل ـ أبا الفيض ـ يغلبه هواه، فيذكر ما تيسر عنده؛ لدعم رأيه أو بدعته، بقطع النظر عن رواية الحديث ودرجته، ولا يكلف نفسه بحثاً ولا مراجعة، وربما تناقض في ذلك فيوهن ما يحسّنه أو يضعّفه، ويوقعه في هذا حُبُّ الاستكثار، واغتنام الوقت في التأليف ولو على حساب الحق.

وأمر آخر وهو: أن أبا الفيض، أَصَّلَ أصلاً عجيباً انفرد به بين العلماء، وقد شافهني به حينما سألته عن إيراده الأحاديث الموضوعة في كتابه "مطابقة الاختراعات العصرية" فقال لي: هذه الأحاديث لا تحتاج إلى أسانيد ولا نقد، لأنها مطابقة للواقع، والواقع يشهد لها. وتابعه على هذا الصنيع شقيقه

عبد العزيز في "الأربعون العزيزية[١]"، وعهْدي بالشيخ أبي الفيض يستنكر صنيع المحدثين القدامى في روايتهم الأحاديث والآثار، أو إيرادهم إياها في مصنفاتهم بالأسانيد، وسكوتهم عليها، وقالوا في الاعتذار عنهم: «من أسند لك فقد أحالك»، وهذا غير مُسَلَّمٍ[٢]، وإن جرى به عملهم؛ لأن الأمر يتعلق بصميم الدين والعقيدة، وهو النقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والحكاية عنه، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد، ومن كذب عليَّ فليلج النار»[٣]، وفي رواية مسلم: «فليتبوأ مقعده من النار»[٤]، وقد تواتر هذا اللفظ: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»، والحديث الفصل في هذا الباب الذي سدّ الأبواب والمنافذ؛ إلا على من لا يخشى الله تعالى، هو قوله عليه الصلاة والسلام: «من حدَّث عني بحديث يَرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» رواه مسلم[٥]، لا سيما على رواية (يُرى) بالبناء للمجهول، ومن شأن هذا أن يقلق راحة المؤمن، ويقض مضجعه؛ فلا يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بما يتيقن أنه صحيح، ولكن الأمر ـ مع الأسف الشديد ـ بخلاف ذلك،

---

(١) الأربعين العزيزية فيما أخبر به النبي صلوات الله عليه من أحوال الوقت. الفائدة الخامسة. ص(٢٤).

(٢) وانظر جؤنة العطار (٢/ ٨).

(٣) رواه البخاري رقم (١٠٣).

(٤) صحيح مسلم رقم (٥).

(٥) صحيح مسلم رقم (١).

فلا تكاد تجد من يتحرى في التحديث إلا الفرد بعد الفرد، وقد كانوا يتهيبون الحكم على الحديث بالضعف، أفلا يتهيبون الحديث عنه عليه الصلاة والسلام بما يجدون!؟ ثم إن آفة أبي الفيض أنه كان يعتمد على ذاكرته ومحفوظه، فيذكر ما يجد، فيقع في أخطاء في العزو والألفاظ، وكان يعيب ذلك على شيخ الإسلام ابن تيمية، ولكن الفرق بين الرجلين أن ابن تيمية أحفظ بمراحل، وهو يتحرى فلا يحتج بحديث واهٍ أو موضوع ويسكتُ عنه وهو يعلم، بخلاف أبي الفيض فحسبه نصرة هواه، وقد ذكر الأخ مصطفى باحّو السفياني في "تنبيه القاري" أكثر من ثلاثين حديثا احتج بها أبو الفيض وهي موضوعة لا تخفى عليه، فوقع تحت طائلة الحديث الصحيح السابق «من حدث عني بحديث يَرُى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين»، نعوذ بالله تعالى من هول البلاء، ونسأله الصون والحفظ.

وهذه أحاديث احتج بها أبو الفيض لم يذكرها السفياني، ولم أستقص، وفيها ما حاول أبو الفيض تصحيحه عبثاً:

١- حديث: «خُلقتُ أنا وعليّ من نور واحد»، أورده في "البرهان الجلي" وسلّمه بالسكوت، وإن أشار إلى أن الخطيب أخرجه بسند من طريق أهل البيت بلفظ: «من طينةٍ واحدة»، وهو موضوع.

٢- حديث: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب». وقد ألف أبو الفيض جزءاً في تصحيحه طبع بمصر أيام شبابه واتصاله بالزيدية، وقد أصّل فيه أصولاً لا تُعرف عند المحدثين، منها: تعديلُ

المجروحين، والتحمس للرواية عن الشيعة، وقد جَرَّأه على ذلك شيخه ابن عقيل الرافضي صاحب "العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل". ومنهج أبي الفيض تصحيح الحديث بكثرة الطرق، وإن كانت كلها مدخولة، وكثرتها والحالة هذه، لا تزيد الحديث إلا وهناً، وليُراجع كلامُ العلامة الناقد بحق عبد الرحمن المُعَلِّمي في تعليقه على "الفوائد المجموعة" للشوكاني حول هذا الحديث لمعرفة رتبته، وأنه موضوع.

٣- حديث: من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد، ألف أبو الفيض جزءا في تصحيحه أيضاً، رداً على ابن تيمية وابن القيم سماه "درء الضعف"، وقد طبع بتحقيق إياد الغوج بدمشق[١]، وقد ناقشه المحقق بحق، وإن صبغ منهجه بصبغة كوثرية[٢] قد لا تحمد أحياناً، وانتهى إلى ضعف الحديث. وقال البقاعي بأنه صح موقوفاً. وأبو الفيض يشيد بمؤلفه هذا، ويتباهى به، ويحض على قراءته!

٤- حديث الطير، وفيه: «اللهم ائتني بأحب الخلق إليك يأكله معي، فجاء علي»[٣]. وقد صححه أبو الفيض وأشاد به، والعمدة في التصحيح

---

(١) الجزءُ من منشورات دار الإمام الترمذي، ودار المصطفى - الطبعة الأولى، عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. (الناشر).

(٢) بل تراه في بعض حواشيه على هذا الجزء، ينعتُ الكوثريَّ بـ(الإمام)، كما في ص(١١)، و(٤٠)، و(٧١)، بل إنَّ إياداً الغَوْج، كنَّى نفسه بـ(أبي زاهد)، كما في حاشية ص(١٣٧) من الجزء المذكور، وكذلك تكنَّى بهذا مَفْتُونُ الكوثري (عبدالفتاح أبو غدة). (الناشر).

(٣) انظر: "المنتقى من منهاج الاعتدال" ص(٤٧٢)، فقد حكم بوضعه. (الناشر).

عنده كثرة الطرق بغض النظر عن سلامتها وكثرة الاضطراب.

٥- حديث ردّ الشمس لعلي، وهو كسابقه، أُفردتْ طرُقه بالتأليف، وكلها معلة بعلل قادحة، وكلام ابن تيمية فيه في "منهاج السنة النبوية"[١] قاطع للنزاع لأصالته رغم أنف أبي الفيض.

٦- حديث: المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد. احتج به أبو الفيض في أول كتابه "المثنوني والبتار"، وهو واه[٢]، وحتى بلفظ:.. له أجر شهيد، ضعيف أيضا[٣].

٧- حديث: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون». أمر أبو الفيض بكتابته مع آيات وأحاديث في لوحات بخطوط مشرقية مزخرفة، وأُثبتتْ فوق المنبر، وقد خرق تلك الألواحَ؛ الشيخُ الزمزمي، بعد أن احتج به على مشروعية الرقص الصوفي في رسالته "الانتصار لطريق الصوفية الأخيار[٤]" ثم تاب إلى الله تعالى، والحديث ضعيف، آفته: دَرَّاج أبو السمح كثير المناكير[٥].

٨- حديث: «من سب عليًّا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله،

---

(١) (٨/ ١٦٥-١٩٨). (الناشر).

(٢) انظر السلسلة الضعيفة لشيخنا الألباني رقم (٣٢٦).

(٣) المرجع السابق رقم (٣٢٧).

(٤) الانتصار ص(٢٥).

(٥) انظر السلسلة الضعيفة رقم (٥١٧). قال الناشر: وبنحوه أحاديث لا يثبت منها شيء، انظر لها: الضعيفة للألباني، رقم (٥١٥، ٥١٦).

ومن سب الله كفر»[١]. وهذا منكر[٢].

٩- ذكر في "الجؤنة": قال ابن الفراء: أنبأنا المبارك - يعني: ابن عبد الجبار الصيرفي -، عن الحسن بن علي التميمي، أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثتني خديجة أم محمد وكانت تجيء إلى أبي وتسمع منه ويحدثها قالت: حدثنا إسحاق الأزرق، حدثنا المسعودي، عن عون بن عبد الله قال: كنا نجلس إلى أم الدرداء ونذكر الله عندها فقالوا: لعلنا أمللناك، قالت: تزعمون أنكم أمللتموني، فقد طلبتُ العبادة في كل شيء؛ فما وجدتُ شيئا أشفى لصدري - ولا أحرى أن أصيب به الذي أريد - من مجالس الذكر. قال أبو الفيض: وفي هذا الأثر دليل على اجتماع الرجال بالنساء في مجالس الذكر كما يفعله بعض الصوفية إذا أُمنت الفتنة، وأن بمجالس الذكر تنشرح الصدور وتقضى الحوائج، وأن السلف الصالح وخير القرون وعصر الصحابة والتابعين، كانوا يعقدون مجالس الذكر حتى مع النساء[٣]. **قلت**: انظر كيف بنى على أثر ضعيف[٤] حُكماً عاماً وألصقه بالسلف الصالح! اللهم هذا بهتان عظيم.

---

(١) جؤنة العطار (٢/ ٢١٨).

(٢) انظر الضعيفة رقم (٢٣١٠).

(٣) جؤنة العطار الجزء الثالث. لطيفة رقم (٦٦٦).

(٤) فيه عبد الرحمن المسعودي اختلط بآخرة. وكم مرة أعلَّ به أبو الفيض، لكن هنا أعماه الهوى عن إبصار الحقيقة - أعاذنا الله من الخذلان -.

١٠- ذكر في "الجؤنة" أيضا: قال الزبير بن بكار: حدثنا محمد بن الحسن، عن عبد الله بن عمر بن محمد بن هيضم المزني، عن أبيه، عن جده أبي هيضم وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشرف على طرف وسط البقيع فصلى فيه. قال أبو الفيض: وهذا دليل على أن النهي عن الصلاة في المقبرة معلل بخوف قصد الصلاة إليهم وإشراكهم في العبادة كما عليه القوم قبل الإسلام، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بريء من ذلك، فلذلك صلى هو في وسط المقبرة، ولو كان النهي لذات المقبور لا للعلة المذكورة؛ لَـمَّـا صلَّى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيها[١]. قلت: إذا ثبت العرش انتقش؛ الحديث موضوع فلا داعي للاستنباط والتعليل، فيه محمد بن الحسن هو ابن زبالة المخزومي، قال يحيى بن معين: كذاب خبيث، ليس بثقة ولا مأمون، وَهَّاهُ أبو زُرعة، وأبو حاتم، وزادَ: ذاهبُ الحديث، ضعيفٌ، وقال الدارقطني: متروك[٢]. وهو يعلم هذا ومع ذلك احتج به، بدليل ما قاله في حصول التفريج: «وأخرج أبو نعيم في مستخرجه لمحمد بن الحسن بن زبالة المخزومي، وقد كذَّبه أبو داود»[٣]، فنسأل الله عز وجل أن يعصمنا من داء الهوى، ويجنبنا مهاوي الردى.

والمقصود أن أمر أبي الفيض في هذا الشأن غريب، فهو إن اختار حديثاً

---

(١) جؤنة العطار الجزء الثاني. فائدة (٤٩٤).

(٢) انظر تهذيب التهذّيب (٩/ ١٠١).

(٣) حصول التفريج ص(١٠١).

لموافقته هواه؛ صححه، وبذل جهده في ذلك، وربما ألف جزءاً فيه، وإن كان حديثاً يخالف هواه ردَّه وحكم بوضعه، وإن كان في الصحيح، بل متواتراً، كما فعل في أحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد. فسبحان من أعمى بصيرته حتى ارتكس في هذه البلايا التي لا يسلم معها إيمان المرء، وهذا أكبر مؤلفاته في باب نقد الحديث المسمى "المداوي، لعلل السيوطي في جامعه وشرحيه للمناوي" وقد طبع بعد وفاته بمصر في ستة مجلدات كبيرة، من وقف عليه؛ تيقن أنه إنما ألفه لسب المناوي وشتمه وتجهيله بحق وبدون حق، وقد أشار شقيق أبي الفيض: عبد الله، في أوله إلى أنه تصرف فيه بحذف ما بالغ فيه المؤلف من السب، ومع هذا فقد كُتب على أول ورقة الجزء الأول الكلمة العوراء لعبد الله هذا في كتاب شقيقه وهي: من أراد معرفة صناعة الحديث فعليه بالمداوي.

والملاحظ أن هؤلاء الغماريين: أحمد، وعبد الله، وعبد العزيز، وعبد الحي، معجبون بعلمهم، ومعندون بأنفسهم، ولا سيما إمامهم أبو الفيض، فإنه كان يحث تلاميذه على قراءة كتبه ولا سيما "فتح الملك العلي" ويقول بأن الله مَنَّ عليه بمنقبةٍ، وهي أنه يُفتح على من تلمذ على كتبه، ويسمِّي شقيقَه عبدَ العزيز الذي تخرج على "فتح الملك العلي" والشيخَ المنتصر الكتاني، بأنه ما عرف الحديث إلا من طريق كتبه، ويُهيب بذنبه الأبتر عبد الله الكرفطي أن يعكف على "فتح الملك العلي"، و"درء الضعف"، فإنهما كفيلان بتخريجه محدثاً بطنجة، والناس يعرفون مرتبة هؤلاء في

الحديث. وفي المكاتب جزء[١] ألفه الألباني في انتقاد صنيع المنتصر الكتاني فيما اختاره من أحاديث لطلبة الجامعة السورية، وقد أبان به جهل الشيخ المنتصر بالحديث الذي أخذ علمه عن أبي الفيض، والمداوي وقفت عليه مخطوطاً في حياة مؤلفه، وانتقدت عليه سكوته المتكرر عن عشرات الأحاديث، ولعلها مئات ينتقدها على المناوي من حيث العزو والخطأ فيه ونحو هذا، أما مرتبة الحديث التي هي المقصودة من التخريج والنقد، للعمل والتعبد، فلا يعيرها الشيخ أبو الفيض اهتماماً، وكفى بهذا جهلاً وضلالاً، ولا يتسع الوقت لتتبع أخطاء كتابه "المداوي"، وهو واسع المجال، كثير الأوهام التي وقفت على بعضها بمجرد التصفح، على قلة البضاعة، وعدم الدُّربة، وانعدام المساعد، وعسى الله أن يقيض لهذا الكتاب من يتقن نقده، ويبطل آيته التي طالما سمعنا نقيق الغماريين بها، والله يعلم المفسد من المصلح، ومن الجدير بالذكر أن شيخنا الألباني اطلع على بعض أجزاء المداوي وهو مريض مرض موته، وانتقد عليه كثيراً كما في أجزائه الأربعة الأخيرة من موسوعته الرائدة سلسلة الأحاديث الضعيفة.

---

(١) اسمه "نقد نصوص حديثية في الثقافة العامة".

الفصل التاسع عشر

قوله بالبدعة الحسنة في الدّين، ونصرته لكثيرٍ من البدع أخذاً بهذا المبدأ، وإنكاره للقياس مطلقا

هذا الفصل يتضمن بائقتين: قول أبي الفيض بالبدعة الحسنة في الدين، أي: في العقيدة والعبادات، ونصرته بالتالي لكثير منها، والبائقة الثانية: إنكاره للقياس. أما انتصاره للقول بالبدعة الحسنة فلا يحتاج إلى استدلال؛ لأنه زاول ذلك عمره كله علناً، وهذه الزاوية والطريقة الصوفية واعتباره إياها من الدين، وأنها مقام الإحسان!؟ بل ونقل في "البرهان الجلي" عن جده لأمه أحمد ابن عجيبة أن جبريل عليه السلام نزل أولا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالشريعة، ثم نزل مرة ثانية عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالحقيقة[1]، وهكذا يكذبون على الله تعالى وملائكته ورسله دون خوف ولا وجل، وهذا

---

(١) البرهان الجلي ص (٦٤).

القول ذكره ابن عجيبة في أوائل شرحه للحكم كما سبق، وقد تبنى أبو الفيض كأبيه وجده وسائر الطرق الصوفية الشاذلية بالمغرب وغيره جميع بدع الطرق من: الذكر جهرا بالشوارع والأسواق، والذكر بالإسم المفرد بعد الصلاة، ولا سيما ما يُسمى بـ"الحُلل"، وهو ذكره بتمديد وتمطيط بليغ مع الألحان، وتنتهي للقيام للرقص، والتسول والتكفف الفاضح لحساب الشيخ والزاوية، مع الذكر جهرا في الأسواق، وما يسمى "السياحة"، وهو خروجهم وحدهم أو مع مشايخهم إلى القبائل والقرى حيث يوجد المَريدون لسلبهم أموالهم، ولا سيما قبل عيد الأضحى، فيرجع الشيخ بقطيع من الماشية، واستعمال السُّبح والتفنن في أشكالها وحملها في الأعناق، وفيها من السخف والشهرة ما يستعاذ بالله منه، ويلاحظ أن الغماريين لا يحملون السُّبح لا في أيديهم ولا في أعناقهم، وإنما يأمرون بها مَريدهم، ولعل في ذلك دسيسة، كالذكر جهراً في الأسواق، فإني لا أعرف أحدا منهم يفعل.

ومن الطرائف أن درقاويا كان بتطوان يصيح في الشوارع بالذكر ويمزجه بالشرك بذكر مولاي عبد السلام (مولى التشتة والمقامْ، والنسخة وعرفة كل عام)، وينهي ذكره بقوله: يا قوي يا معين... الخ حتى لقب به، ولا حظنا عجبا وهو أنه إذا خرج من دكانه بالخرازين وشرع في الذكر اجتمع عليه الكلاب ينبحون مساوقة مع ذكره، وربما جاءه الأطفال وأخذوا بعصاه الغليظة فلقنهم الذكر بالاسم المفرد والرقص، وسألني مرة وأنا بالخرازين[1]

(١) اسم حي بتطوان.

عن هذه الظاهرة، وهي نباح الكلاب مع الذكر، فأجبته بأن هذا الذكر بالجهر في الشوارع بدعة لا تجوز، والملائكة لا تحضر مع الكلاب، فرد علي بأنه سأل صهري الفقيه التجكاني[1] ـ وهو درقاوي جلْد وابن عمة أبي الفيض ـ فأجابه بأن تلك الكلاب فقراء يذكرون الله معك؟! وشكى إليه مرة إسكات البوليس له في الأحياء الجديدة ولا سيما في أبواب الإدارات، وتهديدهم له، فحثه على الذكر هناك وعدم المبالاة بتهديدهم، ولما أخبرني بذلك هذا المَريد، قلت له: ارجع إلى الفقيه، واطلب منه أن يخرج معك للذكر في الأسواق وعلى أبواب الإدارات في الشارع الأوربي، فإذا فعل ذلك خرجت معكم أنا أيضا، قل له هذا، وأنا أعلم أنه لن يفعل أبدا، وإنما يدفعون هؤلاء الأغمار لهذه الأعمال المبتدعة، والمزرية بالذين، ويقبعون هم بزواياهم يسخرون منهم، وقد حدثتني حماتي بواسطة ابنتها أن والدها الشيخ محمد ابن الصديق والد أبي الفيض أمر عددا من أعيان مريديه من أهل طنجة أن يقطعوا جلابيبهم من الوراء، ويرقعوا مكان القطع بقطع مغايرة، ويخرجوا بذلك، أمرهم بذلك وفعلوه إلا هو، تواضعا وقهرا للنفس وإهانة لها حتى يتم الانتصار عليها وتذليلها. وهناك الولاية والخصوصية زعموا.

وقبل هذا أمر البوزيدي وهو صوفي غماري عامي تلميذه أحمد ابن عجيبة وهو عالم أن يتسول بأبواب المساجد بتطوان، ولا سيما يوم الجمعة

---

(١) مترجم في كتاب "إسعاف الإخوان الراغبين، بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين" لمحمد بن الفاطمي ابن الحاج السلمي (٢٥٣).

حيث يكثر المصلون وتزدحم المساجد، كما أمره أن يلبس المرقعة، ويكنس الشوارع قهرا للنفس وإذلالا لها، إلى غير ذلك من البدع القبيحة.

وقد ألف شقيق أبي الفيض عبد الله رسالة في الانتصار للقول بالبدعة الحسنة في الدين، سماها: "إتقان الصنعة، في تحقيق معنى البدعة"، فتح الباب فيه على مصراعيه للمبتدعة، وهون من شأن البدع، وأجاز جل ما يفعله المتصوفة الدجالون، والطلبة المتأكلون من إقامة الليالي وقراءة القرآن بالأجر الخ، بدعوى أن هذه الأمور كلها تندرج تحت أصل عام، ألا وهو الذكر والتلاوة، كبرت كلمة تخرج من فيه إن يقول إلا كذبا.

أما مسألة إنكار أبي الفيض للقياس فهي ثابتة عنه صرح بها في غير مناسبة[1]، ومن ذلك قوله في رسالة إلى أبي الفتوح دون تاريخ:... وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ يدل على منع القياس، كما قال ابن حزم، لأن الأمثال هي الأشباه كما شبه الكفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالساحر والشاعر، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ والقياس هو تشبيه حكم بحكم..

وقال في رسالة أخرى له دون تاريخ بعد أن أطال في إبطال التعليل، وما يسمى الآن مقاصد التشريع: هذا كله عندنا باطل لا أصل له، وتخمين مجرد، والعلة في التشريع لا يعرفها إلا الشارع، ما لم ينص عليها أو تكون لا

---

(١) انظر جؤنة العطار (٢/ ١٩٦)، التي قال فيها: القياس باطل في كل شيء.

خفاء بها، والقياس ومسالك العلة من ذلك النوع.

ولأبي الفيض كلام طويل في إبطال القياس أورده تلميذه أبو الفتوح من كلامه في "در الغمام الرقيق"[1]، وهو طويل صريح في الإبطال والسخرية من القائسين، والرد على ابن حزم طريقته في إبطال القياس. والصواب أن ذلك ليس من القياس، وإنما هو من فحوى النص.

ولا نعلم اليوم من يقول بقول أبي الفيض دون أن يعرفه إلا الشيخ مقبل الوادعي اليمني، فإنه يصرح بذلك في كتبه مرارا، والحق ـ إن شاء الله ـ أن القياس المستوفي للشروط واقع لا بد منه، ووقع اتفاق المحققين من علماء الأصول عليه إلا من شذ من الظاهرية ونحوهم، وقد اضطر ابن حزم رحمه الله على شدته في إنكار القياس والتعليل إلى ارتكابه بدعوى أنه فحوى النص لا القياس، فيكون الخلاف لفظيا، أما القياس الخفي مع استنباط العلة بتكلف وتمحل فهذا هو الجدير بالإنكار والرد، ومن الجدير بالذكر أن الناصح ابن الحنبلي رحمه الله ألف كتابا جيدا في "أقيسة النبي صلى الله عليه وآله وسلم" أبلغها إلى مائتي مسألة، استعمل فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم القياس الواضح، بحيث لو وقف عليه طالب الحق المنصف لجزم بصحة القياس ووقوعه في الفقه الإسلامي، والله الموفق.

---

(١) در الغمام الرقيق (٢٦).

الفصل العشرون

وقيعته في كثير من علماء الحديث، والسلف الصالح، ولا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته وأنصاره، وتنفيره المسلمين من كتبهم، وأنها وحدها سبب الضلال!؟

إن أمر هذا الرجل ـ أبي الفيض ـ لَجِدُّ غريب، فقد انفرد بين من عرفنا من العلماء قديما وحديثا بنفسية معقدة، وعقلية خرافية مضطربة، لا تستقر على حال، وهو في نقده للعلماء والرواة أسير هوى جامح، لا يكاد يسلم منه، فهو يتناول بنقده الجارح ونقمته الصارمة البلاد، والمذاهب، والطوائف والأفراد، خصوصا الشام ونجدا والمغرب، فلا تكاد تذكر هذه البلاد حتى تثور ثائرته، وربما فقد صوابه، فأعلن بالشتائم البليغة ضاربا ما ورد في فضائل الشام من الأحاديث الكثيرة عُرض الحائط زاعماً أنها كلها مختلقة مضطربة بأمر معاوية الكافر المنافق، وما ذاك إلا لأن الشام مباءة النواصب

أعداء الله تعالى ورسوله وأهل بيته، وأن هذا العداء يجري في عروقهم، ويتخلل طبائعهم فلا يمكنهم الانفكاك عنه، وهو في كل هذا يغض الطرف عن المآت بل الآلاف من أهل العلم ورواية الحديث وأئمة الفقه، وفيهم من حفاظ الحديث والآثار من لا يأتي الزمان بمثلهم، كما يُعلم من كتب التراجم والطبقات، وهذا تاريخ ابن عساكر وهو يناهز المائة مجلد ضم جمهرة كبرى من الأحاديث المروية بأسانيد الشاميين بحيث لا توجد عند غيرهم، فهل نرمي بهذه الأحاديث والآثار ونجرح رواتها من زمن الصحابة إلى هلم جرا، لا لشيء إلا لأنهم نواصب أعداء آل البيت ومبغضو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومبغضوه منافقون كما في الحديث، ولا يستنكر في هذه الحال الحكم على الضمائر والنيات، والهوى غلاب كما قيل.

أما إذا بلغ الأمر إلى المقادسة سكان صالحية دمشق، وفيهم بنو قُدامة، وهم أساطين المذهب الحنبلي، وحفاظ الحديث ورواته، فإن أبا الفيض سُرعان ما يكفهر جَوُّه، ويقيم صحوه، ويستوفز للوقيعة والنزال، فلا تسل عن الولوغ في الأعراض، لشفاء الغيظ وتحقيق الأغراض، ولا يعف الشيخ حتى عن الإمام الصابر المجاهد أحمد بن حنبل فقد رماه بالنصب والبلادة، وأنه يؤمن بالبعض ويكفر بالبعض.

وإذا دنا الزمان إلى القرن الثامن، وفيه أنبتت تربة الشام الخصبة المباركة: نجوم الهدى، ومصابيح الوجود، الذين حفظ الله بهم البلاد والعباد، وقاوموا ظلام الانحراف الكثيف المتمثل في التصوف الباطني

الفلسفي الأجنبي عن الإسلام، وكان مَدَّ رواقه على العالم الإسلامي بسبب جهل الأمراء والعلماء ونفاقهم، فنبغ شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، ومصباح الظلام، أبو العباس أحمد ابن تيمية، وتلاميذه الأبرار، شيوخ الإسلام، والعلماء الأعلام: ابن القيم، والذهبي، والمزي، وابن كثير، وابن عبد الهادي، وغيرهم.

أما نجد فكان أبو الفيض يجزم جزما ما بعده جزم، أنها المراد بحديث امتناع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الدعاء له، لأنه مصدر الزلازل والفتن، ومنه يطلع قرن الشيطان، وأن المراد بهذا القرن إمام الدعوة المجدد المجاهد محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي، فكان يطلق عليه وعلى أبنائه وأحفاده الكرام: القرنيين تقليدا لسلفه في هذا العدوان: يوسف النبهاني، ويضرب عُرض الحائط بما حققه العلماء بأن المراد بنجد العراق، لإشارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ناحيته، وهذا كما يحكى عن العلامة الشيخ عبد اللطيف حفيد حفيد الشيخ ابن عبد الوهاب أن علماء الأزهر قالوا له ـ وهو منفي بمصر ـ يسخرون منه: مسيلمة الكذاب المتنبي من عندكم، يعنون أنه من بني تميم، فقال لهم الشيخ عبد اللطيف: وفرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ من بلدكم. فبلحوا.

ومعلوم أن أبا الفيض كان يكن للأزهر والأزهريين عداءً أسودا لا مبرر له إلا ما سمعته من الأخ الشريف حسن الكتاني فك الله أسره: سببه أنه لم ينجح في امتحان ولوج الأزهر لأول قدومه مصر، فأورثه ذلك حقدا

وكراهية لهم.

وهذا المغرب بلده وطنجة مسقط رأسه[١] ومنشؤه كان يضرب به المثل في البلادة وسوء الطباع، والانحراف في الدين، بل وكل بلية وجدت إلا وللمغرب والمغاربة نصيب وافر منها، وكلامه في الحط على المغرب والمغاربة متناثر في رسائله، وكان لمدينة طنجة القسط الأوفر من كراهيته وبغضه، حتى إنه نظم تائية من الطويل مختلة الوزن في نحو سبعمائة بيت، سماها: "بعر النعجة في أخبار أهل طنجة"، عدّد فيها مساوئ أهل طنجة، وسبهم سبّاً بالغ الفحش والسوء، وردّد لعنهم بعد كل مجموعة من الأبيات كاللازمة، ولم يكفه ذلك حتى أملى عليها شرحا سماه "صدق اللهجة في التحدث عن مساوئ أهل طنجة"، جردها وأهلها من كل خير، حتى الجمال الطبيعي، وقال بأن هواءها موبوء، وهو الذي أورث أهلها الحمق وسوء الطباع، ـ ونسي أنه منهم ـ، وردّ على من يقول من المؤرخين بأن ذلك من عين ماء بها، وكتب على قول القرماني في كتابه في الجغرافية وهو مطبوع حجري: أهلها مشهورون بقلة العقل. فكتب على هامش نسخته ـ وهي محفوظة بخزانة تطوان ـ: إي والله، وقلة الدين والمروءة. ولم أدر سبب هذا العداء لطنجة وأهلها، وفيها عاش والدهم وأنجبهم بها، وعاش بين أهلها كأنه أمير مطاع، وتساءلت عن ذلك مدة إلى أن أخبرني الأخ الأستاذ أبي بن الزمزمي ـ وأهل

(١) بل مسقط رأسه مدشر بني منصور من غمارة، ولا تسل أيضا ما يقول في تجكان. ودونك الجواب المفيد (٦٤) لتعرف جلية الخبر.

مكة أدرى بشعابها ـ حكاية عن أبيه أن سبب ذلك راجع إلى مقدم الزاوية مْفَرج، وكان والد أبي الفيض أولاه النفوذ التام فيما يتعلق بالزاوية ودائرتها، فكان أبو الفيض، وهو شاب مدلّل معتز بجماله ومركزه، يُعاكسه، وينقض ما أبرمه إلى أن ضاق به ذرعا فشكاه لوالده، وهدّد بالانسحاب إن بقي الأمر كذلك، فغضب الشيخ من ولده، وأَمَره بتقبيل يد المقدم واستسماحه، فأذعن على كره وحمل نفسه في ذلك ما لا تطيق، فانفجرت عارمة تدمّر كل شيء بأمر ربها، وقد توقف عن إتمام شرح التائية، وفيما كتب ما يقض المضاجع ويصم الآذان والمسامع.

ومن مواقف أبي الفيض المخزية التي تنم عن قسوة في القلب، وغلظ في الطبع، وانعدام الرحمة والشفقة والإنسانية، تشفيه من إخوانه المغاربة حينما دمّر زلزال كبير لم يسبق له مثيل مدينة أكادير، وأودى بحياة أكثر من خمسة عشر ألف نسمة معظمهم من النساء والشيوخ والأطفال، لأنه داهمهم ليلا، فسبهم أبو الفيض واعتبر ذلك انتقاما من الله له، وهو إنما ناله ما ناله من ظلم على يد الاستقلاليين، فتأمل هذا الموقف من شيخ الطريقة وخادم الحديث الذي يروي حديث «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

والمقصود أن أبا الفيض لم يسلم من سم يراعه كثير من البلاد والعباد، فتراه إذا حرد وغضب يُجرر ذيل غضبه ونقمته على المعاهد والديار والجماعات، فقد ألف "الإقليد في تنزيل كتاب الله على أهل التقليد" عمم

فيه الحكم بالردة على جميع المقلدين، وهم أغلب المسلمين في جميع بقاع الأرض، وضلل بل كفر الأشاعرة حتى إمامهم أبا الحسن الذي تاب إلى الله[١]، والماتريدية، هؤلاء من حيث العقيدة، وضلل وفسق الحنابلة من جهة النصب والرد على الصوفية، وحتى هؤلاء ليس عنده ميزان ولا ضابط يُرجع إليه في تمييز المحق من المبطل، فهذا الترمذي الحكيم، وأحمد التجاني، وعلي بن ميمون، وغيرهم كثير، دجاجلة كذابون، وابن العربي الحاتمي والششتَري وابن سبعين والحلاّج والتلمساني وابن إسرائيل والردّاد وابن أضحى، وأمثالهم من الملاحدة، في قمة الولاية والعرفان، والشيعة والروافض ودينهم فاق في الفساد والبطلان دين اليهود والنصارى والمجوس، لا يتناولهم بسوء أبدا؛ بل له منهم شيوخ يروي عنهم ويثني عليهم وتراجمهم عنده في "البحر العميق"[٢].

أما الأفراد فيطول جلب أقواله فيهم بين التكفير والتضليل، والتفسيق والتجهيل، وهم عشرات ذكر منهم الأخ مصطفى السفياني في "تنبيه القاري، إلى فضائح أحمد ابن الصديق الغماري" من ص(١٧-٨٧) وفاته الكثير، وقد تقدم في الفصول السابقة الإشارة إلى بعض ذلك، وعلى رأس هؤلاء: الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ولعن من طعن فيهم؛ كمعاوية، وأبيه أبي سفيان ـ وقد خص هذا من مطاعنه بما يدل على رقة الدين وانعدام الحياء ـ،

---

(١) انظر جؤنة العطار (٣/ ٧٦).

(٢) وانظر جؤنة العطار (٢/ ٢٠٦-٢٠٧).

وعمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة ـ وهو ممن بايع تحت الشجرة ـ، وسمرة بن جندب، وغيرهم. ومن تابعيهم، كأبي حنيفة ـ ويكاد يخرجه من الملة[١] ـ، والإمام مالك صحح ما حكاه عنه أبو الفرج في الأغاني من أنه كان مغنيا يتعاطى الغناء ويتقنه[٢]، وهو يعلم كذب ذلك، وكان إذا تناوله ذكره ببرودة وسوء أدب، أما أتباعه ولا سيما المتأخرون منهم فحدث عن البحر ولا حرج، وأسوأ حظا منهم الحنفية والحنابلة الخبثاء!! ولا يسلم من معرته إلا الشافعية، وقد كان في يوم من الأيام ينتسب إليهم[٣] بعد الزيدية، ثم اختار لنفسه أخيرا مذهبا مباينا لهؤلاء كلهم في منتهى الغرابة والسُّوء، وعليه مات، ولنخلص الآن لاختيار كلمات عوراء أطلقها في حق شيخ الإسلام وحزبه، نوردها مرقمة ليلمس الناس مدى انحرافه وعدائه الشديد لهذه الكوكبة من المصلحين الذين قامت بهم وبأمثالهم حجة الله على خلقه:

١ - في "الجؤنة" ما نصه: والمقصود التنبيه على تدليس الذهبي في شأن بني مروان؛ بل التناقض الظاهر، والتحيز الباهر، فسبحان من ابتلى أهل الشام بحب بني مروان، والانحراف عن آل البيت الأطهار، ومن رأى كلام ابن كثير، عرف أن الذهبي لا شيء بالنسبة إليه، أما شيخهما ابن تيمية، فهو عدو آل البيت الأكبر، كما أنه عدو أهل الله، فالحمد لله الذي عافانا مما

---

(١) انظر الجواب المفيد (١٣٨).

(٢) انظر جؤنة العطار (٢/ ٢٢٨).

(٣) انظر جؤنة العطار (٢/ ١٠).

ابتلاهم به، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا[١].

٢- وفيه أيضا كلام عن الذهبي وابن كثير في نفس الموضوع ختمه بقوله: أما شيخهما ابن تيمية شيخ النصب، وإمام الضلالة، فكان أخبث منهما وأوقح الخ[٢].

٣- وفيه أيضا بعد كلامه على رحلة بلال إلى المدينة مناما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأذانه بها[٣]، وبكاء الناس...الخ، قال أبو الفيض: «في هذه الرؤيا النبوية الحقة رد على شيخ الضلالة ابن تيمية الذي يحرم شدّ الرحلة لزيارة أفضل الخلق صلى الله عليه وآله وسلم»[٤]. **قلت:** وفي هذا تجن على شيخ الإسلام من وجوه: أولا أن هذه الرؤيا ليس لها سند صحيح، وثانيا أن الرؤى لا تؤخذ منها أحكام، وثالثا أن الذي حرم شد الرحال لغير المساجد الثلاثة هو الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» الحديث. وقد تواصى المبتدعة بنسبة تحريم شد الرحال مطلقا إلى ابن تيمية، في حين أنه يتمسك بالحديث في شد الرحال لزيارة القبر فقط.

---

(١) جؤنة العطار (١/ ٢٩).

(٢) جؤنة العطار (١/ ٣٣).

(٣) رواها ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/ ١٣٦). من طريق إبراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال بن أبي الدرداء، قال الذهبي: فيه جهالة. وذكرها ابن حجر في اللسان (١/ ٢٠١)، وقال: وهي قصة بينة الوضع.

(٤) جؤنة العطار (١/ ٢٦).

٤- وفيه بعد كلام عن كتاب "المواقف" لعبد القادر محيي الدين الجزائري وأنه حصل عليه بواسطة طابعه بمصر شيخه شلبي الشبرانجومي الذي كان يحبه وينشط بمذاكرته قال: إذ علم أني عدو لابن تيمية والقرنيين أذنابه، خبير بطاماته وضلالاته[١].

٥- وفي "الجؤنة" ما نصه: ذكر ابن تيمية في كتابه الخبيث "منهاج السنة" وهو رد على ابن المطهر الحلي كلاما قال فيه: «ولئن كان أهل السنة يربعون الخلفاء بعلي فإن جماعة من أهل السنة بالأندلس كانوا يربعون بمعاوية...» قال أبو الفيض: إنه لم يعرف مصدر ابن تيمية في هذا حتى وقف على تكملة ابن الأبار، ونقل ما فيه مما يشهد بوضوح لقول ابن تيمية، ثم قال: فعلمت أن هذا مصدر ما حكاه ابن تيمية، فازددت عجبا ويقينا بخبثه ونصبه وكذبه، فإنه دلس ولبس، ونسب ما قاله ابن عبد ربه إلى أهل الأندلس، (تأمل كذب أبي الفيض على ابن تيمية، فإنه قال: فإن جماعة من أهل السنة كما تقدم آنفا) وسمى فاعل ذلك من أهل السنة (**وبنو أمية بالأندلس كانوا من أهل السنة مالكية المذهب**) فقبحه الله ما أشد عداوته لآل بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وما صنع شيئا إلا أنه برهن على نفاقه، فقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «لا يحبك إلا مومن ولا يبغضك إلا منافق»[٢]... ثم هو غير مومن بنص

---

(١) جؤنة العطار (١/ ١٤).

(٢) رواه مسلم في الصحيح - باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان، وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق - رقم (٧٤).

كتاب الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:١٠٥]... وقد افترى هذا المجرم الدجال على أهل السنة، وعلى أهل الأندلس، ونسب إليهم ما هم منه براء[١]. قال أبو أويس: وأبو الفيض كان يحكم على أهل الأندلس دون تفريق بالنصب، وسألته مرة عن كتاب "البغية" للساحلي فأثنى عليه ونعى عليه نصبه المتجلي في تراجم أهل البيت في كتابه، وكيف تحدث عنهم ببرودة[٢]!

٦- وفيه ما نصه: قرأت لابن تيمية رسالة أجاب بها من سأله: هل صح حديث في فضل علي عليه السلام، فزعم عدو الله أنه لم يصح حديث في فضل علي البتة، وإنما في الصحيح قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وهذا لا فضل فيه، لأن الله تعالى قال: ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾، مع أنه عدو الله يعلم أن إمامه أحمد رضي الله عنه قال: ما ورد في فضل أحد من الصحابة بالأسانيد الصحيحة الجياد ما ورد لعلي كما رواه الحاكم في المستدرك بالسند الصحيح إليه، ويكفينا أن في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: «لا يحبك إلا مومن ولا يبغضك إلا منافق»، فلو أقر ابن تيمية بصحة هذا الحديث!؟ أو حكى للسائل أنه في صحيح مسلم لشهد على نفسه بأنه منافق عدو لله ورسوله[٣]. قال أبو أويس: كتبت أنا بخطي

---

(١) جؤنة العطار (٢/ ١٢).

(٢) انظر الجواب المفيد (٨٥).

(٣) جؤنة العطار (٢/ ١٩).

بهامش نسختي هنا ما نصه: ليت المؤلف (أبا الفيض) سمى لنا هذه الرسالة التي ذكر فيها شيخ الإسلام هذا الكلام، ولكنه لم يفعل ولا يفعل هذا أبدا، وهي طريقة قديمة معيبة تدليسية، لا تتفق والمنهج العلمي، وكلام ابن تيمية شيخ الإسلام في فضل علي وما ورد فيه مشهور مبثوث في كتبه وفتاويه (وقد جمع بعض المعاصرين كلامه في علي وآل البيت في جزء مطبوع) لا سيما "منهاج السنة"، ولكنه بالنسبة لغلاة الشيعة والروافض نصب وعداء ونفاق، ولو جارينا المؤلف وأئمته الروافض لحكمنا على الأمة حتى الصحابة بالنفاق كما يفعلون، وقد صرح أبو الفيض بأن أكثر الصحابة كانوا يحسدون عليا ويبغضونه فهم بالتالي منافقون، وقد سبق النقل عنه بذلك.

٧- وفيه أيضا في كلامه على تاريخ ظهور الحشيش ما نصه: مما يرد على ابن تيمية زعمه أنها أول ما ظهرت في أواخر القرن السادس، أن الزركشي ذكر في كتابه "زهر العريش، في تحريم الحشيش" أنها ظهرت في القرن الخامس، وكأنه أخذ ذلك من كلام بعض الفقهاء الشافعية من أهل القرن الخامس، كأبي إسحاق الشيرازي على حكمها، مع أن دعوى الزركشي مردودة أيضا بما حكاه صاحب "السوانح"، والمقصود بيان أن جل كلام ابن تيمية تهجمات من هذا القبيل من غير تحقيق ولا مستند[1]. قال أبو أويس: كتبت أنا على هذا الموضع ما نصه: هذا هو مقصود المؤلف (أبي الفيض) مع أن ابن تيمية ربما كان يعني بظهورها ببلده الشام، وأنها لم تعرف

(١) جؤنة العطار (٢/ ٢٨).

به قبله، وتهوين المؤلف أمر الحشيش خطر، لأنه تبيّن الآن بتحليل آثارها على المخ والأعصاب، وعلى المدى الطويل أنها أخطر وأفظع من الخمر، ولذلك تعاقب عليها كثير من الدول بالإعدام، (والحكم باطل في الإسلام، لأنه لم يرد فيها حد، وإنما فيها التعزير)، والصوفية مشهورون بتعاطيها من زمن طويل حتى سميت "حشيشة الفقراء"، وإخوة المؤلف: عبد الله، وعبد الحي، وعبد العزيز مخالطون لتجارها بطنجة، يقبلون جوائزهم، ومساعداتهم، ويفتونهم بإباحة عملهم؛ بل إن أحد أحفادهم مشهور بالتجارة فيها، وهو من سكان الزاوية، وحبس من أجلها مرة، والله أعلم بما وراء ذلك، فافهم.

٨- وفيه بعد إيراده رواية باطلة من روايات الإسراء وأعقبها برواية عن يعقوب عليه السلام تتضمن تقديس البقاع واستحباب الصلاة فيها، قال أبو الفيض متحديا لله ورسوله وأصحابه: ففي هذا دليل على أنه يستحب تعظيم البقاع التي وقع فيها للصالحين تعبد وانقطاع إلى الله تعالى، أو حصل لهم فيها فتح!؟ وأنه ينبغي الصلاة فيها والتبرك بها إذا مر في طريقه عليها خلافا لما يدّعيه شيخ الضلالة ابن تيمية وأذنابه[1]. قال أبو أويس: وهذا كما ترى محادة لله ورسوله، وإذا كان الإسلام كما زعم أبو الفيض هنا فلماذا نعى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه وهم حديثو عهد بإيمان، طلبهم أن يجعل لهم ذات أنواط، وكبّر وقال: إنها السُّنن، لقد قلتم كما قال بنو إسرائيل

(١) جؤنة العطار (٢/ ١٠٦).

لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾، ولماذا حرم الرسول شد الرحال لغير المساجد الثلاثة، ولعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند أبي الفيض من الوهابية لحرصه على نظافة التوحيد وسلامة العقيدة من لوث الشرك، وصنيع المؤلف يدل على جهله بتوحيد التوجه والعبادة، ولهذا كان لا يرى بأسا من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم في الشدائد، وقصد أضرحتهم لاستنزال المطر، وحدثتني حماتي أنهم كانوا يحلفون باسم أبيها والد أبي الفيض ويهتفون باسمه وهم مرضى وهو بين أظهرهم يسمعهم ويوافقهم ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَ﴾.

٩- وفيه بعد أن وضع كلية غمارية مما أوحاه إليه شيطان رفضه، وهي: كل حديث تجد فيه ذكر مبهم ذمّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو وصفه بأنه من أهل النار، أو رأس الفتن، أو نحو ذلك فاعلم أنه معاوية يبهمه الرواة النواصب المنافقون أعداء الله ورسوله، وأحباب أعدائه، وبعد كلام ذكر أنه درّس مع بعض الطلبة مقدمة ابن الصلاح، وأنه حضر درسه مرة بعض أتباع محمود خطاب السبكي، وسمعه يقول عن علي: عليه السلام، فغضب وكان أعمى البصر والبصيرة، وقال هذه بدعة ورفض وتشيع، وذهب ولم يعد، قال أبو الفيض ـ على عادته في الكذب والتزيد ـ: مع أن أكثر السلف الصالح من المحدثين والفقهاء والمفسرين والصوفية (وهل كان في السلف صوفية؟ ونعني بالسلف من شهد لهم النبي بالخيرية في الحديث الصحيح: خير الناس قرني) ومن بعدهم إلى وقتنا يخصّصون عليا وآل بيته بقولهم:

عليهم السلام (وهذا كما ترى كذب مكشوف وهو شعار الشيعة والروافض فقط)، وفي صحيحي البخاري ومسلم الكثير من ذلك، واعجب من هذا أن ابن تيمية إمام هذه الطائفة الضالة وشيخ النواصب لا يكاد يذكر عليا وفاطمة إلا ويقول: عليه السلام، بدل: رضي الله عنهما، تدليسا وسترا لنصبه، وذرا للرماد في أعين الناس على عادته في التلبيس وسبك طرق الإضلال، ثم ذكر ما زعمه أحاديث صحيحة في ذم معاوية[1]، وقد رددها مرارا، والواقع أن ابن تيمية رضي الله عنه وأرضاه أبعد الناس عن التدليس والتلبيس والنفاق وذر الرماد في العيون، وإنما هذه أخلاق أبي الفيض وآله إلا من رحم الله منهم، ومعلوم من تاريخ ابن تيمية أنه كان مضرب المثل في الشجاعة والإقدام ولا أدري لماذا سُجن سنين إن لم يكن هذا السبب، فقد ناظر المتصوفة وقهرهم، ومتعصبة الفقهاء وأفحمهم، والأمراء والحكام والنصيريين والباطنية حتى رموه عن قوس واحدة، ومن يقوم هذا المقام، ويصارع هذه الطوائف، ويحمل السلاح لرد التتر حتى دحرهم، يخاف أن يقول عن علي وآله رضي الله عنهم بدل عليهم السلام؟ هنا مضرب المثل العربي "رمتني بدائها وانسلت"، وقد كتبت على هذا الكلام بخطي ما نصه: عجيب أمر المؤلف (أبي الفيض)، فشيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه الذين هم بحق جند الإسلام وحماته بالسيف والقلم ضد المفسدين من المشركين والباطنية والتتر والصليبين والصوفية والمقلدين والروافض، هؤلاء عنده مجرمون ضالون مضلون، بل

---

(١) جؤنة العطار (٢/ ١٨٦).

كفرة ملاحدة منافقون كما يصرح به أحيانا، وإن أفصحوا بفضائل أهل البيت، وقرروا منها ما هو صحيح، وجروا على ما جرى عليه بعض المتقدمين من السلام على علي وآله، قال أبو الفيض: إن هذا كله ستر للنصب واحتيال وذر للرماد في العيون الخ، فهل المطلوب منهم عند أبي الفيض عبادتهم مع الله، والإعلان بأنهم آلهة، وأرباب، أم ماذا!؟ وكان من واجب أبي الفيض أن يسكت على رأي المثل "من كان بيته من زجاج فلا يرم الناس بالحجارة": إنه ما زال على قيد الحياة هنا من يعرف عُجر وبُجر كبير الجماعة التي أشار إليها الشيخ التهامي الوزاني في الجزء الثالث من تاريخ المغرب، وأن دهاقنة الاستعمار وقع اختيارهم عليه لتنفيذ مخططهم في القضاء على المقاومة المسلحة ورموزها في الشمال، وقد اغتيل منهم أبطال معروفون، والتاريخ لا يرحم، وقد سمعنا منهم ما يندى له الجبين من مواقف الخيانة والعمالة للمغتصب الكافر، فهل من يتورط في هذا البلاء يطاوعه لسانه على ثلب عصابة العلم والإيمان والتوحيد، الذين هم بالنسبة لهؤلاء ملائكة؟ ألا قبح الله من لا يستحي ولا يخاف الله تعالى.

١٠- وفيه ردا على ابن القيم الذي أنكر حديث: إن الله يحب كل قلب حزين، ومحاولة تصحيحه من أبي الفيض، ثم قال: وكيفما كان الحال، فإنكار الحديث، وأنه لا يُعرف له إسناد ولا مخرج، غريب جدا من ابن القيم، وكأنه أخذ هذه الطريقة عن شيخه ابن تيمية الذي كان لا يتورع عن إنكار ما لم يصل إليه علمه، ولا يتثبت في ذلك كما هو

معلوم[١]. قال أبو أويس: أي معلوم عند الجهال بأقدار العلماء، المجترئين على الفضائح والدواهي دون مبالاة.

١١- وفيه ما نصه: ابن تيمية شيخ النواصب لفرط نصبه وخبثه عارض الإمام الشافعي رضي الله عنه في قوله في أبياته المشهورة: [الكامل]

إن كان رفضا حبُّ آل محمّد فليشهد الثقلانِ أنيَ رافضي

فقال ابن تيمية الخبيث:

إن كان نصبا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني ناصبي

وهذا منه تستر ومصادرة، فإنه لم يقل أحد من الناس إن حب الصحابة نصْب (هذا كذب ومغالطة، فإن المؤلف وإخوانه، وفيهم شيوخه الخمسة أول من يقول بذلك؛ بل إن أول علامة على النصب، اعتقاد صحبة معاوية وأبيه عمرو بن العاص ومن معهم، بل جمهرة الصحابة إلا الأربعة كلهم كفرة منافقون عند الشيعة، فمن يواليهم أو يترضى عنهم فهو ناصبي منافق وهذا من أوليات مذهبهم، والمؤلف يعرف هذا ولكنه يتغاضى عنهم لعطفه عليهم وحبه لهم، وهواه معهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾) وإنما يقول النواصب إخوانه: إن حب آل البيت رفض كما قال الشافعي رضي الله عنه، ومن أعجب ما يلقم به هذا الخبيث، وتقام به عليه الحجة من نفس كلامه: أنه عدو الله كان شديد البغض لعلي عليه السلام، وعلي من الصحابة وآل البيت معا، فأين حب الصحابة الذي يدّعيه؟ (كبرت كلمة تخرج من فيك إن تقول إلا

---

(١) جؤنة العطار (٢/ ٢١٩).

كذبا وزورا، ثم إن الحب والبغض من أفعال القلوب، فمن أطلعك - يا أبا الفيض - على قلب ابن تيمية، وهذا ثناؤه ومدحه لعلي وآل بيته مبثوث في كتبه وفتاويه، والواقع أن أبا الفيض لم يقرأ من كتب شيخ الإسلام إلا أقل القليل وكثير منها طبع مؤخرا، وأعتقد أنه لو اطلع عليها كلها ما غير عقيدته، فإن شأن ابن تيمية أكل قلبه، واستولى على تفكيره، فلا يكاد يذكره حتى يتعكر دمه، ويفلت الزمام من يده فينفجر تسخطا ونقمة وتجريحا) والمقصود أنه لفرط نصبه أراد أن يصرح بما في قلبه، فركّبه في هذا القالب، ولوّنه بهذا اللون، وإلا فمجرد معارضته لبيت الإمام الشافعي رضي الله عنه، يصرح بنصبه، وفرط بغضه لآل بيت نبيه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف بما فاه به في حق علي عليه السلام من تلك الطامات الدالة على نفاقه بشهادة المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى؛ بل وزاد - قبحه الله - فتكلم في سيدة نساء أهل الجنة وبضعة الرسول، وأحب الخلق إليه، فاطمة الزهراء صلى الله عليها وسلم فقال في كتابه الخبيث "منهاج السنة": إن فيها شبها من المنافقين، قبحه الله وعامله بما يستحق[1]. قال أبو أويس: هذه التهمة رددها مع أبي الفيض شقيقه عبد الله، وهي تهمة مردودة، ومعاذ الله أن يقول مسلم هذا في حق السيدة فضلا عن إمام جبل في السنة كابن تيمية، وقد راجعت كلامه رحمه الله فوجدته في موضوع الإرث وأرض فدك، وحرص السيدة رحمها الله ورضي الله عنها على طلب حقها رغم ثبوت الأحاديث عن والدها صلى الله عليه

(١) جؤنة العطار (٢/ ٢٣٣).

وآله وسلم أنه لا يورث، وأن ما تركه صدقة، وأبلغها الصديق رضي الله عنه ذلك وخيرها أن تأخذ من ماله ما شاءت، ولكنها أبت وأصرت، ونحن لا نعتقد عصمتها، وأن موقفها هذا خطأ بلا شك، وكلام ابن تيمية في تخطئتها واضح، ولكن أبو الفيض يقتطعه من سياقه للشغب والتخليط.

١٢- وفيه أيضا أثناء كلامه على الأنصار وإخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياهم أنه سيلقون بعده أثرة، قال أبو الفيض: وكان ذلك من أعلام نبوته صلى الله عليه وآله وسلم، فأول من استأثر عليهم وعاملهم بالإهانة معاوية إرادة لاحتقار من عظم الله، وتشفيا منهم لنصرتهم الله ورسوله، وإعلائهم دينهم[1]. قال أبو أويس: وأين ومتى وكيف أيها الأفاك؟

١٣- وفي "الجؤنة" حول الكلام على بدعة التعريف الذي يقع يوم عرفة وهو اجتماع الناس بالمساجد للذكر والدعاء، وأن ابن تيمية حكم بأنه بدعة، قال أبو الفيض وهول في ذلك على عادته: مع أن إمامه أحمد أجازه، (وقد طبع شيخنا الألباني مساجلة جرت في ذلك بين ابن عبد السلام وابن الصلاح يستفاد منها أنها بدعة ضلالة)، ولكن أبو الفيض قال: القياس ما قاله أحمد، لا ما زعمه ابن تيمية، فإن الاجتماع للذكر والدعاء مطلوب مرغّب فيه... وما كان كذلك فلا يسمى بدعة، لأن **البدعة هي ما أُحدث في الدين مما لا شاهد له في الدين، ولا يمكن اندراجه تحت قاعدة من قواعده**

---

(١) جؤنة العطار (٢/ ٢٣٥).

الخ[١]. قال أبو أويس: وهذا يتمشى مع مفهوم البدعة عند أبي الفيض وقبيله، وهو مفهوم خطأ، لا يقبل الاطراد إلا على سبيل التحلل، فهم في زاويتهم بطنجة لا يقرأون القرآن يوم الجمعة بصوت واحد كما في سائر المساجد، لأنه بدعة! ولا يؤذنون ثلاثا كما يفعله الآخرون لأنه بدعة، ولا يهللون بالليل، ولا يقولون: أصبح ولله الحمد، ولا يذكرون الخلفاء الراشدين ولا يدعون مع الملك إلا تحلة القسم بدعوى أن هذا كله بدعة مع أنه يندرج تحت قواعد الشرع كما يقول الآخرون، وقد مضى الكلام في الرد على أبي الفيض في موضوع الابتداع وقوله بالبدعة الحسنة، والمقصود الحط على ابن تيمية بما تيسر.

١٤- وفيه أيضا دفاع أبي الفيض عن الروافض، والطعن على النواصب وخصوصا الحنابلة، ونقل عن بعضهم الطعن على علي رضي الله عنه ولمزه بشرب الخمر، وأن ابن رجب الحنبلي اعتبر ذلك تسننا (يعني ميلا إلى أهل السنة)، قال أبو الفيض: انظر إلى خبث الحنابلة في هذا الباب لا سيما من جاءوا بعد ابن تيمية رأس النواصب، وشيخ أهل الضلال، لاسيما من أدلى إليه بالتتلمذ على تلامذته وأصحابه الذين تسمموا بخبثه ونصبه، فابن رجب أخذ عن جماعة من أصحاب ابن تيمية الخبيث من أشهرهم ابن قيم الجوزية، لا بارك الله في تلك الطائفة[٢].

---

(١) جؤنة العطار (٣/ ٧).

(٢) جؤنة العطار (٣/ ١٣).

قال أبو أويس: تأمل خروج أبي الفيض عن الطوق، وتعديه الطور، ومراد ابن رجب رحمه الله واضح، ومقالة الرجل (يعني في نبز علي بما ذكر) كذب وافتراء مكشوف لا يروج على طالب مسلم، ولكنْ أبو الفيض نسي أن أحبابه الروافض يسبون الصحابة ويكفرونهم، ويملأون كتبهم فضائح لا يسمعها مومن فضلا عن كتابتها، فضلا عن اعتقادها، ومع هذا لا ينتقدهم بكلمة.

١٥- وفيه أيضا نقل عن ابن رجب رجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني من طبقات الحنابلة ودفاعه عنه ونقده لكتاب "بهجة الأسرار" للشطنوفي المصري، وما فيه من الطم والرم والشطح، وأن الكمال الأُدفُوِي المصري ذكر أن الشطنوفي متهم بالكذب فيما حكاه في هذا الكتاب، ولم يرق هذا أبا الفيض فحمل على ابن رجب، وقال بخصوص تلك الشطحات بأنها معروفة عن سائر أهل الله، ولاسيما أصحاب الحال القوي كالشيخ عبد القادر رضي الله عنه وأمثاله، وهي أمور لا يفهمها كبار العلماء غير الحنابلة الجامدة (ونسي أبو الفيض أن الشيخ عبد القادر حنبلي جلد) فضلا عنهم، فضلا عمن تسمم ببدعة ابن تيمية، وخبث نفسه، وكبريائه، وغطرسته، وشدة عداوته لأهل الله تعالى[1].

قال أبو أويس: وهذا تهويل متعمد، وإلا فما يسميه أبو الفيض شطحا معروف، وشريعة الإسلام فوق كل شيء ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾،

(١) جؤنة العطار (٣/ ٢٠).

والمؤلف كفّر التجاني، وسخر منه، واستهزأ بمحمد الكتاني، وما نقل عنهما لا يشكل رُبع ما نقل عن ابن العربي وحزبه، ومع ذلك فهؤلاء من كبار العارفين دون أولئك ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾.

١٦- وفيه أيضا في جواب له لشقيقه عبد العزيز قال: أما مسألة الذهبي مع علي وآل البيت رضي الله عنهم، فهي أوضح من أن تشتبه على عارف بأهل الشام، فإنهم كلهم نواصب طبعا لا تطبعا، وخلقة لا تخلقا (تأمل غلو الرجل في هذا الكلام الذي لا يصدر عن عاقل يدري ما يقول، فإن أهل الشام آلاف مؤلفة من العلماء والحفاظ الخ فكيف يكون هؤلاء كلهم أعداء آل البيت) فالشامي ناصبي قصد أو لم يقصد، وعرف أو لم يعرف، لاسيما حزب ابن تيمية الذين منهم الذهبي الذي قيل فيه: لو كان قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ نازلا في حق علي عليه السلام لقال الذهبي إنها آية موضوعة، وأمره في هذا أشهر من نصب شيخه ابن تيمية تقريبا، وإن كان ابن تيمية أخبث وأوقح وأجرأ في ذلك وأفصح إلا أن الذهبي اشتهر أمره بسبب كلامه في الرجال، وبعد أن هون من تأليف الذهبي في مناقب علي، وأنه لم يكن صادرا عن محبة وإخلاص، ولعنه لابن ملجم لأنه لو خالف ذلك لخرق الإجماع، ولكشف القناع عن وجهه، وساوى شيخه ابن تيمية في خبثه ووقاحته وجرأته وتجاهره بعداوة أهل البيت، قبحه الله وأخزاه، والذهبي مهما يكن شاميا فهو أعدل وأعقل من ألف من الخبيث ابن تيمية قبحه الله[1].

---

(١) جؤنة العطار (٣/ ١٢٤).

١٧- وفي رسالة عجيبة له إلى ذنبه الأجرب أبي الفتوح عندي صورة منها دون تاريخ يقول: ابن كثير ليس تابعا لابن تيمية في النصب، بل تابع لأهل بلده دمشق فإنهم نواصب حتى قططهم وجيرانهم من يوم وجود الطاغية (معاوية رضي الله عنه) بين أظهرهم إلى اليوم، ولو قرأت ما يكتبه اللعين محب الدين الخطيب الدمشقي عن أهل البيت للعنت أهل دمشق أجمعين أكتعين أبصعين.. وأما هو والذهبي والمزي، فأحبك أن تعرف أن المزي لا يجوز أن يذكر معهما، أو على الحقيقة أن يذكرا معه، فإن المزي ولو أنه شيخهما إلا أنه طبقة عالية جدا جدا جدا، فهو من طراز الأقدمين كالدارقطني وابن حبان، وأوسع اطلاعا على الرجال؛ بل كنت كثيرا ما يدخلني شك فيه هل هو آدمي بشر أو من نوع أرقى من البشر الخ.

قال أبو أويس: وفاته أن هؤلاء وغيرهم من تلاميذ ابن تيمية، ويكنون له أعظم الوفاء، وتأمل غلو أبي الفيض في المزي غلوا يضحك الثكلى، ويصح أن يذكر في أخبار المغفلين والحمقى، وهؤلاء الجلّة عند كل أحد منهم ما ليس عند الآخر، ثم هم جميعا من أهل الشام، ومعلوم أن أبا الفيض يؤمن بما ورد في رسالة الذهبي عن ابن تيمية، وهي رسالة منكرة مدسوسة، وحملة أبي الفيض على محب الدين الخطيب كانت بسبب تأليفه لرسالته الدامغة للروافض "خطوط عريضة لدين الشيعة الإمامية" التي كانت قنبلة ذرية على رأس الروافض كشفت لأول مرة عن فواقرهم بكلام موثق بنصوص طواغيتهم المنقولة مباشرة عنها، ثم زاد طبعه لمختصر الذهبي

لمنهاج السنة وتعليقه عليه، وفصل فتنة مقتل عثمان وما ترتب على ذلك من كتاب "العواصم من القواصم" لابن العربي، وقد أفاد وأجاد رحمه الله وعفا عنه.

١٨- وفي رسالة له أيضا لأبي الفتوح بخط إبراهيم أخي أبي الفيض لشدة مرضه، وقد توفي بعدها ببضعة أشهر، وفيها يقول بأن ابن حزم مأجور على خطئه في الاجتهاد كالشيخ الأكبر ابن العربي بخلاف ابن تيمية الشامي الناصبي الخبيث، فإنه حقود حسود له مقاصد سيئة في دعاويه، فلذلك اتفق أهل الله على ذمه؟!! فابن حزم اجتهد فأخطأ فله أجر، وابن تيمية تلاعب وضلل فعليه إثم الضالين.

قال أبو أويس: هكذا يكون الدجل والكذب والرسوخ في الضلال، وليت أبا الفيض ذكر لنا من هم أهل الله الذين اتفقوا على ذم ابن تيمية، ولعله يعني زنادقة المتصوفة، كالنبهاني والكتاني، وابن حجر المكي، وكلمته فيه مشهورة ردّها عليه الشيخ نعمان بن محمود الألوسي في كتابه العجيب "جلاء العينين، في محاكمة الأحمدين"، والكوثري، وأمثالهم من حثالة الخلق الذين لا في العير ولا في النفير، وإنما علمهم شعاره (إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) ولعل أبا الفيض لم يقرأ ما كتب في مناقب ابن تيمية وهو عشرات الرسائل والكتب والأبحاث، ومن أهمها وألصقها بالموضوع "الرد الوافر" لابن ناصر الدين، وقد ترجم فيه كثيرا من كبار العلماء الذين أطروا شيخ الإسلام، ودافعوا عنه ووصفوه بشيخ الإسلام، وأنا

أعتقد أنه لو قرأها كلها وأمثالها معها لم يغير رأيه، ولم يقلع عن ضلاله وظلمه، لغلبة الشقاء عليه، وبلوغه في دائه درجة لا يرجى معها شفاء، وكأنه ينشد قول عارفهم الحراق التطواني الذي يعرب فيه عن عرفانه؛ بل طغيانه في البدعة والمسخ: [البسيط]

صبغت فيه بألوان بلغن إلى عقلي فلا يرتجى كشف لتلويني

وقد عرفت بمراجعة أبي الفيض كتابة ومشافهة أنه لم يقرأ من كتب هذه الكوكبة المضيئة من مصابيح الكون، كابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والمزي، وابن عبد الهادي، وابن رجب، إلا القليل لأنه كان منذ البدء مملوء الخاطر من كراهيتها، وبغض أصحابها، ثم إن الكثير منها بل أكثرها لم يكن طبع كالعشرات من كتب ابن تيمية، وسير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام للذهبي، والكثير من كتب ابن القيم، وفتح الباري لابن رجب، وغيرها، وإنما كان مكباً على قراءة "الفتوحات" والفصوص واللمع[١] والإحياء والرعاية[٢] والإبريز، ونحوها من البثور في محيا العلم.

١٩- وقفت مرارا على تحذيرات أبي الفيض من كتب ابن تيمية وتلاميذه وأئمة الدعوة النجديين، وتصريحه أنها سبب ضلال من ضل من المسلمين!! لعله تقدم شيء منها في هذه الفصول.

---

(١) كتاب " اللمع في التصوف" هو لأبي نصر السراج: عبد الله بن علي الطوسي، نشره: رونلد ألن نكلسون، وطبع بمطبعة بريل بمدينة ليدن، عام ١٩١٤م. (الناشر).

(٢) كتاب "الرعاية" هو من تأليف الحارث المحاسبي، الصوفي المعروف، (الناشر).

٢٠- في رسالة منه لتلميذه الكرفطي دون تاريخ تتضمن جوابا عن أسئلة منها قوله: وقواعد العز ابن عبد السلام لا تفيدك بشيء مطلقا، ولا تعرف أن تأخذ منها فائدة، فهو فلسفة أشبه به من قواعد الفقه، وما أظن أن أحدا انتفع منه بشيء إلا بجمل يذكرونها وهي حرف من ألف، فلا تعمر بالك به، فإني أشبهه بكتب ابن تيمية التي يقرؤها فلا يخرج منها بفائدة، لاسيما وهذه "أحكام ابن عبد السلام" مرتبط بعضها ببعض من أول الكتاب إلى آخره، مع أنها من أولها إلى آخرها مبنية على المصالح والمفاسد، وأن الشريعة كلها جاءت لمراعاتها، ولكنها بتقسيمات وتفريعات كثيرة مملة، وفي الحقيقة فارغة والسلام.

قال أبو أويس: قراءة هذا الكلام كافية للرد عليه، نعم قوله فيها لتلميذه أبي الفتوح: لا تعرف أن تأخذ منها فائدة. صحيح جدا لأنه يعرفه بليد الطبع، فاتر الذهن، ضعيف الإدراك، وإنما هو فارس المنامات، والكرامات والمعجزات، هذا ميدان تخصصه، وإن تعجب فعجب قوله عن كتب ابن تيمية أنه يقرؤها فلا يخرج منها بفائدة، وهذا يدل على صحة ما قلت من أنه لم يقرأ منها إلا أقلها، ولم يكن طبع منها إلا العشر، وقد بلغت الآن أكثر من مائة بين صغير وكبير، وما زالت الأيام تكشف منها عن عيون تقر بها عيون الموحدين، وتطمئن لها ضمائر العلماء المخلصين المنصفين الباحثين، وأبو الفيض يتناقض كشأن المبتدعة، فقد مدح في كتبه ك: "الاستنفار، لغزو التشبه بالكفار"، وقد طبعه أبو الفتوح: كتاب

"اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم" مدحا عاطرا[١]، وصرح أنه لم يؤلف في موضوعه مثله، وتراه هنا يقول ما سبق، فقبح الله من لا يستحيي.

(١) انظر خاتمة الاستنفار ص(٧٨-٧٩).

خاتمة

بعد هذه الطرر النيرة، والفصول الدامغة، التي هي كفيلة بإقناع من يتحلى بالإنصاف، ويتجنب الشغب والاعتساف، أن أبا الفيض يتأرجح أمره بين الكفر والجحود، والفسق والضلال، **ويعجبني في هذا الصدد مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية** رضي الله عنه **وطيب ثراه، وهو الإمساك عن الجزم بالتكفير للجهل بمصير المردود عليه، فلعله يُوفق للتوبة والإيمان في آخر عمره، ولا ندري بماذا ختم له، وإن كانت هناك أمارات تدل على سوء خاتمة أبي الفيض، وأمره إلى الله، فالصواب الحكم على الأعمال والأقوال الثابتة مع محاولة التجرد والحياد، وعدم التأثر بالهوى والعاطفة.**

ويعلم الله تعالى أنني بذلت جهدي في التحري والاحتياط، والبحث والمقارنة والدرس، وأنا أعلم أنني لم أستوعب، لأن أبا الفيض كان ذا جلد كبير على الكتابة، فرسائله لأصحابه ومن يسأله تعد بالمآت؛ بل سمعت أن

رسالاته لشقيقه عبد العزيز فقط بلغت ألفا، وليست ـ بلاشك ـ كلها علمية، ثم إنني أسجل هنا أنني كنت أقدّم رجلا وأؤخر أخرى في كتابتها وتتبعها لعدم استطاعتي القيام بطبعها، فلا معنى لكتابة شيء وتركه على الرّف كما حصل لي في الرد على الكرفطي مسألة رؤيا الله في المنام الذي لم ير النور إلا بعد أربعين سنة بينما أبو الفتوح يجمع من (فتوح) الأنعام ما يمكنه من الطبع، وهؤلاء من رواد الزاوية، وأنا أصرح في خطبي الجمعية ودروسي وكتاباتي أن المقهى إذا كان خاليا من الخمر والقمار، أفضل وأزكى من الزاوية، وقد انتقدني بعضهم في تطوان لما سمع مني هذا فلما ذاكرني أقنعته فوافقني، وهذا واضح لأن المقهى ليس فيها إلا شراب العصائر والشاي والحديث الخاص بين الناس، والزاوية كمسجد الضرار بنيت للبدعة ونصرتها، وهي خاصة بحزب دون حزب، وتكون في الغالب مقبرة أو مشتملة على قبر يُعبد من دون الله، وتقام فيها طقوس يبرأ منها الإسلام كالرقص اليهودي والسماع الذي يمجد وحدة الوجود وأصحابها، **ثم إن أبا الفتوح إليه يرجع أمر إحياء هذه الفواقر بسبب ما قام به من تشجيع عدنان زُهار البريجي الكُونْطَبْلي المحدث المؤلف المخربق على سبي وشتمي، وأوحى إليه بكل ما يتعلق بذلك، مع تبرعه بطبع كتابه المردود عليه، وذلك لحاجة في نفس يعقوب،** وقد ساورني هذا الخاطر قديما حينما كان أبو الفتوح يقوم بالنميمة بين أبي الفيض وإخوته، ويبذل في ذلك أقصى جهده تنفيذا لوصية أبي الفيض التي أبان فيها عن حقد أسود، وبغض فريد، لا أعرف مثله في أرباب زوايا

المغرب ومشايخ طرقه، وكان أبو الفتوح يعلم ما تفعله رسائله في نفس شيخه وهو مريض جدا جدا، والأطباء ينصحونه بعدم الانفعال لما فيه من الخطر عليه، وقد سبق أنني سمعت إبراهيم أصغر إخوة أبي الفيض وكان يلازمه يذكر أن أخاه كان يتماثل للشفاء فإذا وصلت رسالة أبي الفتوح انتكست صحته، وأشرف على الموت، كما أخبرني أنه تبرم في شهوره الأخيرة من الكرفطي وأخبرهم أنه لا يخلص له، وإنما هو نفعي يعمل لمصلحته، وكان يأمل من شيخه أن يستقدمه إلى القاهرة ليعمل معه في دار الحديث الخرافية، وبذلك يتيسر له الحج وغيره، ولكن تبخرت هذه الآمال، فيئس الكرفطي واستعجل موت شيخه ليقوم بادعاء المشيخة، وقد درس الأحوال، وعرف من أين تؤكل الكتف، ويظهر أن هذا الأمر ما زال يعاوده إلى الآن رغبة في الانتقام، فدسّ إلى عدنان المغفل أن يقوم بالسب والشتم لاستفزازي، ولم يعلم الأخوان في الضلال والمسخ أنني لا أستغفل ولا تشترى ذمتي، وأنني أقول ما أعتقده صوابا، ولهذا قلت أولا عن كتاب السفياني "تنبيه القاري" بأنه لا يقبل الرد، لبنائه على أقوال المردود عليه أبي الفيض ككتابي هذا، ولهذا لم يجد عدنان إلا حجة مفلولة، وهي: **التكذيب والمصادرة المقرونة بالوقاحة المتناهية.**

وقبل أن أضع القلم لابد أن أنصح للشيخ والتلميذ بالكف عن الدجل والزور، والتوبة إلى الله توبة نصوحا، خصوصا لأبي الفتوح، وأهمس في أذنه: إنه لا تصح توبته حتى يعلن باللسان والقلم توبته من تلك الفضائح

والجرائم التي سوّد بها مآت الصفحات، وهي ما زالت عنده.

وها قد تبين الصبح لذي عينين، وتيقن أن تلك الحلى والألقاب التي كان يضفيها شيخه عليه لا طائل تحتها، وأنها فارغة، وإن اعتد بها وفاخر في كتابه "الأنيس والرفيق".

كما تبين له أن تلك المنامات والرؤى التي كان يعبّرها له شيخه لم يتحقق منها شيء، وأنها كانت كسراب بقيعة الخ خصوصا ما بشره به من الولاية، وأنه سيفوق درجة الحراق وابن عجيبة في الخصوصية والشعر؟! وأنه سيدرك الإمام المهدي وسيكون من أعوانه؟! إلى آخر تلك الخزعبلات والترهات.

وقد بلغني أنه زار الإمام الخليفة!! ياسين[1] بعرينه بسلا وسأله عن تلك المنامات المتكاثرة، والبشارات المتناثرة، فأجابه بأنها تواطأت على معناها فلا بد من وقوعها سنة ٢٠٠٦م من تاريخ النصارى؟!! وقد سمعته في شريط ـ رزقه الله العقل ـ يقول عن تلك السنة: ٢٠٠٦ وما أدرك ما هي. وقد انقضت السنة، ولم يظهر إلا الضباب، ومع ذلك فإن التربية الصوفية كفيلة

(١) قال أبو عبيدة: «المقصود بياسين: عبد السلام ياسين، وهو زعيم جماعة العدل والإحسان الصوُّفية المناوئة للسلطة في المغرب، كان قد بشرَّ مريديه قبل سنوات برؤيا حقٍّ ـ على حدِّ زعمه ـ أوَّلها بحدث مهول عظيم يقع في المغرب سنة ٢٠٠٦ للميلاد تقوم عليه دولة الخلافة الإسلامية في نفس العام، إلاَّ أنَّ الله خيَّبه ومرَّت تلك السنة ولم يحصل شيء ممَّا زعمه كائنا لا محالة، وكان الشيخ محمد الأمين بو خبزة ـ حفظه الله ـ ممَّن تصدَّى للردّ عليه وهتك أستاره».

بتسويغ كل ما لا يخطر على بال من الحماقات، والتفاهات، والخرافات، والأساطير...

ورحم الله من عرف قدره، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا أله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا وقائدنا وإمامنا، يوم يدعى كل أناس بإمامهم، محمد، وآله، وصحبه أجمعين.

وكتب

أبو أويس محمد بوخبزة الحسني عفي عنه

تطوان مساء الثلاثاء ٢٨ ذي القعدة ١٤٢٧هـ

وقفات مع عدنان زهار

في دفاعه عن الشيخ أحمد بن الصديق الغماري

لصاحبها

بدر العمراني الطنجي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

هذه وقفات مع كتاب "دفاع عن كرامة وعرض سليل الأشراف الحافظ الإمام سيدي أحمد ابن الصديق رحمه الله تعالى" للأخ عدنان بن عبد الله زهار، القصد منها النصح غيرة على الحق وأهله. وأسأل الله عز وجل العون والتوفيق، وهو الهادي لأقوم طريق.

١ - تصحيح بيت شعري وقع مكسورا:

ذكر في ص(٦) بيتا لأبي تمام هكذا:

نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصبح عمودا

قلت: البيت من بحر الكامل، والصواب أن ترسم الكلمة التي تحتها خط هكذا: الصباح. حتى يستقيم الوزن. والله أعلم.

٢- بيان الغلو المفرط في شأن مكانة الشيخ أحمد:

نقل في ص(١١) عن الشيخ عبد الرحمن الكتاني: أتعلمون من هو الشيخ أحمد بن الصديق؟ إنه شخصية بارزة، اجتمع فيها ما افترق في غيرها من الشخصيات، فهو في علم الفقه كالإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل والإمام أبي حنيفة وغيرهم رضي الله عنهم.

وعلم الحديث كالأئمة: البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحافظ الزيلعي والذهبي وابن حجر والسخاوي والسيوطي وغيرهم.

وفي علم التاريخ كالإمام علي بن المدني (كذا رسمت والصواب: المديني) والإمام يحيى بن معين الغطفاني، والإمام أبي بكر الخطيب والإمام أبي القاسم ابن عساكر الدمشقي والإمام ابن جرير وغيرهم.

وفي علم التصوف كالشيخ الجنيد والشيخ البكري والشيخ الدرقاوي.

وفي علم اللغة والأدب كابن الأثير وابن قتيبة وابن ثابت العوفي وابن عبد ربه.

وفي الوطنية الإسلامية كصلاح الدين الأيوبي والأمير عبد القادر الجزائري وعيرهما.

قلت: ويكفي في هذه الشهادات ذكرها فقط، ولا بأس من الإشارة إلى أن الكتاب المستقاة منه مطبوع باعتناء الأخ الدكتور حمزة الكتاني، وفي عمله مر عليها ولم يعرها اهتماما، لكن لما قيل بأنه لم يأت بالمغرب بعد ابن القطان

الفاسي حافظ يدانيه إلا أحمد بن الصديق، استهجنه واستنكره، وإن كان هذا القول مقبولا في الجملة بخلاف ما سبقه، والله أعلم.

٣- تقويم أبيات شعرية وردت مكسورة:

قال ص(١٢): وهنأه مرة الشيخ يوسف الدجوي بحلول رمضان فقال:

رمضان عيد المومنينا وأنت خير المومنين

إلى آخر الأبيات.

قلت: هي من الكامل المجزوء (متفاعلن متفاعلن)

وعلى هذا الوزن لا يستقيم ما رسمه الكاتب، والصواب: حذف الألف الأخيرة من الصدر، وتسكين النون لأن القافية مقيدة. فيكون البيت هكذا:

رمضان عيد المومنينْ وأنت خير المومنينْ

في ص(١١٢)، ذكر قول الشاعر:

الشمس حق والعيون نواظر ولكنها تخفى على العميان

قلت: الصواب حذف "الواو" من العجز، لأن البيت من الكامل وتقطيعه:

مستفعلن مستفعلن متفاعل مستفعلن مستفعلن مفعول

الشمس حق والعيون نواظر لكنها تخفى على العميان

في (١١٩) أورد أبياتا جاء فيها:

ومـا علـي إذا مـا قلـت دع الجهول يظن الجهل عدوانا

والله تـــالله بـــالله العظـــيم ومـن أقـــامه حـجة لله برهـانا
إن الذي قلـت بعـض من مناقـبه ما زدت إلا لعلي زدت نقصـانا

والصواب فيها:

وما علي إذا ما قلت [معتقدي] دع الجهول يظن الجهل عدوانا
والله تـالله بـالله العظـيم ومـن أقـــامـه حـــجة لله برهـــانا
إن الذي قلت بعض من مناقبه مـا زدت إلا لعلي زدت نقصـانا

٤- الإشارة إلى بيت مكسور:

قال ص(١٩): كما كان يحفظنا قول القائل:

سفينة العلم الإعراب تاركه ليس له صواب

قلت: البيت من الرجز، لكن صدره به نقص (سقوط وتد مجموع) لأجله انكسر الوزن.

ولعل صوابه: سفينة العلم ـ أخي ـ الإعراب.

والله أعلم.

٥- إثبات كتاب "تنبيه المسلم بمن يدعي السنة وهو كذاب مجرم":

قال ص(٢٧): ولم يعرف للشيخ الزمزمي كتاب بهذا العنوان، ولا عرف من كريم أخلاقه أن يضيع الورق والحبر وينفق الوقت في مثل هذا البهتان، ولا سمع به أحد من الناس، إلا ما عزاه الفاري إلى شيخه "بو نبزة" [كذا ضبطت عنده، وسيأتي الكلام على هذا الصنيع] الذي كان يزعم أن الزمزمي أحرق الكتاب بعد وفاة الشيخ رحمه الله!!! قال الحق سبحانه

وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ ، فالفسق صفة لازمة للفاري وشيخه حتى يبينا دعواهما، فتثبت منها، ودونهما خرط القتاد.

ثم علق بالهامش، فقال: ولقد كنت سألت شيخنا العلامة سيدي عبدالباري الزمزمي ابن الصديق، هل فعلا لوالده الشيخ محمد كتاب بهذا العنوان وذلك الموضوع، فقال لي بأنه سأل السؤال نفسه والده الشيخ المذكور فأجابه بأن هذا كان يروجه خصوم الأسرة الصديقية، وبأنه لم يخطر بباله شيء من ذلك أبدا، فكيف يكتب فيه مصنفا كاملا؟ انتهى

قلت: على كلامه ملاحظ كثيرة أذكر منها:

- الكتاب ثابت ثبوت الشمس في كبد السماء، صرح به المؤلف نفسه في كتابه "رفع الستار عن أغلاط توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار" قال بعد الحمد والصلاة: [ففي هذه الأيام وقع بيدي كتاب مكتوب على ظاهره ما يأتي (توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار. تأليف الشيخ محيي السنة ومميت البدعة أبي الفيض أحمد بن الشيخ سيدي محمد بن الصديق). هذا ما كتب على ظاهر ذلك الكتاب.. وأظنك إذا قرأت هذا العنوان.. اعتقدت أن صاحب الكتاب حريص على اتحاد المسلمين واجتماع كلمتهم في كل شيء.. حتى في الصوم والفطر! ولكن الحقيقة بخلاف ذلك.. فإنه لا رغبة له في اتحاد المسلمين في الصوم والإفطار ولا في الحج والصلاة، وإنما ألف هذا الكتاب عنادا وغراما بالجدال الذي هو

دأبه وديدانه، ومجارات [كذا] لأهواء أبناء هذا الوقت الذين يحبون التشبه بالفرنج في كل شيء.. حتى في الصيام والأعياد؛ فهم لأجل ذلك يحرصون على أن يكون العيد عند المسلمين كلهم في يوم واحد كما يكون عند الأوربيين كلهم في يوم واحد. وكما أنك قد تعتقد ما ذكر اغترارا بعنوان الكتاب.. كذلك قد تغتر بما حلي به مؤلفه من إحياء السنة وإماتة البدعة؛ فتظن أنه محيي السنة حقيقة مع أنه ليس كذلك! وكيف يكون محييا للسنة وهو يرد الأحاديث الصحيحة الصريحة بالتأويل البعيد، والتعسف البارد.. انتصارا لهواه واتباعا لشهواته؛ الأمر الذي أنكره على المقلدة وكفرهم لأجله!؟ فقد خالف الحديث الصحيح الصريح الذي حدث به رسول الله ﷺ - قبل وفاته بخمس ليال، ونهى فيه عن اتخاذ القبور مساجد.. بتأويلات باطلة، وتعسفات مضحكة، ومكابرة ظاهرة! وخالف الأحاديث الصحيحة الصريحة الدالة على تحريم تشبه النساء بالرجال والكفار.. وأعرض عن العمل بها بلا عذر ولا دليل مقبول؛ بل بالتأويل البعيد والتعسف البارد وملاحظة المعنى الباطل الذي هو الشهوة واتباع الهوى ومجاراة النساء في أهوائهن! وخالف الحديث الصحيح الوارد في النهي عن الصلاة إلى القبور بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير؛ بل بالتأويل الذي كفر به المقلدة وجعلهم لأجله مشركين! وخالف القرآن والسنة والإجماع والقياس في إتيانه الكهان.. وتصديقهم، بالتأويل الباطل، والمغالطة المفضوحة التي هي إلى الزندقة أقرب منها إلى التأويل!! وخالف السنة في تزويق المسجد وزخرفته، وتفريشه

بالزرابي.. بالتأويل الذي شنع به على المقلدة وكفرهم لأجله؛ فقال في (إحياء مقبوره): "وأجازوا - يعني المقلدة - تزويق المساجد وفرشها بالحصر والزرابي، لأنه أدعى للاحترام، ولما فيه من مصلحة المصلين.. مع أنه ورد النهي بل الوعيد على ذلك" انتهى بلفظه!! وخالف السنة والإجماع والقياس والاستحسان؛ بل والملل كلها في بيعه المساجد وأحباسها.. بالتأويل الذي هو في الحقيقة تلاعب بالدين، واستهزاء بآيات الله تعالى!! **في مسائل أخرى.. ذكرتها برمتها في كتابي "تحذير المسلم ممن يدعي العمل بالسنة وهو كذاب مجرم". فهذه المسائل كلها خالف فيها السنة اتباعا لشهواته وهواه**، وعملا بالتأويل الذي أنكره على المقلدة وكفرهم به؛ حتى ألف كتابا ألحد فيه وحرف الكلام عن مواضعه بتنزيل الآيات الواردة في المشركين على الفقهاء أئمة المسلمين.. شأن الخوارج المارقين، وسماه "الإقليد بتنزيل آيات الله على أهل التقليد"!! مع أننا علمنا بما ذكره في ذلك التأليف وجدناه أولى بما رمى به المقلدة.. وأجدر بما حكم عليهم منهم لأمرين: أحدهما أنه ارتكب عين الذنب الذي رماهم به وطبق عليهم لأجله ما ورد من الآيات في المشركين.. أعني رد النصوص الصريحة بالتأويل البعيد الذي لا ضرورة تدعو إليه! الثاني: أنه لم يسلك مسلك التأويل لضرورة دينية، كمعارضة النصوص بعضها لبعض.. أو ضرورة عقلية كمعارضتها للمعقول.. وإنما نحى نحوه انتصارا لهواه ومتابعة لشهواته، كما يشهد به ما تقدم ذكره من الأحاديث التي أولها لذلك.. الأمر الذي يدل على تهوره وتلاعبه، وأنه أقبح حالا من المقلدة

الذين كفرهم بالتأويل.. لما بين تأويله وتأويلهم من الفرق الذي لا يخفى!] انتهى المقصود وعذرا على الإطالة. (عن رسائل في الصيام للشيخ محمد الزمزمي ﷾ (٥٧-٥٨).

- وصرح به المردود عليه ـ الشيخ أحمد ـ في "الجواب المفيد" (٧٨) قال: (أعرضنا عن كتابة الحقيبة، لأنهم أقل من أن يكتب فيهم وأسقط. فلينفردوا هم بكتابة **من يدعي السنة وهو مجرم**، والبلاء الأزرق وغير ذلك). فعلقت بالهامش قائلا: هذا الكتاب للشيخ محمد الزمزمي ﷾، واسمه الكامل: "تنبيه المسلم ممن يدعي السنة وهو كذاب مجرم" كتبه للرد على الشيخ وكان قصده الاطلاع عليه، فلما توفي أحرقه لأن المعني بالرد توفي. أخبرني بهذا الأستاذ أبي الزمزمي. إذن مسألة الإحراق لم ينفرد بها شيخنا أبو أويس. فليعلم.

- وأما ما ذكرته عن الأستاذ عبد الباري الزمزمي فوقع لك فيه تخليط وخبط، فقد استفسرناه فأجابنا بثبوت نسبة الكتاب لوالده، مع إنكار المضمون الوارد فيه. فتثبت.

- وهناك نكتة لغوية لا أخلي هذه الوقفة من الإشارة لها، وهي قوله: هل فعلا لوالده..، **قلت**: التعبير بـ"فعلا" للدلالة على التأكيد، خطأ شائع، لم يعرف استعماله في الأساليب العربية الفصيحة، والفعل في اللغة: العمل، لا يتعدى هذا المعنى بتاتا، ولذلك صدر ابن منظور مادة فعل بقوله: الفِعل: كناية عن كل عمل متعدٍّ أَو غير متعدٍّ.

فليعلم

تِلكَ الحقيقةُ والمريـــ ـضُ القلبِ تجرحُهُ الحقيقةْ

٦- تصحيح بيت شعري مكسور:

في ص(٣١) أورد مقطوعة شعرية في مدح الأشعرية، وهي طويلة اجتزأ منها دون أن يشير وهذا عيب في المنهج، وجاء بآخرها:

ليسوا أولي التعطيل ولا ذوي إلحـــاد

قلت: المقطوعة من المجتث، وصدر هذا البيت جاء على وزن: مستفعلن مفعول. انتقص منه سكون بآخره وهذا عيب لا يجوز، والصواب أن يقول: ليسوا أولي تعطيلٍ.

وكثيرة هي الأبيات المكسورة في رسالته، مثل:

ص(٦٣) جاء فيها:

يـا أسمـاء لا تبكنـي لم يبق إلا حسبي وديني

وصارم لاثت به يميني

والصواب: [أسماء] يا أسماء لا تبكني

في ص(١٤٧) أورد أبياتا للعراقي هكذا:

والثالث المجهول للعداله في باطن فقـد رأى لـه

حجية ـ في الحكم ـ بعض من منع ما قبلهم منهم سليم فقطع

به وقال الشيخ إن العملا يشبه أنه على ذا جعلا

في كتب من الحديث اشتهرت خبرة بعض من بها تعذرت

والصواب:

وَالثَّـالِثُ: المَجْهُولُ لِلعَدالَـهْ ... في بَاطِنٍ فَقَـطْ. فَقَـدْ رَأَى لَـهْ
حُجِّيَّةً - في الحُكْمِ - بَعْضُ مَنْ مَنَعْ ... مَا قَبْلَهُ، مِنْهُمْ (سُلَيْمٌ) فَقَطَعْ
بِهِ، وَقَالَ الشَّيْخُ: إنَّ العَمَلا ... يُشْبِهُ أَنَّـهُ عَلَى ذَا جُعِلا
في كُتُبٍ منَ الحَدِيْثِ اشْتَهَرَتْ ... خِبْرَةُ بَعْضِ مَنْ بِهَا تَعَذَّرَتْ

٧- خطأ مطبعي أحال المعنى:

ذكر في ص(٣٢) قول الذهبي المشهور: "كلام الأقرن يطوى ولا يروى". **قلت**: هكذا الأقرن بحذف الألف بين الراء والنون، والصواب: الأقران، أما الأقرن فهو ذو القرون.

٨- التنبيه على وهم لغوي:

قال في ص(٣٤): التي خفف في الحكم فيها المحدثون.

قلت: ركاكة في الأسلوب يمجها ذو اللب السليم، والصواب أن يقول: التي خفف في الحكم عليها المحدثون.

وفي ص(١١٩)، قال: واعذرني عن الإطالة فيما نقلته منه.

والصواب: "اعذرني من"، وانظر أمالي المرزوقي، وخزانة الأدب للبغدادي، وأما عن فلها معنى آخر ينظر في "لسان العرب" (٤/ ٥٥٠).

٩- الكلام حول رسالة "كشف الأستار المسبلة" لابن الجراح:

في ص(٣٤) أنكر ثبوت رسالة "كشف الأستار المسبلة" للشيخ

أحمد، وأقوى ما استدل به ما جاء في "الجواب المفيد" (٤٧): (وابن الجراح هو اسم مستعار لبعض تلامذتنا الشوام الحلبيين بمصر، وكان يحب المغاربة، ويكثر مخالطتهم عند قدومهم للحج، ويرافقهم طول إقامتهم بالقاهرة، فأخذ عنهم معلومات كثيرة عن المغرب والمغاربة الذين منهم الشيخ عبد الحي، واستعان برسالتنا "الاستعاذة والحسبلة"، وبكتابنا "الصواعق المنزلة"، وكتب تلك الرسالة. وهو يعرف الشيخ عبد الحي شخصيا، وزاره لما كان بالقاهرة برفقتنا. والعلم عند الله بحقيقة تلك الأخبار المذكورة فيه).

قلت: أولا: يقبل من الشيخ هذا التصريح لو صدق في جميع أعماله، أما أنه يدلس في موضع تدليسا غريبا هو بالكذب أقرب ثم ينسبه لنفسه في موضع آخر كما فعل بمنظومة "بعر النعجة" ـ وسيأتي الكلام عنها بعد ـ فهذا الصنيع يفقد الثقة بالشيخ، فلا يقبل قوله في هذا الباب إلا بشاهد، خصوصا وأنه يحيل على المجهول الذي لا يعرف إلا من قبله. فاعلم.

ثانيا: إن الكتاب أثبته له معاصرون أعرف به من غيره، مثل: الشيخ عبد الحي الكتاني المردود عليه، والأديب أحمد خيري في منشور له بخط يده ـ وإن كنا لا نصدق بمجمل ما جاء فيه من أباطيل وأكاذيب لكن فيه معلومات تاريخية يستأنس بها، وقد كتبنا رسالة في نقده اسمها "كشف المستور عما تضمنه هذا المنشور ـ...

ثالثا: الشهرة والاستفاضة.

رابعا: التشابه الموجود بين كتبه في الأسلوب، فسياق العورات

المذكورة في الرسالة هي أشبه بما ذكر في رسالة "صدق اللهجة بالتحدث عن مساوئ أهل طنجة".

هذا من جهة ومن جهة أخرى، من المعلوم أن الشيخ قد شاركه أحد ما في كتابة الرسالة والتزويد بالمعلومات اللازمة، وهو المقصود بذكره في "الجواب المفيد"، ولذلك صرح به الشيخ عبد الحي في الرد؛ إذ المواصفات التي ذكرها الشيخ أحمد تنطبق عليه تماما، لكن رغم ذلك يبقى حضور الشيخ قويا في الأسلوب والصياغة، فإن سلمنا بأن الطرف الآخر هو الذي كتب ابتداءً، فالشيخ هو الذي راجعه بالتقديم والتهذيب والإضافة، وليس هذا بغريب عنه فقد فعله في كتاب "الصارم المبيد" لشيخنا أبي الفتوح عبد الله التليدي، ولأجل ذلك كان الشيخ الزمزمي ﷺ ينسب الكتاب لأخيه (انظر رسالة "إقامة الحجة على جواز الصلاة خلف أهل الفسق والبدعة" للزمزمي)، وفعله في مقال لأخيه الزمزمي أثناء رده على الدكتور الهلالي في جريدة الأخبار التطوانية، ولا زالت الزيادة محفوظة بخطه عند الأستاذ أبي الزمزمي حفظه الله.

١٠ - التنبيه على خطإ لغوي:

قال في ص(٣٦): وصرفوه من حب الشيخ...

قلت: الصواب أن يقول: وصرفوه عن، ومنه قوله تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ﴾.

١١- من ذم بعد مدح فقد كذب مرتين:

قد طبق عدنان هذه المقولة في ص(٣٧) على شيخنا أبي أويس بعد أن بين اختلاف أقواله في الشيخ أحمد، ولكل ذلك مخارج معروفة يعرفها كل عاقل، فلا داعي لذكرها، لكن نلتفت إلى عدنان ونقول له: أنت تتلمذت للشيخ استجازة ومكاتبة ومشافهة، وأثنيت عليه أكثر من مرة، فوصفته بشيخنا، العلامة، الأستاذ، الإمام في الأدب واللغة، وبالغت في رسالة فأنزلته منزلة النووي، حين استشهدت ببيتي التقي السبكي:

وفي دار الحديث لطيفُ معنى على بسط بها أصبو وآوي
عساني أن أمَسّ بحُرِّ وجهي مكاناً مسَّه قدمُ النواوي

وكنت تستشيره في الأعمال المقْدم عليها فيفيدك وينصحك، أتذكر لما استفسرته عن كتاب ابن منده في الأرداف فأخبرك بطبعه؛ بل اشتراه ليهديه لك، إلا أنك أعلمته بالعثور عليه واقتنائه، فحظي راقم هذه السطور بالهدية واحتفى بها. واستفسرته عن منهج التفويض في تدريس عقيدة ابن أبي زيد القيرواني، فأجابك برأيه الصريح.

بل أكثر من هذا أهديته صورة عن كتاب "سبحة العقيق" للشيخ أحمد ابن الصديق.. فعلى ماذا يدل هذا!؟

والآن في هذا الكتاب تكيل له الشتائم، وتصفه بالخائب، وبونبزة، والخائن، و... فما عدا مما بدا. أو أن المقولة تنطبق عليك أيضا!؟

١٢ - لطيفة نحوية: التكرار في العطف جائز لغرض بلاغي:

قال في ص(٣٧): أن قوله "وعاينه" بعدما قال "من رأى الكتاب" زيادة للفظة قد أدت غيرها المعنى نفسه، وهو تكرار فاحش وإطناب يتنزه عنه كلام الفصحاء...

قلت: نعم قد تقرر عند النحويين أن **العطف يقتضي المغايرة**، لكن لهذه القاعدة مستثنيات إذا كان مقصود المنشئ يقتضي غير ذلك، فمثلا المقصود من هذا التكرار التأكيد على رؤية الكتاب، ولا بأس بسرد ما قرره النحاة لتدركه، يقول النحاة: (إن المغايرة، هي الأصل الغالب في عطف النسق بين المتعاطفين، يريدون: أن يكون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه في لفظه وفي معناه معا؛ فلا يعطف الشيء على نفسه. هذا هو الأصل الغالب، لكن العرب قد تعطف ـ لغرض بلاغي ـ الشيء على نفسه إذا اختلف اللفظان؛ كقولهم... "وألفى قولها كذبا ومينا"، فقد عطفوا المين على الكذب، ومعناهما واحد، واللفظان مختلفان، **لغرض بلاغي هو تقوية معنى المعطوف عليه وتأكيده**). "النحو الوافي" (٣/ ٦٦٠).

١٣ - التفيهق لا التفيقه:

في ص(٣٨)، قال:... ولا حجة له إلا التنطع والتفيقه. بتقديم القاف على الهاء.

قلت: لا تعرف كلمة "التفيقه" من مادة "فقه"، والصواب: "التفيهق" بتقديم الهاء على القاف، جاء في المعجم الوسيط مادة "فَهِقَ":

تَفَيْهَقَ في كلامه: توسع وتنطع. وفي الحديث: «إن أبغضكم إليَّ الثرثارون المتفيهقون» رواه الترمذي (١٩٤١) وحسنه.

١٤- ثنايا بمعنى أثناء خطأ شائع:

في ص(٤٤)، قال: أتى الفاري في رسالته بكلام الشيخ من ثنايا كتبه...

قلت: استعمال "ثنايا" بهذا المفهوم خطأ شائع وتعبير لا يصح، لأن الثنايا ج ثنية وهي إحدى الأسنان الأربع التي في مقدم الفم، ثنتان من فوق وثنتان من تحت.

١٥- استشهاده بما لا يصح:

في ص(٤٥)، قال: وهذا الذي تأول به معاوية الحديث كان في أول أمره لما سمع بمقتل عمار، لكن بعد ذلك تأوله بما هو أضعف وأضعف، واعترف بأنه هو الذي قتله. فقد ذكر الطبري في التاريخ بعث علي بعض الصحابة إليه لموادعة الصلح فلما ذكره أحدهم، وهو شبث بن ربعي بقتله عمارا، قال معاوية: وما يمنعني من ذلك؟ والله لو أمكنت من ابن سمية ما قتلته بعثمان، ولكن كنت قاتله بقاتل مولى عثمان.

قلت: يلام عدنان على حذفه للسند وهو يعلم ما فيه، وإليك إسناده، قال الطبري: (فذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف الأزدي قال: حدثني سعد أبو المجاهد الطائي، عن المُحِلّ بن خليفة الطائي قال:...) يظهر أولا أن السند أتى به الطبري معلقا، ولا حجة في معلق، وثانيا فيه: أبو مخنف لوط

بن يحيى الأزدي، قال الذهبي: إخباري تالف، لا يوثق به. "ميزان الاعتدال" (٣/ ٤١٩)، وانظر "اللسان" (٦/ ٧٧-٧٨).

وكذلك فعل في روايتين بالصفحتين: (٤٨-٤٩). والأدهى والأمر استشهد في ص(٤٩) بخبر عن الناصري في "الاستقصا"!؟

في ص(٥٨)، قال:... معارضته لما هو أثبت وأصرح منه فقد روى الشافعي في "الأم" (١/ ١٨٠) والحاكم في "المستدرك" (١/ ٣٥٧) والبيهقي في "السنن الكبرى" (٢/ ٤٩) والدارقطني في "السنن" (١/ ٣١١) وغيرهم من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن أبي بكر بن حفص بن عمر أن أنس بن مالك قال: صلى معاوية بالمدينة صلاة فجهر فيها بالقراءة فقرأ فيها "بسم الله الرحمن الرحيم" لأم القرآن، ولم يقرأ "بسم الله الرحمن الرحيم" للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة ولم يكبر حين يهوي حتى قضى تلك الصلاة، فلما سلم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والأنصار من كل مكان، يا معاوية أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فلما صلى بعد ذلك قرأ "بسم الله الرحمن الرحيم" للسورة التي بعد أم القرآن وكبر حين يهوي ساجدا.

ثم قال عدنان متفقها: وهذا ظاهر في ترك معاوية لبعض السنن المؤكدة في الصلاة حتى أنكر عليه من سمع ذلك من المهاجرين والأنصار...

قلت: إذا ثبت العرش انتقش، أما الحديث المحتج به فمعلوم ضعفه، وقد تكفل ببيان ذلك الحافظ الزيلعي في كتابه "نصب الراية" قال: الوجه

الأول: مداره على عبد الله بن عثمان بن خثيم، وهو وإن كان من رجال مسلم (قال راقم هذه السطور: ولم يكثر من الإخراج له سوى حديث واحد استشهادا ومتابعة (٤٢٤٦) ـ باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وآله وسلم) لكنه متكلم فيه، أسند ابن عدي إلى ابن معين أنه قال: أحاديثه غير قوية، وقال النسائي: لين الحديث، ليس بالقوي فيه، وقال الدارقطني: ضعيف لينوه، وقال ابن المديني: منكر الحديث. وبالجملة فهو مختلف فيه، فلا يقبل ما تفرد به، مع أنه قد اضطرب في إسناده ومتنه، وهو أيضا من أسباب الضعف، أما في إسناده، فإن ابن خثيم تارة يرويه عن أبي بكر بن حفص عن أنس، وتارة يرويه عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه. وقد رجح الأولى البيهقي في " كتاب المعرفة " لجلالة راويها، وهو "ابن جريج" ومال الشافعي إلى ترجيح الثانية، ورواه ابن خثيم أيضا عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده، فزاد ذكر الجد كذلك، رواه عنه إسماعيل بن عياش، وهي عند الدارقطني، والأولى عنده وعند الحاكم، والثانية عند الشافعي، وأما "الاضطراب في متنه" فتارة يقول: صلى، فبدأ بـ"بسم الله الرحمن الرحيم" لأم القرآن، ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها، كما تقدم عند الحاكم، وتارة يقول: فلم يقرأ: "بسم الله الرحمن الرحيم". حين افتتح القرآن، وقرأ بأم الكتاب، كما هو عند الدارقطني في رواية إسماعيل بن عياش، وتارة يقول: فلم يقرأ: "بسم الله الرحمن الرحيم " لأم القرآن ولا للسورة التي بعدها، كما هو عند الدارقطني في رواية ابن جريج، ومثل هذا

الاضطراب في السند والمتن مما يوجب ضعف الحديث، لأنه مشعر بعدم ضبطه.

الوجه الثاني: أن شرط الحديث الثابت أن لا يكون شاذا، ولا معللا، **وهذا شاذ معلل**، فإنه مخالف لما رواه الثقات الأثبات عن أنس، وكيف يروي أنس مثل حديث معاوية هذا محتجا به، وهو مخالف لما رواه عن النبي ﷺ وعن خلفائه الراشدين، ولم يعرف عن أحد من أصحاب أنس المعروفين بصحبته أنه نقل عنه مثل ذلك، ومما يرد حديث معاوية هذا أن أنسا كان مقيما بالبصرة، ومعاوية لما قدم المدينة لم يذكر أحد علمناه أن أنسا كان معه، بل الظاهر أنه لم يكن معه، والله أعلم.

الوجه الثالث: أن مذهب أهل المدينة قديما وحديثا ترك الجهر بها، ومنهم من لا يرى قراءتها أصلا، قال عروة بن الزبير، أحد الفقهاء السبعة: أدركت الأئمة وما يستفتحون القراءة إلا " بالحمد لله رب العالمين "، وقال عبد الرحمن بن القاسم: ما سمعت القاسم يقرأ بها، وقال عبد الرحمن الأعرج: أدركت الأئمة وما يستفتحون القراءة إلا " بالحمد لله رب العالمين "، ولا يحفظ عن أحد من أهل المدينة بإسناد صحيح أنه يجهر بها إلا شيء يسير، وله محمل، وهذا عملهم يتوارثه آخرهم عن أولهم، فكيف ينكرون على معاوية ما هو شبههم؟ هذا باطل.

الوجه الرابع: أن معاوية لو رجع إلى الجهر بالبسملة، كما نقلوه، لكان هذا معروفا من أمره عند أهل الشام الذين صحبوه، ولم ينقل ذلك عنهم، بل

الشاميون كلهم خلفاؤهم وعلماؤهم، كان مذهبهم ترك الجهر بها، وما روي عن عمر بن عبد العزيز من الجهر بها فباطل لا أصل له.

والأوزاعي إمام الشام، ومذهبه في ذلك مذهب مالك، لا يقرؤها سرا ولا جهرا، ومن المستبعد أن يكون هذا حال معاوية، ومعلوم أن معاوية قد صلى مع النبي ﷺ فلو سمع النبي ﷺ يجهر بالبسملة لما تركها حتى ينكر عليه رعيته أنه لا يحسن يصلي، **وهذه الوجوه من تدبرها علم أن حديث معاوية هذا باطل، أو مغير عن وجهه...** "نصب الراية" (١/ ٣٥٣-٣٥٤).

أهكذا تورد الإبل يا سعد!؟

١٦- النووي متشدق!؟

في ص(٤٦)، قال بعد أن ذكر حديث معاوية "ما منعك أن تسب أبا تراب": وفي هذه القصة دليل على أن معاوية كان يأمر الناس بسب علي على المنابر ويحث عليه. وقد تكلف المتشدقون تأويل هذا بأغرب من سابقيه...

قلت: وهل النووي متشدق لما حكى الأقوال وأقرها بالسكوت عنها!؟ وقبل حكايتها صدرها بقوله: قال العلماء، فمن هم هؤلاء العلماء!؟ قطعا سيكون منهم شراح مسلم مثل: المازري والقاضي عياض رحمهما الله. فهل هما كذلك يدرجون ضمن زمرة المتشدقين!؟ اللهم إني أسألك الأدب مع أهل العلم، آمين يا رب.

١٧- لحن جلي:

في ص(٤٧)، قال: وقد صنف ابن أبي عاصم جزء في مناقبه.

قلت: هكذا رسم كلمة "جزء" بدون علامة النصب الدالة على المفعولية. والصواب أن تكتب: جزءا، أو جزءً.

١٨- إثبات لنفي:

في ص(٥١) قال: وصاحبنا الفاري فهم من قول الشيخ: "فاعلم أن معاوية يبهمه رواة النواصب المنافقون" أنه يقصد أصحاب كتب السنن التي روت تلك الأحاديث، وهذا مخالف للواقع، لأن الشيخ لو كان يريد ذلك لصرح به كما هو (كذا) عادته.

قلت: وقد صرح بذلك في حق الإمام أحمد رحمه الله، قال في "الجواب المفيد" (٥٨) عن حديث «يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت يوم يموت على غير ملتي» قال: وكنت تركت أبي يلبس ليخرج، فخفت أن يطلع، فطلع فلان: **هكذا ستره أحمد في المسند على عادته، لكن البلاذري صرح به فطلع معاوية.**

فهل بعد هذا التصريح من إنكار!؟

وفي ص(٥٣) قال: ومن كذبه المفضوح أيضا قوله عن كتاب "النصائح الكافية لمن يتولى معاوية" المنسوب إلى ابن عقيل الحضرمي: "وهذا الكتاب كان أحمد يوزعه وينصح بقراءته".

قلت ـ القائل هو عدنان ـ: لم يذكر الفاري من أين له هذا ولا من أعلمه به، وهكذا يكون التحقيق والتوثيق، وكذلك يكون التبين والتثبت من المتعالمين، وقد قال: (إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا).

قلت ـ القائل هو بدر عفا الله عنه ـ: إليك الدليل، قال الشيخ في "الجواب المفيد" (٥٩): والكلام طويل ولو كان عندي كتابا "تقوية الإيمان"، و"النصائح الكافية" لأرسلتهما للأستاذ فإن فيهما ما يكفي.

١٩- حديث أم حرام فضيلة لمعاوية أثبتها شيخنا أبو الفتوح:

في ص(٥٥)، قال: ومن جهله كذلك استشهاده بحديث أم حرام في ركوبها البحر مع جيش معاوية الذي رواه البخاري ومسلم وغيرها وجعله دليلا على منقبة له.

قلت: وقد جعله كذلك شيخنا أبو الفتوح عبد الله التليدي في كتابه "جواهر البحار في الأحاديث الصحيحة القصار" (١/ ٣٣٣-٣٤٤): "وكان هذا الجيش أيام الخليفة الثالث سيدنا عثمان رضي الله عنه برياسة معاوية بن أبي سفيان فإنه أول من ركب البحر بالجيش الإسلامي ومشى حتى نزل بقبرص فصالحهم، وهو يدل على أن هذا الجيش من أهل الجنة".

فاحكم بعد ذلك بما تشاء.

٢٠- معاوية فقيه:

في ص(٥٧)، قال: إن قولة ابن عباس رضي الله عنه: إنه فقيه، لا تدل على فضيلة لو نظرنا إلى السياق الذي ذكرت فيه...

قلت: أما غيرك فقد عدها فضيلة، قال الحافظ ابن حجر:... لأن ظاهر شهادة ابن عباس له بالفقه والصحبة دالة على الفضل الكثير. "الفتح" (٧/ ١٣١). هكذا يكون الفهم وإلا فلا.

في ص(٥٨)، قال: الوجه الخامس: أن لا أحد ممن صنف في طبقات الفقهاء وترجم لهم ذكر معاوية منهم، مما يدل على أنهم لم يحملوا كلمة ابن عباس فيه على مفهومها المشهور، والله أعلم.

قلت: طبقات الفقهاء كلها مذهبية ففي أي المذاهب يدرجونه!؟ هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فقد عده من الفقهاء ابن حزم، وأقره ابن القيم في "أعلام الموقعين عن رب العالمين"، جاء فيه:

[الْمُتَوَسِّطُونَ فِي الْفُتْيَا مِنْهُمْ] قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَالْمُتَوَسِّطُونَ مِنْهُمْ فِيمَا رُوِيَ عَنْهُمْ مِنْ الْفُتْيَا: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَأُمُّ سَلَمَةَ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ؛ فَهَؤُلَاءِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ يُمْكِنُ أَنْ يُجْمَعَ مِنْ فُتْيَا كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ صَغِيرٌ جِدًّا، وَيُضَافُ إلَيْهِمْ: طَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَعِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، وَأَبُو بَكْرَةَ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ.

"إعلام الموقعين عن رب العالمين" لابن قيم الجوزية (١/ ١٣).

وأقرهما الشيخ جمال الدين القاسمي في رسالته النافعة "نقد النصائح

الكافية" (٤٨)، وقال:

(دعوى أن معاوية لم يبلغ رتبة الاجتهاد تفريط في الإنصاف وإفراط في النجش، وقد يفضي إلى ما لا يذهب إليه المناظر، فإن معاوية أقام أميرا لعمر رضي الله عنه في الشام أيام خلافته يقضي ويفتي، هكذا كل عامل لخليفة إنما يولى ليكفي الخليفة مؤونة ذلك، وقد ذكر الإمام ابن القيم في أعلام الموقعين أن عمر بن عبد العزيز استعمل عروة بن محمد السعدي على اليمن وكان من صالحي عمال عمر وأنه كتب إلى عمر يسأله عن شيء من أمر القضاء فكتب إليه عمر: "لعمري ما أنا بالنشيط على الفتيا، ما وجدت منها بدا، وما جُعلت إلا لتكفيني، وقد حملتك ذلك فاقض فيه برأيك". وهكذا كان عمال الخلفاء؛ لا سيما عمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وناهيك بعمر وتخيره وشدته ويقظته على عماله ومؤاخذته لهم بالقليل والكثير، فهل يتصور أن يولي عمر إقليما كالشام وهو أعظم أقاليم الخلافة في عهده تلك المدة عاملا ليس بأهل ولا كفؤ، ولا بلغ رتبة من يجتهد في الدين، ما أظن منصفا يقبل ذلك).

٢١- إن كنت ناقلا فالصحة وأو مدعيا فالدليل:

هذه من القواعد المشهورة الملتزمة في باب النقد؛ لكن عدنان لم يلتزمها، فيأتي بنصوص لا تصح نسبتها كما تقدم قبل بجلاء، ويأتي بنقول محرفة، مثل:

ص(٥٩) قال: وهو معارض بما ذكره ابن كثير أيضا في التاريخ عن أبي اليمان عن شعيب الزهري قوله: مضت السنة أن لا يرث الكافر المسلم

ولا المسلم الكافر، وأول من ورث المسلم من الكافر معاوية...

قلت: أولا: السند معلق، ولا حجة في معلق، ثانيا: لا يعرف شعيب الزهري في الرجال، والصواب: شعيب عن الزهري.

وفي ص(٤٩) نسب قول: (أربع خصال كن في معاوية) للحسن بن علي رضي الله عنه، والصواب: الحسن بن أبي الحسن يسار البصري. على ضعف الأثر لأنه من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي. **وقس على هذا في جل تضاعيف الكتاب.**

٢٢- رأي الشيخ أحمد في كتاب المأمون عن معاوية وأبيه:

في ص(٦١)، فقال عنه في "الجؤنة" (٢/ ١٣١): ... "تقول بالإسلام غير منطو عليه وآسر الكفر غير مقلع عنه..." وعلق الفاري على هذا بقوله: "أشققت على قلبه حتى علمت ذلك، ولكنه الحقد والغيظ الذي امتلأ قلبك به... هـ ثم قال عدنان: فلما رجعنا إلى "الجؤنة" وقفنا على ما كنا لا نشك فيه لحظة، فإن الكلام المنسوب إلى الشيخ، والمنتقد عليه على أنه قول له ليس كلاما له، وإنما هو كلام الخليفة المامون الذي ضمنه كتابا كان ينوي توزيعه على الخطباء، كما ذكر ذلك مفصلا الطبري في تاريخه، ولفظ الشيخ جاء هكذا، قال رحمه الله: "والكتاب المذكور طويل جاء فيه:..." وفي نصه الكلمة التي نسبها المدلس الكذوب إلى الشيخ.

قلت: لكنه صدقه وصحح ما فيه؛ بل عزم على بيان ذلك بدلائله، ألا يكفي هذا، والمقر بالقول كالقائل به!؟

٢٣- تخريج حديث «آخركم موتا في النار» ودرء الشبهات عن سمرة ابن جندب:

الحديث ورد عن:

-أبي هريرة من طرق، عن:

أبي أويس رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٠٨٤) و"الأوسط" (٦٣٨٦).

قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بن أَحْمَدَ بن كُسَا الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: نا مُحَمَّدُ بن حَرْبٍ النَّشَّائِيُّ، قَالَ: نا أَبُو مَرْوَانَ الْغَسَّانِيُّ، عَنْ يُونُسَ بن عُبَيْدٍ، عَنْ عَلِيِّ بن زَيْدٍ، عَنْ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ كُنْتُ تَاجِرًا بِالْمَدِينَةِ، قُلْتُ: أَقْدُمُ، فَإِذَا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ لَقِيَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ فَسَأَلَنِي عَنْ سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ، وَإِذَا قَدِمْتُ الْبَصْرَةَ سَأَلَنِي سَمُرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كُنَّا سَبْعَةً فِي بَيْتٍ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ:«آخِرُكُمْ مَوْتًا فِي النَّارِ». فَلَمْ يَبْقَ إِلا أَنَا وَسَمُرَةَ. لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ يُونُسَ بن عُبَيْدٍ إِلا أَبُو مَرْوَانَ يَحْيَى بن أَبِي زَكَرِيَّا الْغَسَّانِيُّ، تَفَرَّدَ بِهِ: مُحَمَّدُ بن حَرْبٍ.

قلت: أبو مروان يحيى بن أبي زكريا الغساني، قال فيه الحافظ في التقريب: ضعيف، ما له في البخاري سوى موضع واحد متابعة.

وعلي بن زيد بن جدعان، ضعفه الحافظ أيضا.

وأبي أُمَين رواها الدولابي في "الكنى والأسماء" (١٠٠٠٤٨) قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ ويزيد بن سنان قالا:، ثنا موسى

بن إسماعيل، قال:، ثنا أبو هلال، عن جابر أبي حابس، عن أبي الوازع عن أبي أمين عن أبي هريرة قال: انطلقت أنا وسمرة بن جندب، وعبد الله بن عمرو نطلب النبي ﷺ فقيل لنا: تولى نحو مسجد التقوى فجلسنا فلما طلع قمنا ويده اليمنى على كاهل أبي بكر، ويده اليسرى على كاهل عمر قال: فلما دنونا قال: «يا أبا بكر من هؤلاء»؟ قال: أبو هريرة وسمرة بن جندب، وعبد الله بن عمرو فقال: «أما إن آخرهم موتا في النار»، سمعت العباس بن محمد يقول: عن يحيى بن معين قال: لم أسمع بأبي أمين، إلا في حديث أبي هريرة: هذا آخركم موتا.

جاء في "لسان الميزان" لابن حجر (٣/ ١٤٦):

أبو أمين بالتصغير: روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "انطلقت أنا وعبد الله بن عمرو وابن جندب فذكر حديثا طويلاً آخره «آخركم موتاً في النار»، وعنه أبو الوازع جابر بن عمرو، قال يحيى بن معين في رواية عباس الدوري عنه: لم أسمع بأبي أمين إلا في هذا الحديث. **قلت**: أخرج حديثه أحمد في مسنده من هذا الوجه، وقال الحسيني في رجال السند: مجهول. وأقول: بل هو شامي معروف روى عنه أيضاً: أرطاة بن المنذر، ومعاوية بن صالح، وذكر الحاكم أبو أحمد في الكنى أن اسمه كثير بن الحارث الذي روى عن القاسم بن عبد الرحمن، وفي ما قاله نظر؛ لأنه متأخر الطبقة عن هذا، نعم هو يكنى أبا أمين أيضاً وهو في التهذيب.

قلت: لكن يبقى مجهول الحال. وشيخه أبو الوازع قال عنه الحافظ في

التقريب: صدوق يهم. وأبو هلال الراسبي، قال الحافظ أيضا: صدوق فيه لين. وجابر أبو حابس لم أقف عليه.

وحجر أبي عمارة رواه الدولابي في "الكنى والأسماء" (٩٥٥) قال: حدثنا أحمد، وعلي ابنا حرب قالا: حدثنا القاسم بن يزيد، عن شريك، عن عبيد الله بن سعد، عن حجر أبي عمارة، قال: جلبت غنما إلى المدينة فجئت إلى أبي هريرة فسألني فأخبرته قال: ما فعل سمرة بن جندب؟ قلت: حي قال: ما على الأرض أحد أحب إلي حياة منه. قلت: لم ذاك؟ قال: لأن رسول الله ﷺ قال لي وله ولآخر: «آخركم موتا في النار».

فيه: شريك بن عبد الله النخعي، قال الحافظ: صدوق، يخطئ كثيرا، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة.

وحجر أبو عمارة لم أقف له على ترجمة.

وأبي نضرة رواه البيهقي في "دلائل النبوة" (٢٧٨٨) قال: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، ببغداد، أخبرنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن أبي مسلمة، عن أبي نضرة، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال لعشرة في بيت من أصحابه: «آخركم موتا في النار». فيهم: سمرة بن جندب. قال أبو نضرة: فكان سمرة آخرهم موتا. قال البيهقي: رواته ثقات إلا أن أبا نضرة العبدي لم يثبت له عن أبي هريرة سماع، فالله أعلم. وروي من وجه آخر موصولا عن أبي هريرة وأنس بن حكيم رواه البيهقي في "دلائل النبوة" (٢٧٨٩) قال:

أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا محمد بن أبي بكر، حدثنا إسماعيل بن حكيم، حدثنا يونس بن عبيد، عن الحسن، عن أنس بن حكيم الضبي، قال: كنت أمر بالمدينة فألقى أبا هريرة فلا يبدأ بشيء يسألني حتى يسألني عن سمرة، فإذا أخبرته بحياته وصحته فرح، فقال: إنا كنا عشرة في بيت، وإن رسول الله ﷺ قام فينا فنظر في وجوهنا وأخذ بعضادتي الباب، ثم قال: «آخركم موتا في النار». فقد مات منا ثمانية، ولم يبق غيري وغيره فليس شيء أحب إلي من أن أكون ذقت الموت.

فيه: إسماعيل بن حكيم الخزاعي ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل وسكت عنه.

وأنس بن حكيم الضبي مجهول، جهله كل من ابن المديني وابن القطان. "تهذيب التهذيب" (١/ ٣٢٧) وأما توثيق ابن حبان فلا عبرة به لأنه لم يخبر حال الرجل واكتفى بقوله: روى عن أبي هريرة وروى عنه الحسن. (٤/ ٥٠).

-أبي محذورة:

رواه كل من البيهقي (٢٧٩٠) وأبي نعيم (٤٧٨) في "دلائل النبوة" من طريق الحجاج بن المنهال قال: حدثنا حماد عن علي بن زيد، عن أوس بن خالد، قال: كنت إذا قدمت على أبي محذورة سألني عن سمرة، وإذا قدمت على سمرة سألني عن أبي محذورة فقلت لأبي محذورة: ما لك إذا قدمت

عليك سألتني عن سمرة، وإذا قدمت على سمرة سألني عنك؟ فقال: إني كنت أنا وسمرة وأبو هريرة في بيت فجاء النبي ﷺ، فقال: «آخركم موتا في النار». فمات أبو هريرة، ثم مات أبو محذورة، ثم سمرة. قال البيهقي: وروي من وجه آخر ذكر فيه عبد الله بن عمرو بدل أبي محذورة، والأول أصح.

قال الهيثمي: رواه الطبراني، وأوس بن خالد لم يرو عنه غير علي بن زيد، وفيهما كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح. "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي" (٨/ ٢٩٠).

قلت: أوس بن خالد جُهِّل وضُعِّف، قال البخاري: عامة ما يرويه عن سمرة مرسل، في إسناده كلام؛ لأن أوسا لا يروي عنه إلا علي بن زيد، وعلي فيه بعض النظر. وقال الأزدي: منكر الحديث. وقال ابن القطان: أوس مجهول الحال، له ثلاثة أحاديث عن أبي هريرة منكرة. وذكره ابن حبان في "الثقات". "تهذيب التهذيب" لابن حجر (١/ ٣٣٤).

وأما ابن حبان فلم يزد على أن كشف إرسال أوس، وذكر ثلاثة رواة عنه، ولا يكفي في توثيقه على منهج جماهير المحدثين، ولذلك قال عنه ابن القطان: مجهول الحال.

وأما علي بن جدعان وإن كان مختلفا فيه، فالراجح التضعيف الوارد فيه مفسرا، قال عنه شعبة: كانا رفاعا. وقال حماد بن زيد: يقلب الأحاديث، وقال: كان علي بن زيد يحدث بالحديث فيأتيه من الغد فيحدث به كأنه حديث آخر. "الضعفاء" للعقيلي (٣/ ٢٣١). فهل بعد هذا يوثق!؟

وله طريق أخرى مرسلة رواها البيهقي في "دلائل النبوة" أيضا (٢٧٩١) قال: أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا أحمد بن يوسف، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، قال: سمعت ابن طاوس، وغيره، يقولون: قال النبي ﷺ لأبي هريرة ولسمرة بن جندب ولرجل آخر: «آخركم موتا في النار». فمات الرجل قبلهم وبقي أبو هريرة بالمدينة، فكان إذا أراد الرجل أن يغيظ أبا هريرة يقول: مات سمرة بن جندب، يعني فإذا سمعه غشي عليه وصعق، ومات أبو هريرة قبل سمرة فقتل سمرة بشرا كثيرا.

قال البيهقي: هذا مرسل وهو يؤكد ما قبله.

فها هي ذي طرق الحديث كلها لا تخلو من مقال موهن للحديث.

وأما المتن فمنكر، لأمرين:

الأول: اضطرابه، فمرة جاء فيه أن الرسول صلى الله عليه وآله قالها لعشرة من أصحابه، ومرة لسبعة، ومرة لثلاثة، ومرة ذكر عبد الله بن عمرو بن العاص ثالث الثلاثة، ومرة عوض بأبي محذورة. والاضطراب مانع من تقوية الطرق خصوصا إذا كانت الآفة من المجاهيل وممن لا يعرف، أو ممن عرف بالقلب والخلط. والدلائل على هذا شاهدة ومعروفة في كتب التخريج.

الثاني: فطر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الرحمة، وسماه ربه عز وجل في محكم كتابه: رؤوفا رحيما، فكيف يُفْزِع ثلاثة من أصحابه طول

حياتهم بهذا الحديث، في حين أن المنافقين أعداء الإسلام لم يعلن أسماءهم؛ بل كتمها وأسرها لكاتم سره: حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

وأما إذا أراد التصريح بعيب في شخص ما فلا يواجهه به؛ وإنما يفصح عن ذلك في غيبته من باب النصح والتحذير. والله أعلم.

وأما قول عدنان: وقد صحح الحديث جمهرة من المحدثين، منهم: البيهقي، وابن عبد البر، والهيثمي، والذهبي، والحافظ، وغيرهم...

فغير صحيح، وإليك التفصيل:

-البيهقي: أتى بالطرق في الدلائل وتكلم على بعضها، ولم يعط الحكم النهائي لمجموع الطرق، قال ابن كثير في "النهاية" (٦/ ٢٥٤): "وقد ضعف البيهقي عامة هذه الروايات لانقطاع بعضها وإرساله". فأين صححها!؟

-ابن عبد البر: لم يصحح تصريحا، وإنما فهمت ذلك من قوله: وكانت وفاته بالبصرة في خلافة معاوية سنة ثماني وخمسين سقط في قدر مملوءة ماء حاراً كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز شديد أصابه فسقط في القدر الحارة فمات فكان ذلك تصديقاً لقول رسول الله ﷺ له ولأبي هريرة ولثالث معهما: «آخركم موتاً في النار». "الاستيعاب" (١/ ١٩٧). **والعمدة في التصحيح التصريح، لا الإيحاء والفهم السنيح.**

-الهيثمي: لم يصحح بتاتا في "مجمع الزوائد"، وإنما عرض طريقين وتكلم عليهما من جهة علي بن زيد بن جدعان.

-الذهبي: لم يصحح وإنما استغرب طريق أبي نضرة، ثم قال: وله شويهد بالتصغير، والتصغير هنا دال على التوهين، أليس كذلك!؟ وخصوصا الطريق التي أتى بها بعد اشتملت على مجهولين. وغيرها سكت عنها، ولا ينسب لساكت قول.

-الحافظ: لم يصحح وإنما حكى كلام ابن عبد البر فقط. ولا تقل: حكايته إقرار. لأن كتاب الإصابة تركه ابن حجر في المسودة، هذا ما يفهم من كلام السخاوي: وكتاب شيخنا المسمى "بالإصابة" جامع لما تفرق منها مع تحقيق، ولكنه لم يكمل. "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ" (١١٤).

وأما سقوطه في النار، فلا يحتفل به، قال البيهقي في "دلائل النبوة" (٢٧٩٤): بلغني عن هلال بن العلاء الرقي أن عبد الله بن معاوية حدثهم عن رجل قد سماه: «أن سمرة استجمر، فغفل عنه أهله حتى أخذته النار».

قلت: هذا معلق وفيه رجل مبهم، فكيف يعتمد عليه!؟ وله طريق أخرى أشد ضعفا منها ذكرها العراقي في "تخريج أحاديث الإحياء" (٢٥٤٤) قال: وقال ابن عبد البر: إنه سقط في قدر مملوء ماء حارا فمات. روي ذلك بإسناد متصل إلا أن فيه داود بن المحبر وقد ضعفه الجمهور.

وأما قول الذهبي: «وقتل سمرة بشرا كثيرا». فنتساءل من هؤلاء البشر؟

الجواب: ما قاله ابن عبد البر في "الاستيعاب": «كان شديداً على الحرورية، كان إذا أتي بواحد منهم إليه قتله ولم يُقِله، ويقول: «شر قتلى تحت

أديم السماء، يكفرون المسلمين، ويسفكون الدماء)). **فالحرورية ومن قاربهم في مذهبهم يطعنون عليه وينالون منه)).**

قلت: وهذا لا عيب فيه، فقتل الخوارج كان مذهبا للصحابة ومن جاء بعدهم، في "صحيح البخاري" (٢١/ ٢٥٠) ـ بَاب قَتْلِ الْخَوَارِجِ وَالْمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى. ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾.

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللهِ، وَقَالَ: إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ فَجَعَلُوهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. ثم روى (٦٤١٨) عن عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا فَوَاللهِ لَأَنْ أَخِرَّ مِنْ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ،وإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خِدْعَةٌ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وروى عن (٦٤٢٠) عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ: وَذَكَرَ الْحَرُورِيَّةَ، فَقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ».

إذن فلا عتب على سمرة بعد هذا البيان.

وقتله هذا كان أيام ولايته بالبصرة، وانظر إلى معاصريه من المحدثين ما يقولون فيه:

قال ابن عبد البر في "الاستيعاب": كان ابن سيرين والحسن وفضلاء أهل البصرة يثنون عليه ويجيبون عنه. وقال ابن سيرين: في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير.

وقال الحسن: تذاكر سمرة وعمران بن حصين فذكر سمرة أنه حفظ عن رسول الله ﷺ سكتتين: سكتة إذا كبر، وسكتة إذا فرغ من قراءة "ولا الضالين". فأنكر ذلك عليه عمران بن حصين فكتبوا في ذلك إلى المدينة، إلى أبي بن كعب، فكان في جواب أبي بن كعب: إن سمرة قد صدق وحفظ.

حدثنا عبد الوارث بن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبو هلال، حدثنا عبد الله بن صبيح، عن محمد بن سيرين قال: كان سمرة ـ ما علمت ـ عظيم الأمانة، صدوق الحديث، يحب الإسلام وأهله.

وكذلك قال ابن كثير في النهاية.

٢٤-هل الألباني يوهم حماداً ويعل به؟

في ص(٦٩)، قال: ليس حسنا أبدا؛ لأن فيه علتين لا يتأتى معهما تحسينه: أولهما حماد بن سلمة الذي يوهمه الألباني نفسه في غير هذا الحديث؛ كما في "السلسلة الضعيفة" (٢/ ٣٣٣).

قلت: رجعت إلى "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة" (٢/ ٣٣٣)، فوجدت غير ما تقول، وجدت الشيخ الألباني رحمه الله يدافع عن حماد ويدرأ عنه، قال: ويتلخص مما تقدم (أي من كلام المحدثين في الحديث)

أن الحديث أعل بأربع علل، وذكرها، وقال: الثانية أن حمادا له أوهام، ثم قال مدافعا عنه: (وهذا التعليل واه كالذي قبله، فإن حماد بن سلمة إمام من أئمة المسلمين ثقة حجة ما في ذلك شك ولا ريب، ولا يخرجه من ذلك أن له أوهاما، وإلا فمن الذي ليس له أوهام؟! ولو كان الراوي الثقة يرد حديثه لمجرد أوهام له، لما سلم لنا إلا القليل من جماهير الثقات من رجال الصحيحين فضلا عن غيرهما. ولذلك جرى علماء الحديث سلفا وخلفا - ومنهم النووي - على الاحتجاج بحديث حماد بن سلمة إلا إذا ثبت وهمه، وهيهات أن يثبت هنا، على أنه قد روي له متابع، وإن كان السند بذلك واهيا كما يأتي).

وبعد، هل الألباني يوهم حمادا ويعل به؟ أم هو التقليد لشيخك حسن السقاف القائل في "تناقضاته" (٣/ ٣٠٢) بالهامش: لقد بينا في "التناقضات الواضحات" (٢/ ٧٧) وما علقناه على "دفع الشبه" أن هذا المتناقض!! قد ضعف حماد بن سلمة في "ضعيفته" (٢/ ٣٣٣) وأنه جعله إحدى ثلاث علل في تضعيف حديث هناك!!

هكذا، يكون الكذب الصريح، لكن عدنان حاول التعديل من العبارة، ولم يصنع شيئا. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٢٥- تخريج حديث "اللهم اركسهما في النار ركسا":

في ص(٧٠) قال: فقد قال السيوطي في "اللآلئ" (١/ ٣٩١): أبو يعلى: حدثنا علي بن المنذر (في المسند: عثمان بن أبي شيبة)، حدثنا ابن فضيل،

حدثنا يزيد بن زيادة (كذا والصواب: يزيد بن زياد)، سليمان بن عمرو ابن الأصل الأخوص (كذا والصواب: سليمان بن عمرو بن الأحوص)، [قال حدثني أبو هلال]، عن أبي برزة قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسمع صوت غناء، فقال: "انظروا ما هذا" فصعدت فنظرت فإذا معاوية وعمرو بن العاص يتغنيان، فجئت فأخبرت النبي، قال: "اللهم أركسهما في الفتنة ركسا، اللهم دعهما إلى النار دعا" لا يصح، يزيد كان يتلقن بأجرة (كذا والصواب: بآخرة) فيتلقن.

قلت ـ القائل هو السيوطي ـ: هذا لا يقتضي الوضع، والحديث أخرجه أحمد في مسنده: حدثنا عبد الله بن [بن محمد بن أبي شيبة، حدثنا]محمد بن فضيل به، وله شاهد من حديث ابن عباس، قال الطبراني في الكبير: حدثنا أحمد بن علي بن الجارود الأصبهاني، حدثنا عبد الله بن عباد، عن سعيد الكندي (كذا والصواب: عبد الله بن سعيد الكندي)، حدثنا عيسى ابن الأسود والنخعي والليث (كذا والصواب: عيسى ابن سوادة النخعي، عن ليث)، عن طاووس، عن ابن عباس، قال: سمع النبي صوت رجلين يتغنيان وهما يقولان:

ولا يزال جوادي تلوح عظامه ذوي الحرب عنه أن يجن فيقبرا

(كذا رسم البيت، فإذا به مكسور، والصواب: حذف "الواو" من بداية الصدر، وتعويض "ذوي" بـ"زوى"، ولو رجع إلى "المعجم الكبير" (١٠٨٠٨) لعلم هذا).

فسأل عنهما، فقيل له: معاوية وعمرو بن العاص، فقال: (اللهم اركسهما في الفتنة ركسا، ودعهما في النار دعا).

وقال أبو (كذا والصواب: ابن) قانع في معجمه: حدثنا محمد بن عبدوس كامل، حدثنا عبد الله ابن عمر، حدثنا سعيد أبو العباس التيمي، حدثنا سيف بن عمر، حدثني أبو عمر مولى إبراهيم بن طلحة، عن زيد بن أسلم، عن صالح، عن شقران (كذا، والصواب: (صالح شقران) بحذف (عن) انظر "تقريب التهذيب" (٢٨١٤)) قال: بينما نحن ليلة في سفر إذ سمع النبي صوتا فقال: ما هذا؟ فذهبت أنظر، فإذا هو معاوية بن رافع، وعمرو بن رفاعة بن التابوت يقول:

ولا يزال جوادي تلوح عظامه ذوي الحرب عنه أن يموت فيقبرا

فأتيت النبي فأخبرته، فقال: "اللهم اركسهما في الفتنة ركسا، ودعهما في النار دعا". فمات عمرو بن رفاعة، قبل أن يقدم النبي من السفر.

وهذه الرواية أزالت الإشكال، وبينت أن الوهم وقع في الحديث الأول في لفظة واحدة، وهي قوله: ابن العاص، وإنما هو ابن رفاعة أحد المنافقين، وكذلك معاوية بن رافع أحد المنافقين، والله أعلم. اهـ

قلت: أوردت كلام السيوطي بطوله مع تصحيح ما تحرف وإثبات ما سقط منه في كتاب عدنان: الصواب وضعته بين قوسين، والسقط أثبته بين معقوفين.

وأما حديث ابن عباس الذي يعد شاهدا لحديث أبي برزة، فإسناده

شديد الضعف، فيه:

أبو هلال محمد بن سليم الراسبي يضعف، وأعدل الأقوال فيه ما قاله ابن حبان في "المجروحين" (٢/ ٢٨٣): والذي أميل إليه في أبي هلال الراسبي ترك ما انفرد من الأخبار التي خالف فيها الثقات، والاحتجاج بما وافق الثقات، وقبول ما انفرد من الروايات، التي لم يخالف فيها الأثبات، التي ليس فيها مناكير.

عيسى بن سوادة النخعي، قال عنه أبو حاتم: منكر الحديث ضعيف. "الجرح والتعديل" (٦/ ٢٧٧). وقال يحيى بن معين: كذاب. "لسان الميزان" (٢/ ٢٧٥).

ليث بن أبي سليم سيء الحفظ.

فهل بمثل هذا يستشهد ويصحح هذا الحديث!؟ اللهم لا.

وأما حديث صالح شقران، فكفانا مؤنته عدنان، هداه الله للخير والإحسان.

٢٦- بيت مكسور عجزه ومحرف:

في ص(٧٧) قال: وقد قيل:

الناس كالأرض، ومنها هم فرخو منهم وفيهم الصلب

قلت: هذا البيت من السريع، لكن عجزه مكسور ومحرف، والمشهور فيه كما في نفح الطيب:

الناس كالأرض، ومنها هُمُ مِنْ خَشِنِ اللَّمْسِ وَمِنْ لَيِّنِ
صَلْدٌ تَشَكّى الرِّجْلُ مِنْهُ الوَجَى وإِثْمِدٌ يُجْعَلُ في الأَعْيُنِ

٢٧- أساليب ركيكة:

وقع في كلامه عبارات ركيكة، وإليك نماذج منها:

قوله: لجوازه وقوعه منهم وعدم نقله إلينا (٥٠)

قوله: ومن شاء الاطلاع على حقيقة الإسراف في مناقشة آرائه والتعدي في محاورة اجتهاداته فليراجع "بيان تلبيس المفتري" للعلامة المحدث محمد زاهد الكوثري الذي أتى فيه بالعجاب، وأغلق عن الإمام هذا الباب. ومحاولة المعلمي رحمه الله في الرد عليه كستر ضوء الشمس بأرق وأرهف حجاب ص(٨٥).

وقوله: ويقال هذا كذلك في رأي الشيخ في المناوي... (١٠٣)

وقوله: لكنه ما لبث أن غير مذهبه إلى التعلق بقول متى كان دليل. (١٠٨).

وقوله: من أسندك فقد حملك. (١٣٤). والصواب: من أسند لك فقد حمّلك. والذي سمعناه من المشايخ: من أسند لك فقد أحالك، أي أحالك على السند لتنظر فيه.

وقوله: فسألناه عن هذه العلامة ما هي؟ (١٣٨) ولم يورد الجواب. والمعلوم أن صاحب "تنبيه القاري" مجهول عنده، فكيف يسأله، والصواب أن يقول: فنسأله. في المضارع لا في الماضي.

وقوله:... فهذا الذي يشهد له مصنفاته وتحقيقاته... (١٥٩)

٢٨- غمزه للشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني:

في ص(٨٥) انتقص من قيمة كتاب "التنكيل"، وليس مستغربا منه هذا، فهو على سنن شيخه محمود سعيد ممدوح الذي قال في "التعريف" غضا من شأن تعليقات المعلمي على الفوائد المجموعة للشوكاني: ومن وقف على كتاب "الجواهر الغوالي في الاستدراك على اللآلي"، وكتاب "الجواهر المرصوعة في ترتيب أحاديث اللآلئ المصنوعة" لشيخنا العلامة المحدث السيد عبد العزيز بن الصديق رحمه الله تعالى علم كيف يكون الاطلاع. (١/ ٣٦١).

قلت: الرجل يحيل على المجهول وما ليس له تعلق بالفن: فكتاب "الجواهر الغوالي" ضائع استعاره العلامة محمد بن الفاطمي ابن الحاج السلمي صاحب "إسعاف الطلاب الراغبين بثلة من علماء المغرب المعاصرين" من المؤلف فلم يرده، وتوفي الرجلان ـ أعني المؤلف والمستعير ـ فبحث عنه أنجال المؤلف فلم يجدوه؛ بل سألوا عنه بعض أقرباء المستعير فما ظفروا بشيء، فمن أين له بالاطلاع عليه!؟، وأما كتاب "الجواهر المرصوعة" فمجرد أطراف لما أودعه السيوطي في كتابه الآلئ من أحاديث، وهو لا يعجز عنه أحد، فلم التنويه به!؟ وأصله محفوظ بخزانة شيخنا أبي أويس هدية من جامعه إليه. فليعلم. أهكذا يكون التقويم والتنويه؟؟

ثم نلتفت إلى عدنان ونقول له: إذا كان المعلمي لم يفعل شيئا في

"التنكيل"، فهل أنت مصدق لما جاء في "التأنيب" من طعون سافلة دنيئة في أعلام الأعلام أمثال ابن حجر؟؟ فإن قلت: نعم، فالله المستعان على ما تصفون، ونسأل الله العفو والعافية.

٢٩- حريز بن عثمان والقول الراجح فيه:

في ص(٨٧) قال: وذلكم جرير (كذا، والصواب "حريز" بالحاء المهملة، والزاي المعجمة بآخره) ابن عثمان الذي جهر بسب علي، وكان يلعنه في اليوم مائة مرة، أحد من قفز القنطرة...

قلت: فالقول الراجح في هذا الأمر بالنسبة للرجل الترك والرجوع عن ذلك، قال أبو حاتم: لا أعلم بالشام أثبت منه، ولم يصح عندي ما يقال عنه من النصب. قال ابن حجر: جاء عنه ذلك من غير وجه وجاء عنه خلاف ذلك. وقال البخاري: قال أبو اليمان: كان حريز يتناول من رجل ثم ترك. قال ابن حجر: فهذا أعدل الأقوال، فلعله تاب. "هدي الساري" (٣٦٩) وانظر "تهذيب الكمال" (٥/ ٥٧٧-٥٧٨).

٣٠- تبرئة ابن عبد ربه مما وسم به:

قال الشيخ أحمد ابن الصديق الغماري في كتابه "جؤنة العطار في طرف الفوائد ونوادر الأخبار"، قال: (ذكر ابن تيمية في كتابه الخبيث[1]!!

---

(١) وصفه بالخبث، بينما تقي الدين السبكي والحافظ ابن حجر وصفاه بالجودة، قال الحافظ أثناء ترجمة ابن مطهر الحلي: له كتاب في الإمامة، رد عليه فيه ابن تيمية بالكتاب المشهور، المسمى بالرد على الرافضي، وقد أطنب فيه وأسهب وأجاد في الرد؛ إلا أنه تحامل في =

الذي سماه "منهاج السنة"[١] وهو يرد على ابن مطهر الحلي[٢] كلاما قال فيه: (ولئن كان أهل السنة يربعون الخلفاء بعلي فإن جماعة من أهل السنة بالأندلس كانوا يربعون بمعاوية[٣]...)، فمنذ رأيت هذا الكلام، وأنا

=

مواضع عديدة، ورد أحاديث موجودة، وإن كانت ضعيفة، بأنها مختلفة، وإياه عنى الشيخ تقي الدين السبكي بقوله: [البسيط]

وابن المطهر لم تطهر خلائقه ... داع إلى الرفض غال في تعصبه

ولابن تيمية رد عليه له ... أجاد في الرد واستيفاء أضربه

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٢/ ١٨٨-١٨٩).

(١) اسمه الكامل: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، مطبوع قديما بمصر في مجلدين وبهامشه كتاب "موافقة صحيح المنقول لصحيح المعقول"، ثم طبع مرة أخرى بتحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم في ١٠ أجزاء عن مؤسسة قرطبة.

(٢) هو: الحسين بن يوسف بن المطهر الحلي المعتزلي جمال الدين الشيعي، صنف في فقه الإمامية وكان قيما بذلك داعية إليه، توفي سنة ٧٢٥ أو في آخر سنة ٧٣٦هـ. الدرر الكامنة (٢/ ١٨٨-١٨٩).

(٣) ما هكذا وردت العبارة، وإنما قال: «... وهذا كان من حجة من كان يربع بذكر معاوية رضي الله عنه ولا يذكر عليا رضي عنه كما كان يفعل ذلك من كان يفعله بالأندلس وغيرها، قالوا: لأن معاوية رضي الله عنه اتفق المسلمون عليه بخلاف علي رضي الله عنه، ولا ريب أن قول هؤلاء وإن كان خطأ فقول الذين يذكرون عليا وحده أعظم خطأ من هؤلاء، وأعظم من ذلك كله ذكر الإثنى عشر في خطبه أو غيرها أو نقشهم على حائط أو تلقينهم لميت، فهذا هو البدعة المنكرة التي يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أنها من أعظم الأمور المبتدعة في دين الإسلام...» منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (٤/ ١٦٢). وقال في موضع آخر من نفس الكتاب (٤/ ٤٠١-٤٠٢): «وكان بالأندلس كثير من بني أمية يذهبون إلى هذا القول ويترحمون على علي ويثنون عليه؛ لكن يقولون لم يكن خليفة، وإنما الخليفة من اجتمع الناس عليه ولم يجتمعوا على علي، وكان من هؤلاء من يربع بمعاوية في

=

متعجب من نسبته إلى أهل السنة بالأندلس، وباحث عن مصدر ذلك الأمر الغريب الذي تفرد به ابن تيمية، حتى وجدت في كتاب "التكملة لكتاب الصلة[١]" لابن الأبار في ترجمة خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير المعروف بالجبيري[٢] قول ابن الأبار ما نصه: (أنبأني أبو بكر بن أبي جمرة، عن أبيه، عن أبي عمر النمري إجازة، قال: أخبرني أبو مروان عبيد الله بن محمد بن قاسم الكزني - وكان من ثقات الناس وعقلائهم - عن أبي عبيد القاسم بن خلف الجبيري الطرطوشي قال: نزل القاضي منذر بن سعيد على أبي بطرطوشة، وهو يومئذ يتولى القضاء في الثغور الشرقية[٣] قبل أن يلي قضاء الجماعة بقرطبة، فأنزله في بيته الذي كان يسكنه، فكان إذا تفرغ نظر في كتب أبي، فمر على يديه كتاب فيه: أرجوزة ابن عبد ربه يذكر فيها: الخلفاء، ويجعل معاوية رابعهم، ولم يذكر عليا فيهم، ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان إلى عبد الرحمن بن محمد، فلما رأى ذلك منذر غضب وسبّ ابن عبد

=

خطبة الجمعة فيذكر الثلاثة ويربع بمعاوية ولا يذكر عليا، ويحتجون بأن معاوية اجتمع عليه الناس بالمبايعة بما بايعه الحسن بخلاف علي فإن المسلمين لم يجتمعوا عليه، ويقولون لهذا ربعنا بمعاوية لا لأنه أفضل من علي بل علي أفضل منه...» فتأمل.

(١) التكملة لكتاب الصلة (١/ ٢٣٩-٢٤٠). وعنه نقل المقري في نفح الطيب (٢/ ٩٨٤-٩٨٥).

(٢) وكان من أهل العلم والنزاهة، قاله ابن الأبار.

(٣) قال ابن الأبار: وكانت ولاية منذر للثغور مع الإشراف على العمال بها والنظر في المختلفين من بلاد الافرنج إليها سنة ثلاثين وثلاثمائة.

ربه وكتب في حاشية الكتاب: [الكامل]

أو ما علي ـ لا برحت ملعنا يا بن الخبيثة ـ عندكم بإمام
رب الكساء وخير آل محمد داني الولاء مقدم الإسلام

قال أبو عبيد: والأبيات بخطه في حاشية كتاب أبي إلى الساعة.

قال ابن الصديق: «فعلمت أن هذا مصدر ما حكاه ابن تيمية، فازددت عجبا ويقينا بخبثه ونصبه وكذبه، فإنه دلس ولبس، ونسب ما قاله ابن عبد ربه إلى أهل الأندلس، وسمى فاعل ذلك من أهل السنة!! فقبحه الله ما أشد عداوته لآل بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وما صنع شيئا إلا أنه برهن على نفاقه، فقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «لا يحبك إلا مومن ولا يبغضك إلا منافق»[1]... ثم هو غير مومن بنص كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[النحل:١٠٥]... وقد افترى هذا المجرم الدجال على أهل السنة، وعلى أهل الأندلس[2]، ونسب إليهم ما هم منه براء، وإنما قاله

(١) رواه مسلم في الصحيح ـ باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان، وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق ـ رقم (٧٤).

(٢) إذا كان هنا يبرئ أهل الأندلس مما ألصق بهم من طرف ابن تيمية حسب زعمه، فهو بعد أسطر معدودة من نفس الكتاب يعمم تهمة النصب على أهل الأندلس كلهم؛ إذ يقول [الجؤنة (٢/ ١٠)]: ترجم أبو حيان النحوي لبعض شيوخه ممن ضل عني اسمه الآن وأثنى عليه ثم قال: "واختلط بآخر عمره فجعل يهجو يزيد بن معاوية...". فجعل هجوه ليزيد بن معاوية من اختلاطه، فاعجب لنصب أهل الأندلس ومحبتهم في آل أمية قبحهم الله...

الخبيث ابن عبد ربه وحده...»[1].

قلت: والخبر الذي اعتمد عليه ابن الصديق عموده هو الإمام منذر بن سعيد البلوطي القاضي الثقة، وتاريخ الحادثة لم يكن ببعيد عن زمن أبي عمر (ت ٣٢٨هـ) إن لم نقل معاصرا له، فقد حدد تاريخها ابن الأبار حين عقب بقوله: (وكانت ولاية منذر للثغور مع الإشراف على العمال بها والنظر في المختلفين من بلاد الإفرنج إليها سنة ثلاثين وثلاثمائة). والإسناد الذي نقلت به كان من طريق جلة من الأعلام الذين اتسموا بالعدالة والأمانة. ولأجل ذلك قام الباحثون بمحاولة كشف الغطاء عن مضمون هذا الخبر، من أجل دفع التهمة وتبرئة أبي عمر. ومن هؤلاء الباحثين الذين قاموا بهذه المحاولة نجد:

الدكتور جبرائيل جبور يقول: (ولا أدري كيف يسوغ لنا الاستناد إلى مثل هذا الخبر عن شعر غير معروف نصه، ونهمل الآثار الكثيرة التي بين أيدينا في عقد ابن عبد ربه نفسه، في كل هذه المواضع التي ذكرنا وفي غيرها؛ بل إننا نرى في العقد نفسه أيضا كتابا خاصا في أخبار الخلفاء وتواريخهم؛ يبدأ به بالنبي ثم يذكر الخلفاء واحدا واحدا حتى يأتي إلى علي فلا يهمله، بل يطيل ويشيد بذكر فضائله، ويستنزل رضى الله عليه حتى أنه يرحم من كان من شيعته قال: وقال السيد الحميري رحمه الله: [البسيط]

إني أدين بما دان الوصي به ... وشاركت كفه كفي بصفين

---

(١) جؤنة العطار في طرف الفوائد ونوادر الأخبار (٢/ ٩-١٠). فائدة: (٢٤٥).

ويصدر ابن عبد ربه الباب عن علي بعبارة "خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه" ثم يقول: "لما قتل عثمان بن عفان أقبل الناس يهرعون إلى علي بن أبي طالب، فتراكمت عليه الجماعة في البيعة فقال: ليس ذلك إليكم إنما ذلك لأهل بدر ليبايعوا، فقال: أين طلحة والزبير وسعد فأقبلوا فبايعوا، ثم بايعه المهاجرون والأنصار ثم بايعه الناس". ويرى القارئ أن لا لبس في هذا الكلام فابن عبد ربه يحسب عليا خليفة بعد عثمان، ويذكر خبر البيعة له من أهل بدر والمهاجرين والأنصار وعامة الناس. **ومن الخير أن نلاحظ أن ابن عبد ربه قد أتبع عليا في بحثه عن أخبار الخلفاء وتواريخهم بابنه الحسن لا بمعاوية**... ولابن عبد ربه في عقده فصل في آخر كتاب المجنبة الثانية في التوقيعات يذكر فيه توقيعات الخلفاء، فيه باب في توقيعات علي بن أبي طالب، ويتبع اسم علي بعبارة "كرم الله وجهه[1]". وكم نود لو كانت هذه الأرجوزة المفقودة المنسوبة لابن عبد ربه والتي تفرد ـ فيما نعلم!؟ ـ بذكرها المقري موجودة الآن، علّنا نستطيع أن نكشف منها خبر صاحبها، أما وهي غير معروفة لدينا فإنّا لا نستطيع تعيين ناظمها بالضبط، **إنما لا أرى مانعا يمنعنا من الظن ـ بعد ما قدمنا من حب ابن عبد ربه لعلي ـ أنها لرجل من آل ابن عبد ربه غير صاحب العقد**، ولعلها لابن أخيه[2]، أو لأحد أحفاده، اللذين سيرد ذكرهما عند بحثنا عما ينسب لصاحب العقد في الشعر الموشح؛ لا سيما وأن

(١) هذه العبارة قد تكون من إدراجات النساخ. والله أعلم.

(٢) سعيد بن عبد الرحمن ابن عبد ربه الطبيب المنجم، وانظر ما قاله فيه عمه. شعر ابن عبد ربه للدكتور محمد أديب جمران ١٨٠.

المقري سواء أكان يتكلم بلسانه أم يروي عن غيره[١]، لم يكن يكتفي في أكثر المواضع بذكر "ابن عبد ربه" فقط؛ بل كان يتبعه بـ"صاحب العقد" أو يسبقه بـ"أحمد" وكلتا اللفظتين غير موجودة في النص الذي يدور على الأرجوزة)[٢].

ثم الدكتور جمران يقول: (ثم إن الأرجوزة التي يقال: إن الشاعر جعل معاوية رابع الخلفاء الراشدين فيها، ولم يذكر عليا، ووصل ذلك بذكر خلفاء بني مروان في الأندلس، هذه الأرجوزة لم تصل إلينا، ويظن أن أمرها إنما هو محض ادعاء؛ لأنها لو كانت موجودة حقا، لكان الشاعر ذكرها مع أرجوزته التي ذكر فيها مغازي الناصر وحروبه، تلك التي أثبتها ابن عبد ربه في عقده. وعودة سريعة إلى أرجوزة الشاعر في الناصر ترينا أن هذه الأرجوزة في أبياتها الأولى إنما هي قطعة مستقلة لا أثر لشيء قبلها. يقول الشاعر في أولها:

سبحان من لم تحوه أقطار ولم تكن تدركه الأبصار
ومن عنت لوجهه الوجوه فما له ند ولا شبيه

إن هذا الأمر يجعلنا ندفع ما نقل عن خبر هذه الأرجوزة المطولة التي تبدأ مع الخلفاء الراشدين، وتتجاوز عليا لتجعل معاوية رابعهم. ويظن أن هذا الموقف الذي سجله وأرخه مؤرخونا القدامى إنما هو من قبيل دفع صفة

---

(١) بل هو مجرد ناقل من تكملة ابن الأبار، كما تقدم.

(٢) ابن عبد ربه وعقده (٩١-٩٢). وكلام جبور ركيك ومفكك، وهذا من أبرز الملاحظات التي لاحظها الأستاذ سعيد الأفغاني في مقاله المنشور بمجلة المجمع العلمي بدمشق. المجلد ١٥. سنة ١٩٣٧. ص (٤٨٨-٤٩٢). فليعلم.

التشيع عن الشاعر)[١].

إذن كل من جبور وجمران شككا في نسبة الأرجوزة لأبي عمر، وأنا مثلهما في هذا الأمر، **للغموض الذي يكتنف القضية، وفقدان الدليل القاطع على إثبات النازلة المروية.**

وزيادة على ما احتجا به لتعضيد تشكيكهما، أذكر قرينة أخرى اهتدى إليها نظري، وارتضاها فكري وقدري، وهي: جاء في العقد أن الحجاج ألقى خطبة يوم موت عبد الملك بن مروان، وخلال خطابه سرد الخلفاء وفق الترتيب الآتي، قائلا: (... فمات رسول الله ﷺ، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون، منهم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان الشهيد المظلوم، ثم تبعهم معاوية...)[٢].

وهذه الخطبة ذكرها أبو عمر ولم يردفها بشيء، وليس هذا من عادته؛ إذ أنه كثيرا ما يردف نُقُولَه واختياراته بما لديه من إنتاج يناسب المقام، كما فعل[٣] في كلمة الحسن البصري[٤] حيث نظمها، وأظن لو كان له مثل هذه الأرجوزة في تربيع الخلفاء بمعاوية لأردفها غير متردد، والله أعلم.

فانظر أيها القارئ كيف حرف الشيخ أحمد كلام ابن تيمية ولم يأت به

---

(١) شعر ابن عبد ربه الأندلسي (٣١-٣٢).

(٢) العقد (٤/ ١٣٢).

(٣) وكما يفعل في معارضاته لأشعار من تقدمه من المشارقة في مختلف الفنون.

(٤) العقد (٣/ ٢٠٦).

على وجهه، ثم بنى عليه شتائمه من بعد، وقد انتقلا إلى ربهما، وعند الله تجتمع الخصوم، وما علينا إلا أخذ العبرة. والله المستعان.

٣١- الفرق بين الصفحة والصحيفة:

في ص(١٢٣) قال: الرابع: جهله بقواعد اللغة والتعابير السليمة؛ إذ قال: في "نفس الصفحة" والصفحة لا نفس لها حتى تكون هي مضافة، والصواب أن يقول في الصحيفة نفسها لتعرب بدلا منها.

قلت: هذا كلام لا أساس له، نعم تقرر في باب التوكيد أن التوكيد المعنوي يتأخر عن المؤكد، لكن أثر العكس عن العرب الفصحاء، فلم التهويل!؟ جاء في "لسان العرب" (٦/ ٢٣٦): نفس الشيء: ذاته، ومنه ما حكاه سيبويه من قولهم: نزلت بنفس الجبل، ونفس الجبل مقابلي، ونفس الشيء عينه يؤكد به.

وأما إعرابك كلمة "نفسها" بدلا، فمما يستحيى من ذكره، لأن البدل إذا حذف المبدل منه يقوم البدل مقامه ويؤدي معناه، وأما هنا إذا حذف صارت الجملة هكذا: في نفسها. وهذا لا معنى له. والصواب إعرابها توكيدا. فتنبه.

ثم قال: إن "الصفحة" كلمة مصحفة محرفة عن معناها، وصوابه "الصحيفة".

أقول: من أين لك بهذا العلم وهذا التصويب، هل قال به أحد من اللغويين، أم هو من استدراكاتك التي ألهمتها!؟ أما ما قاله اللغويون

فخلاف ذلك وإليك الدليل:

في المعجم الوسيط مادة "صفح": صفحة الشيء وجهه وجانبه. وصفحة الورقة: أحد وجهيها. (٥١٦). وفي مادة "صحف": الصحيفة: ما يكتب فيه من ورق ونحوه. ويطلق على المكتوب فيها. (ج) صحف. وفي التنزيل العزيز: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾. والصحيفة: إضمامة من الصفحات تصدر يوميا أو في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة وما يتصل بذلك (محدثة). (٥٠٨).

وفي المنجد في اللغة والأعلام: الصحيفة ج صحائف وصحف: الورقة من الكتاب بوجهيها (٤١٧). الصفحة من الكتاب: الوجه من الورق. (٤٢٧).

وحتى قواعد البلاغة الأثيرة لديك تشهد لها، لأن "الصفحة" استعيرت من صفحتي الوجه والسيف، يقال: صفحتا الوجه: خداه، وصفحتا السيف: وجهاه. انظر "لسان العرب" (٢/ ٥١٢).

٣٢- "أو" تفيد التخيير والشك، وتفيد معنى الواو أيضا:

في ص(١٢٩) قال. ثانيا: قوله "تصحيحه أو احتجاجه" اضطراب ناتج عن قلة فهم وجهل باصطلاحات أهل الحديث، فلو قال "تصحيحه واحتجاجه" عطفا بالواو لسلم، لأن العطف بأو يفيد التخيير...

قلت: أنسيت أن "أو" تفيد معنى الواو: الاشتراك ومطلق الجمع.

قال ابن مالك "شرح الألفية" لابن عقيل ـ (٢/ ٢٣١):

خير، أبح، قسم ـ بأو ـ وأبهم، واشكك، وإضراب بها أيضا نمى
وربما عاقبت الواو، إذا لم يلف ذو النطق للبس منفذا

وقد أوضح ضوابط المعاقبة العلامة اللغوي عباس حسن في كتابه الفذ "النحو الوافي" فقال: وملخص ما سبق من معاني "أو"، أن هذه المعاني المتعددة القياسية خاضعة في إدراكها للسياق والقرائن خضوعا تاما؛ كي يتميز ويتحدد كل نوع منها، وأن التخيير والإباحة لا يكونان إلا بعد أمر، وأن الشك والإبهام لا يكونان إلا بعد جملة خبرية. أما المعاني الأخرى التي تخالف ما سبق (**كالتفصيل، والإضراب، ومعنى الواو**...) فتكون بعد الجمل الخبرية، والطلبية، و... والأفضل في الإضراب أن يسبقه نفي أو نهي... (٣/ ٦٠٩).

والجملة التي أتى بها صاحب "تنبيه القاري" جملة خبرية، فلا مانع إذن أن تفيد بها "أو" معنى الواو. والله أعلم.

٣٣- حديث: "إذا رأيتم معاوية فوق منبري فاقتلوه" صحيح على شرط البخاري!؟

في ص(١٣٥) قال: أما حديث "إذا رأيتم معاوية فاقتلوه" فلم يخف على الشيخ رحمه الله درجته، لكن ذكره تحت قوله "طريفة" ليبين لك بعض تأويلات النواصب لهذا الحديث الغريبة المضحكة، كمن قال: أنه (كذا، والصواب: كسر الهمزة) معاوية غير ابن أبي سفيان، يسمى: معاوية ابن تابوه،

ومن قال: أنها (كذا بفتح الهمزة!؟) محرفة من "فاقبلوه" بالباء الموحدة التحتانية، ولو ساقه محتجا به لقال "فائدة" كما هي طريقته في "الجؤنة"...

قلت: هذه الفلسفة لا معنى لها ولا شاهد يعضدها، والحديث صححه الشيخ أحمد على شرط البخاري في "الجواب المفيد" (٥٧) محيلا على جؤنة العطار. فتنبه.

٣٤- تفنيد تكذيب:

قال: وتضعيف الشيخ للحديث في جريدة الأخبار لم نره ولم تسق لنا كلامه، ولذلك نحن نكذبك فيه... (١٤٣)

قلت: إليك كلامه لتكتحل به عينك، قال:... وليس هذا بأول حديث منكر يأتي به سماك، ويثير به ما قدر به من الإشكال، فكم تعب الناس فيما انفرد به أيضا من حديث الأوعال، وكثر على بابه ضرب الأبطال، من مثبت وناف وقابل وراد، ومنذ أربع سنوات كادت تلك الفتن تنبعث من مراقدها بسبب طبع بعض المتسلفين رد الدارمي على بشر المريسي، وفيه تخريج حديث الأوعال، فقام ضجيج بين شيوخ الأزهر وطائفة المتسلفين بسبب رواية الراوي المذكور حتى سكن على يد أخي السيد عبد الله بتأليف رسالة أبطل فيها حديث الأوعال بالطعن في سماك، وقدمها للجنة المكلفة بذلك، وعليها بني فصل النزاع، فمنفردات سماك، لا تخلو من طامات ودواهي في الفروع والأصول، كهذا الحديث الذي ليس لإشكالاته المتعددة وأدوائه المزمنة علاج ناجع سوى رده بمرهم العلل السابقة، والعلم عند المولى تعالى.

جريدة الأخبار التطوانية سنة ١ عدد ١٨٥ بتاريخ ١٠ قعدة ١٣٦٢ ق٩/ ١١/ ١٩٤٣.

وللإشارة فإن صاحب "تنبيه القاري" قد وثق المقال في صفحة سابقة من كتابه (١٣٥)، فلم هذا التهويل، أهكذا يكون البحث والنقد!؟

وفي الصفحة نفسها، قال: وما نقل عن الشيخ في مسألة قول الصحابي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المثنوني ص(٢١٤) غير موجود فيه، فهو كاذب...

قلت: النص موجود في الكتاب لكن في ص(١٩٨)، لعله وقع الغلط في ضبط الرقم فكان ماذا؟

ثم قال: وكذلك لا وجود لما ذكره عن الشيخ أنه أقسم في "المطابقة" بأن قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ في الوطنيين فهو كاذب مرة أخرى.

قلت: لا تكن حرفيا أخي، واعلم بأن الكتاب له ثلاث طبعات كل واحدة منها وقع فيها النقص والتهذيب، وإليك ما جاء في طبعة دار الرشاد الحديثة: فهؤلاء الأحداث المذكورون هم الشباب الفاسد الكافر الملحد المارق من الدين الذين يتمشدقون بالوطنية والجهاد... وقد ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز وأخبر بأنهم كافرون غير مؤمنين كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[البقرة:٨-٢٠].

فهذه الآيات يزعم كثير من المفسرين أنها نازلة في المنافقين وليس كما زعموا؛ بل هي نازلة في هؤلاء الملاحدة المفسدين، كما بينته في كتابي "بيان غربة الدين بواسطة العصريين المفسدين"، من وجوه تزيد على العشرين، **كلها قاطعة في تحقيق نزولها فيهم**، وأن المنافقين إنما أدخلهم المتقدمون فيها لأنه لم يكن أمامهم غيرهم... والمقصود أن هذه الآية لم تنزل إلا في المنافقين المارقين الملاحدة المتفرنجين الذين ولدهم الاستعمار الكافر وأنتجتهم مدارسه الإفرنجية للقضاء على الإسلام... وكذلك المثل الذي ضربه الله تعالى لهم فإنه لا يتنزل على المنافقين، وإنما يتنزل على هؤلاء المارقين؛ لأن

المنافق الأصلي ما استضاء بنور الإيمان قط، وما دخل قلبه منه شيء؛ بل هو مستمر على كفره وظلمة قلبه به، وإنما الذي استضاء أولا بنور الإيمان وانتفع به، ثم حرمه الله منه وأذهب نوره من قلبه هم هؤلاء المارقون الذين ولدوا في الإسلام... (٦٦-٧٤).

هكذا استرسل في سرد دلائله وهي أوهى من نسج العنكبوت، ويكفي أن نشير إلى أمر طريف وهو أنه يورد أدلة عامة وينزلها على أشخاص مخصوصين ويقول بأنها قاطعة في الانطباق عليهم، في حين أنه لما تطرق إلى إيمان فرعون الذي نزلت الأدلة القاطعة من القرآن الكريم بكفره وخلوده في النار، قال بأنها مسألة اجتهادية لا قطع فيها أصلا، ومن قال بأنها قطعية، فلا يفهم معنى القطعي. انظر "الجواب المفيد" (٩٧). اللهم عفوك يا رب.

٣٥- ورود آية على غير وجهها دون انتباه إليها:

جاء في (١٤٣) قوله تعالى هكذا: (مثل الذي استوقد نارا).

والصواب: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[البقرة:١٧].

٣٦- خطأ في باب الصرف:

قال: ... قضيتان لا تلازم بينهما، أديا إلى نتيجة فاسدة... (١٤٨)

قلت: الصواب: أدتا. لأن قضية مؤنث. والشواهد على ذلك في اللغة كثيرة. فلتراجع.

٣٧- الكتب مؤنث:

قال:... على مثل ذلك الكتب قد أبرأ ذمته... (١٤٩)

قلت: الصواب: تلك الكتب، لأن الكتب مؤنث، وذلك مذكر مؤلف من: اسم إشارة للمفرد المذكر ولام البعد وكاف الخطاب.

٣٨- لحن جلي:

قال:... وجعلته مفقود... (١٤٩)

قلت: الصواب: مفقوداً. لأنه مفعول به.

قال:... مقابل تلك الأربعين وهما وتناقضا المكذوبين، المتهم بهما الشيخ رحمه الله... (١٥٨)

قلت: تقرر في باب تمييز العدد أن النعت يجوز فيه: أن يتبع العدد أو أن يتبع المعدود. فنقول:

في الحالة الأولى: مقابل تلك الأربعين وهما وتناقضا المكذوبة، المتهم بها الشيخ رحمه الله...

وفي الحالة الثانية: مقابل تلك الأربعين وهما وتناقضا مكذوباً، المتهم بها الشيخ رحمه الله...

لأن النعت لا يثنى في حالتي: العطف والإضافة، فهو يتبعهما على انفراد في الحالات الإعرابية، ويشملهما معا في المعنى. هذا ما قعده النحويون في أبواب: (تمييز العدد ـ النعت ـ العطف). والله أعلم.

٣٩- مسند بقي بن مخلد مفقود:

قال: ومسند بقي منه نسخة ناقصة بألمانيا فاعرفه. (١٤٩)

قلت: قد أثبت الدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه عن بقي بن مخلد بأنه طرق الكثير من المكتبات العالمية خصوصا في ألمانيا للبحث عن هذا الكتاب فلم يظفر بشيء. وأما أنت تقول بوجوده في ألمانيا، ففي أي المكتبات يوجد، وثق كلامك هداك الله لما فيه الخير، وأخشى أن يكون مصدرك "مسيلة اللعاب" على حد تعبير الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله تعالى.

٤٠- عائشة بنت أحمد القصبية:

سألت في ص(١٥٠) عن المصدر في بيان تدليس الشيخ أحمد بن الصديق للاعويشة زوجته وسترها تحت اسم: عائشة بنت أحمد القصبية، فأقول هو: شيخنا أبو أويس محمد بو خبزة عن كتاب السفينة المشحونة لشيخنا أبي اليسر عبد العزيز بن الصديق.

وأرجوك أن لا تسارع إلى التكذيب بدعوى أن كتاب السفينة متداول وخال من هذا الكلام، لأن المتداول من الكتاب جزؤه الأول وفيه بتر وطمس لمجموعة من الصفحات، هذه الأولى، والثانية: الكتاب يحتوي على جزئين، فأين الجزء الثاني!؟

عند ذلك نقول: يحتمل أن المعلومة موجودة في الجزء الثاني، أو في الجزء الأول وطمست أو بترت صفحاتها لما توفي الشيخ أحمد، فكان مصيرها شبيها بمصير كتاب "تنبيه المسلم". والله أعلم.

٤١- توثيق فقط:

قال: فخلاصة كلامه أنه يتهم الشيخ أحمد وأباه مولاي محمد وأخاه سيدي عبد الله بالخيانة العظمى في حكايات مطولة، ولا حجة في ذلك ولا مرجع معتمد إلا قوله كتاب "تاريخ المهدي ـ كذا والصواب: التهامي ـ الوزاني" وكتاب المقاومة لمحمد بن عزوز حكيم **وهو كذب. وأنا أقسم أنه لم ير أحدا منهما ولا رأى من رآه... (١٥٣).**

قلت: المعلومات المذكورة عن الشيخ محمد بن الصديق موجودة في كتاب "تاريخ المغرب" للشيخ التهامي الوزاني، الجزء الثالث، ص(١٥٥)، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٩-١٩٤٠. مطبعة الريف ـ تطوان ـ المغرب. ثم في كتاب المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في شمال المغرب للشيخ التهامي الوزاني أيضا، تحقيق وتعليق: محمد ابن عزوز حكيم، الصفحات (٨٢، ٨٩، ١٠١). مطبعة الساحل ـ الرباط ـ سنة: ١٩٨٠.

فها هو ذا التوثيق وليس بعده شيء، لأن الغرض هو تفنيد التكذيب، والبيان بأن عدنان ينكر كل ما لا يعرفه، وليس هذا من منهج البحث والنقد العلمي.

٤٢- "بعر النعجة في أخبار طنجة" وشرحها من تأليف الشيخ أحمد:

أنكر عدنان نسبة هاتين الرسالتين للشيخ أحمد، وتعلق في إنكاره بما أثبت على طرتهما من اسم مختلق أو مدلس. والصواب أنهما له، والدليل على ذلك:

-تصريحه بذلك في "الجواب المفيد"، قال: وتاريخ طنجة هو كما رأيت في جؤنة العطار، وعندنا "بعر النعجة" قصيدة تائية في خمسمائة وأربعين بيتا، في نحو كراستين أو ثلاث فيها العجائب والغرائب، وكنت أول شيء عملته في الاعتقال أني شرعت في إملاء شرح لها سميته "صدق اللهجة في التحدث عن تاريخ طنجة" كتبت منه عدة كراريس...(٧٣-٧٤).

-إثباتها ضمن لائحة مؤلفاته بآخر كتابه "فتح الملك العلي، بصحة حديث باب مدينة العلم علي" الطبعة الثانية: ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، جاء بآخره: إجابة لرغبة كثير من أفاضل العلماء بالمغرب ومصر وغيرها نثبت هنا أسماء أغلب مؤلفات المؤلف مرتبة على حروف المعجم لتستفاد، وذكر منها: بذل المهجة منظومة تائية في ستمائة بيت في التاريخ (١١٩) (وهي بعر النعجة بلا شك غير اسمها هنا)، وصدق اللهجة (١٢٠).

٤٣- الشيخ أحمد يكفر معاوية بن أبي سفيان:

قال: فإن قيل: هذا رأيه، فما القول في لعنه ولم نسمع من سبق إليه.

قلت: لا تسليم بأن أحدا من الأسبقين لم يحصل منه ذلك، لجوازه وقوعه منهم وعدم نقله إلينا. (٥٠).

قلت: الشيخ أحمد رحمه الله وغفر له لم يقف عند حد اللعن والسب؛ بل تجاوزه إلى التكفير، وهذا لم يقل به أحد إلا الخوارج والروافض.

قال في "الجواب المفيد": والمقصود أن هذه الأحاديث الصحيحة المتفق عليها!؟ مع ما تواتر من لعن معاوية لعلي على المنبر طول حياته، وحياة دولته

إلى عمر بن عبد العزيز وقتاله وبغضه، يطلع منه أنه منافق كافر... (٥٩).

قلت: وما ذا يفعل في حديث «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَّ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ» رواه البخاري، وحديث أم حرام «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا»، قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَنَا فِيهِمْ، قَالَ: أَنْتِ فِيهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ، فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: لَا) والحديث في صحيح البخاري أيضا؟

وفي الجملة فإن الشيخ أحمد تأثر بالنصائح الكافية لابن عقيل الحضرمي، ومن أراد معرفة الحقيقة في المسألة، فليطالع كتابي: "نقد النصائح الكافية لمن تولى معاوية" للشيخ جمال الدين القاسمي، و"إسكات الكلاب العاوية بذكر فضائل خال المومنين معاوية" لأبي معاذ محمود بن إمام بن منصور، والثاني أجود على لحن فيه. والله أعلم.

٤٤- تنكيت:

قال: والغريب من الفاري المتعالم نقل تحسين هذا الحديث عن الألباني دون تمحيص النظر فيه، قال حسن السقاف في "التناقضات": قال الألباني عن حديث «من سب أصحابي، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» ما نصه: رواه الطبراني عن الحسن بن قزعة، عن عبد الله بن خراش، عن العوام بن حوشب، عن عبد الله بن هذيل، عن ابن عباس مرفوعا. **قلت**: وهذا إسناد ضعيف، عبد الله بن خراش، قال الحافظ: ضعيف، وأطلق عليه ابن

عمار الكذب اهـ كلام الألباني.

قال السقاف: على الألباني في هذه الفقرة عدة مماسك لا يمكنه الإفلات منها نذكر بعضها فنقول:

الممسك الأول: أنه حذف اسم شيخ الطبراني فلم يذكره لأنه مجهول فيعكر عليه! وبذلك يزداد الحديث وهاء على وهائه!... (٤٠).

قلت: أكتفي بهذا وأقول بأن الشيخ الألباني وهل عن ذلك لما رأى ابن خراش المشهور بضعف حديثه، وهذا يقع من كل أحد، حتى من السقاف وله من ذلك نماذج كثيرة في كتبه، بعضها يوحي بالكذب والتدليس، لكنه يبصر القذى في عين أخيه ويترك الجذع في عينه.

ومن ذلك ما وقع للشيخ أحمد في حديث "أترعون بذكر الفاجر":

قال الطبراني في "المعجم الصغير" (٥٩٩): حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي السري العسقلاني، حدثني أبي، حدثني عبد الوهاب بن همام، أخو عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه قال: خطبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «حتى متى ترعون عن ذكر الفاجر، اهتكوه حتى يحذره الناس» لم يروه عن معمر إلا عبد الوهاب.

قال الشيخ أحمد: وقد وثقه يحيى بن معين وابن حبان، ولذلك حكم الحافظ الهيثمي في الزوائد بأن هذا الطريق حسن. (١/ ١٣٧).

قلت: وفيه محمد بن أبي السري العسقلاني، لينه أبو حاتم، وقال ابن عدي: كثير الغلط، له أحاديث تستنكر. "الميزان" (٦/ ٣١٧). أمع هذا

يحسن الحديث!؟

ثم ألتفت إلى عدنان فأقول: وإذا كان هذا ضعيفا، فما تقول في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «لا تسبوا أحدا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» رواه الشيخان!؟

٤٥- قد تستفاد الفضيلة من السياق التاريخي ولو لم يقع التصريح:

قال:... الفضيلة أو المنقبة الواردة في الصحابي تؤخذ بتصريح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها في حق من ذكرت فيه كما يعرفه من قرأ كتاب فضائل الصحابة من "صحيح البخاري"... (٥٥).

قلت: وقد تستفاد الفضيلة من السياق التاريخي المرتبط بها الحديث، وإن لم يتم التصريح بذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من أمثلة ذلك:

ما جاء في صحيح مسلم - بَاب مِنْ فَضَائِلِ زَيْنَبَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها:

(٤٤٩٠) - عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا، قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا، قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ.

قلت: وهذا حديث تضمن فضيلة لأم المؤمنين زينب رضي الله عنها، رغم الإبهام الذي اكتنفه، بحيث لم تعرف صاحبتها إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وهي المنقبة الوحيدة الواردة فيها بكتاب الفضائل من صحيح مسلم.

وما رواه الترمذي ـ كتاب العلم ـ بَاب مَا جَاءَ فِي عَالِمِ الْمَدِينَةِ (٢٦٠٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فَلَا يَجِدُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ».

قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَهُوَ حَدِيثُ ابْنِ عُيَيْنَةَ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذَا: سُئِلَ مَنْ عَالِمُ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: إِنَّهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ...

وقيل غيره، لكن الجمهور على تعيين الإمام مالك، وخصوصا المالكية. وهذا أيضا حديث أبهم فيه صاحب الفضل.

وهكذا، والأمثلة على ما ذكرنا موجودة بكتب الفضائل، فليطلبها من شاء.

بهذا أختم وقفاتي مع عدنان زهار هداه الله للخير وأعانه عليه.

ولا بأس أن أنشد لنفسي معربا عن نقدي، فأقول من المجتث:

نـــقـد نـــزيه تبـدّى نحو الهدى ما تعدّى
للحق لاح غيـــوراً لا غيـــره رام بُـــدّا
في طيه حوى عِلْما وللهوى بثّ ســدّا
بـــالله أرجـو سدادا للخـصم حـقّا وردّا
وحسن ختم وفوزا لـنا غدا ثـم سـعْدا

والحمد لله رب العالمين.

وكتب:

بدر العمراني غفر الله له ولوالديه

كشف المستور

عما تضمنه هذا المنشور

وقع بيدي منشور[1] بخط الشاعر الأديب أحمد خيري حوى مثالب مدعاة على الشيخ أحمد بن الصديق رحمه الله وغفر له، فلما طالعته استهجنته واستنكرته، وأيقنت بطلان الدعاوى الواردة فيه، ومن الأسباب الدالة على ذلك:

١- العداء والحقد:

فأحمد خيري تلميذ للشيخ زاهد الكوثري الجركسي، متعصب له، ولا يخفاك ما وقع بينه وبين الشيخ أحمد من شحناء إلى أن كتب فيه الشيخ أحمد "بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري"، وبطبيعة الحال فالتلميذ المخلص لا يصبر على نقد شيخه؛ بل يكر إلى الدفاع عنه ولو بالباطل، وهذا شأن أحمد خيري، الذي كان هاجسه تتبع الشيخ أحمد في حركاته وسكناته، وتصيد مثالبه وعثراته، وترقب زلاته وعوراته.

---

(١) هو محفوظ بخزانة أحمد خيري المودعة بمكتبة الإسكندرية، ومنه صورة بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ومما يؤكد هذا تصريحه بالدافع حين قال: "وكنت أود تركه تحت ستر الله تعالى لولا تعرضه بلسانه البذئ المقذع لقوم لا يطمع أن يرقى إلى مواطئ نعالهم، فقد بلغني من ثقات أنه يقع في إمامنا أبي حنيفة رضي الله عنه ـ كما أنه ذكر في آخر مؤلفه "توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار" ثبت مؤلفاته بل مفترياته وترهاته فجاء في ص(١١٧) برقم (٣٠) ما نصه: (بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري تمت مقدمته في مجلد) يعرض بمولانا الكوثري رضي الله عنه المتوفى بمصر بعد عصر الأحد تاسع عشر ذي القعدة سنة ١٣٧١هـ. فرأيت بيان ما أعلمه من سوء حاله وقبيح فعاله...

ولا يخفاك أن الحقد أدى به إلى حذف تقريظ الشيخ زاهد الكوثري لكتاب الشيخ عبد الله بن الصديق "إقامة البرهان على نزول عيسى ـ عليه السلام ـ في آخر الزمان" من كتاب "مقالات الكوثري". انظر "سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق" (١٤٥).

٢- تهمة الإدمان:

قد اتهم أحمد خيري الشيخ أحمد بالإدمان على الموبقات المذكورة في منشوره، ومن المعلوم بالضرورة وفقا للواقع المشاهد والوقائع المتكررة في الحياة اليومية أن المدمن لا يستطيع ستر الشهوات المعتادة، فإذا اهتاجت شهوته لا يصبر عليها، بل يفعلها غير مبال بما يقع.

وهذا منتف عن الشيخ أحمد، لأنه لو كان مدمنا لصدر منه ذلك في طنجة، ولعلمه خصومه من أهل البلد، خصوصا وأنه ألب عليه الأعداء من

جميع الاتجاهات: صوفية، فقهاء، سياسيون... فهؤلاء كلهم لو علموا موبقة من هذه الموبقات لكشفوها، ولأقاموا الدنيا للإعلان عنها بكل ما أوتوا من قوة.

ولا يعقل أن يكون مدمنا على تلك القبائح بشراهة ـ كما يصورها أحمد خيري ـ في مصر، ولا تؤثر عنه بالمغرب، وهي مما تعم بها البلوى؛ على حد تعبير الفقهاء، ونسأل الله السلامة من هذا البلاء.

٣- انفراد أحمد خيري بالدعوى:

أحمد خيري انفرد بما أتى به من تهم في منشوره، ولا يشفع له استشهاده بنشرة عزة العطار، إذ أنها لا تعرف إلا من طريقه، وربما اختلقها أيضا، خصوصا وأنه يقول "وزعت"، فكيف توزع، ولا يعثر عليها إلا في مكتبة أحمد خيري، ولا يعرفها الشيخ عبد الحي الكتاني المردود عليه برسالة "كشف الأستار المسبلة"، والذي تطلب مثالب أحمد بن الصديق من خلال سؤال بلديي الشيخ أحمد من أهل طنجة فلم يظفر بشيء، فلو وزع هذا المنشور لظفر به عبد الحي الكتاني ولكفاه معرة السؤال والبحث، والدليل على ذلك أنه في كتابه "سوط الأقدار" لم يعرج على التهم المذكورة في كتابة خيري. وأما حسين المراكشي فمجهول العين يحتاج إلى من يرفع عنه وسم الجهالة، ويثبت له نيشان التوثيق والعدالة.

٤- كذبه:

جاء في الصفحة الأخيرة من المنشور قوله: "وعذر المفترين على ابن الصديق أنهم لم يدعوا حفظ الحديث، ولعله أراد التشبه بالخطيب البغدادي

المتوفى سنة ٤٦٣هـ وابن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦هـ فقد اشتهر كل منهما بالشذوذ الجنسي أكثر من شهرته بعلم الحديث".

قلت: وهذا كذب محض، وهو من كيس شيخه محمد زاهد الكوثري الذي أودع كتابه التأنيب أنواعا من الافتراءات، تولى تفنيدها الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني في كتابه "التنكيل". وأما ابن حزم فيكفي قسمه الذي صرح به في كتابه طوق الحمامة حيث قال: "والله ما حللت سراويلي على حرام قط".

فهذه أربعة أسباب كافية لتفنيد التهم الموجهة للشيخ أحمد ابن الصديق، ولأجل هذا كتبت على ظهر المنشور بخطي منشدا لنفسي:

منشور خزي غَرور ... سِناد إفك وزور
به الأكاذيب تترى ... حوت جميع الشرور
راوي المثالب خصم ... أعماه حقد الشعور
أنى يصدق خصم ... في حق كل غيور!؟
لا خير يرجى لديه ... والضر خلف الستور

ونسأل الله عز وجل الإنصاف في الرضا والغضب. والحمد لله رب العالمين.

بدر العمراني

فهرس الموضوعات

تقريظ ٥

المقدمة ٧

الطرر الكاشفة للعدوان والبهتان من عدنان زهار وشيخه أبي الفتوح ٢٧

الطُّرة ١ ..... ٢٩

الطُّرة ٢ ..... ٣٣

الطُّرة ٣ ..... ٣٥

الطُّرة ٤ ..... ٣٦

الطُّرة ٥ ..... ٣٨

الطُّرة ٦ ..... ٣٩

الطُّرة ٧ ..... ٤٤

الطُّرة ٨ ..... ٤٨

الطُّرة ٩ ..... ٤٩

الطُّرة ١٠ ..... ٥٢

الطُّرة ١١ ..... ٥٣
الطُّرة ١٢ ..... ٥٦
الطُّرة ١٣ ..... ٦١
الطُّرة ١٤ ..... ٦٣
الطُّرة ١٥ ..... ٦٦
الطُّرة ١٦ ..... ٧٠
الطُّرة ١٧ ..... ٧٨
الطُّرة ١٨ ..... ٨٠
الطُّرة ١٩ ..... ٨١
الطُّرة ٢٠ ..... ٨٤
تنبيه ١٠٠
بوائق أبي الفيض: أحمد بن الصديق الغماري موثقة من كتبه ورسائله ١٠٣
الفصل الأول: في قوله بوحدة الوجود ووجوب اعتقادها، وأنها محض
الإيمان، ومن لم يؤمن بها ففي إيمانه خلل ١٠٥
الفصل الثاني: تفسيره القرآن بالرأي وجزْمه بأن رأيه المختار هو مراد الله
تعالى، وحَلِفُه بالله تعالى على أنه مراده ـ تعالى الله عن عبثه بكتابه المقدس ـ ١٢٩
الفصل الثالث: قوله بفناء النار أو أن عذابها ينقلب عذابا ونعيما وتنويهه
بكلام ابن القيم في ذلك في كتابه "حادي الأرواح وغيره" ١٣٧
الفصل الرابع: قوله بجواز رؤية الله تعالى يقظةً ومناماً في الدنيا وادعاؤه ذلك ... ١٤٣
الفصل الخامس: قوله بجواز؛ بل واستحباب الاستغاثة بغير الله فيما
لا يقدر عليه إلا الله، بله التوسل بالنبي ﷺ، وقد استغاث بالنبي ﷺ
وهتف باسمه وحده، وبعده مباشرة لفظ نفسه الأخير ١٤٩

الفصل السادس: قوله بأن معية الله تعالى لخلقه مطلقة وليست بالعلم بل بالذات، وتفويضه في معاني الصفات لا في التكييف ١٥٥
الفصل السابع: قوله بأن فرعون مات على الإيمان، ورده على من قال بخلاف ذلك، ودفعه لآيات القرآن الواردة بذلك بالصدر ١٦١
الفصل الثامن: قوله بتصرف الأولياء المطلق في الكون، وإيمانه بديوانهم، والقطبانية وأن القطب منهم يتصرف في ستة عشر ألف عالم، الدنيا والآخرة عالم واحد منها ١٦٧
الفصل التاسع: قوله بإحياء الأولياء للموتى، وتصرفه في ذلك بالهوى، فآمن ببعض وكفر ببعض، والدعوى واحدة ١٧٥
الفصل العاشر: اعتقاده حضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذاته في كل زمان ومكان، وادعاؤه أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم الغيب كله حتى الخمس التي لا يعلمهن إلا الله ١٨٣
الفصل الحادي عشر: قوله بالتصوف الباطني الفلسفي، واعتقاده أنه التصوف الحق، وأن معظم الصوفية لم يشموا له رائحة؛ لأنه لا يُدْرَكُ إلا بالذوق، وغايته: وحدة الوجود، مع جزمه بأن من لا يعتقدها؛ فلا إيمان له ١٨٩
الفصل الثاني عشر: شتمه لعدد (٦) من الصحابة على رأسهم معاوية، وقوله بردتهم، وردّه القول بعدالتهم ﷺ، ولعن مبغضهم ١٩٣
الفصل الثالث عشر: جزمه بأن أغلب الصحابة كانوا يبغضون علياً، وأنهم لذلك المنافقون لحديث « لايحبك إلا مؤمن »، وغلوه في عليٍّ، وإشارته إلى أنه كان يوحى إليه ٢٢٣
الفصل الرابع عشر: ميله القوي إلى التشيع والرفض، وتنويهه بالرافضة، وروايته عنهم، وإشادته بكتبهم ٢٢٩

الفصل الخامس عشر: قوله بوصية علي رضي الله عنه بالمفهوم الشيعي، وتقديمه على إخوانه الخلفاء الراشدين الثلاثة ٢٣٧
الفصل السادس عشر: قوله باستحباب اتخاذ القبور مساجد، وغُلُوُّه في ذلك حتى زعم أن الصلاة في الزاوية المقبورة أفضل من غيرها ٢٤١
الفصل السابع عشر: استحبابه الرقص اليهودي أثناء ما يسمونه: الذكر والحضرة والعمارة، والتي تنشد أثناءها أشعار الاتحاد والحلول والوحدة على نغمات المزامير ونقر الطبول، وبأصوات المُردان، واستحبابه لسجود المريدين له، لتقبيل قدميه، وهي فاقرة موروثة عن مشايخ الطرق، مع حمل السبحة الوثنية في الأعناق ٢٤٥
الفصل الثامن عشر: احتجاجه بالأحاديث الموضوعة والواهية مع معرفته بها، وقد استكثر من ذلك في كثير من مؤلفاته ٢٥٥
الفصل التاسع عشر: قوله بالبدعة الحسنة في الدّين، ونصرته لكثيرٍ من البدع أخذاً بهذا المبدأ، وإنكاره للقياس مطلقا ٢٦٥
الفصل العشرون: وقيعته في كثير من علماء الحديث، والسلف الصالح، ولا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته وأنصاره، وتنفيره المسلمين من كتبهم، وأنها وحدها سبب الضلال!؟ ٢٧١
خاتمة ٢٩٧
وقفات مع عدنان زهار في دفاعه عن الشيخ أحمد بن الصديق الغماري ٣٠٣
١- تصحيح بيت شعري وقع مكسورا ٣٠٥
٢- بيان الغلو المفرط في شأن مكانة الشيخ أحمد ٣٠٦
٣- تقويم أبيات شعرية وردت مكسورة ٣٠٧
٤- الإشارة إلى بيت مكسور ٣٠٨

٥- إثبات كتاب "تنبيه المسلم بمن يدعي السنة وهو كذاب مجرم" ٣٠٨
٦- تصحيح بيت شعري مكسور ٣١٣
٧- خطأ مطبعي أحال المعنى ٣١٤
٨- التنبيه على وهم لغوي ٣١٤
٩- الكلام حول رسالة "كشف الأستار المسبلة" لابن الجراح ٣١٤
١٠- التنبيه على خطإ لغوي ٣١٦
١١- من ذم بعد مدح فقد كذب مرتين ٣١٧
١٢- لطيفة نحوية: التكرار في العطف جائز لغرض بلاغي ٣١٨
١٣- التفيهق لا التفيقه ٣١٨
١٤- ثنايا بمعنى أثناء خطأ شائع ٣١٩
١٥- استشهاده بما لا يصح ٣١٩
١٦- النووي متشدق!؟ ٣٢٣
١٧- لحن جلي ٣٢٤
١٨- إثبات لنفي ٣٢٤
١٩- حدبث أم حرام فضيلة لمعاوية أثبتها شيخنا أبو الفتوح ٣٢٥
٢٠- معاوية فقيه ٣٢٥
٢١- إن كنت ناقلا فالصحة وأو مدعيا فالدليل ٣٢٧
٢٢- رأي الشيخ أحمد في كتاب المأمون عن معاوية وأبيه ٣٢٨
٢٣- تخريج حديث « آخركم موتا في النار » ودرء الشبهات عن سمرة
ابن جندب ٣٢٩
٢٤-هل الألباني يوهم حماداً ويعل به؟ ٣٣٨
٢٥- تخريج حديث "اللهم اركسهما في النار ركسا" ٣٣٩

٢٦- بيت مكسور عجزه ومحرف ٣٤٢
٢٧- أساليب ركيكة ٣٤٣
٢٨- غمزه للشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني ٣٤٤
٢٩- حريز بن عثمان والقول الراجح فيه ٣٤٥
٣٠- تبرئة ابن عبد ربه مما وسم به ٣٤٥
٣١- الفرق بين الصفحة والصحيفة ٣٥٣
٣٢- "أو" تفيد التخيير والشك، وتفيد معنى الواو أيضا ٣٥٤
٣٣- حديث: "إذا رأيتم معاوية فوق منبري فاقتلوه" صحيح على شرط البخاري!؟ ٣٥٥
٣٤- تفنيد تكذيب ٣٥٦
٣٥- ورود آية على غير وجهها دون انتباه إليها ٣٥٩
٣٦- خطأ في باب الصرف ٣٥٩
٣٧- الكتب مؤنث ٣٦٠
٣٨- لحن جلي ٣٦٠
٣٩- مسند بقي بن مخلد مفقود ٣٦١
٤٠- عائشة بنت أحمد القصبية ٣٦١
٤١-توثيق فقط ٣٦٢
٤٢- "بعر النعجة في أخبار طنجة" وشرحها من تأليف الشيخ أحمد ٣٦٢
٤٣- الشيخ أحمد يكفر معاوية بن أبي سفيان ٣٦٣
٤٤- تنكيت ٣٦٤
٤٥- قد تستفاد الفضيلة من السياق التاريخي ولو لم يقع التصريح ٣٦٦
كشف المستور، عما تضمنه هذا المنشور ٣٦٩

العداء والحقد ٣٧١
تهمة الإدمان ٣٧٢
انفراد أحمد خيري بالدعوى ٣٧٣
كذبه ٣٧٣
الفهرس ٣٧٥